



ملاك جهنمي

وائل درداد

ملاك جهنمي

رواية

وائل درداد



المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع





رواية

ملك جهنمي

وائل رداد



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساحر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



العنوان: ملاك جهنمي

المؤلف: وائل رداد

إشراف عام: نجلاء قاسم

الناشر



للنشر والتوزيع

15 ش يوسف الجندي ميدان باب اللوق

أمام مول البستان وسط البلد

تليفون: 24517300 - 01271919100

emil: samanasher@yahoo.com

التوزيع

المجموعة الدولية

للنشر والتوزيع

80 ش طومان باي - الزيتون - القاهرة

تليفون: 24518068 - 01099998240

emil: aldawleah_group1@yahoo.com

تصميم الغلاف



للنشر والتوزيع

إخراج داخلي: معتر حسنين

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أو تخزين أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي من الناشر فقط.

الترقيم الدولي: 978-977-781-000-0

رقم الإيداع: 2015/0000

الطبعة الأولى: مايو 2015

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/

sa.7eralkutub.com

أو زيارة موقعنا



ملاك جهنمي

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب
fb/groups/Sa7er.Elkotob/ او زيارة موقعنا
sa.7eralkutub.com



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



إهداء

إلى «N».

وأثل رداد

5

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب [fb/groups/Sa7er.Elkotob/](https://www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/)
sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



«لدي شياطين،
لا تستطيع حتى أنت أن تتخيّلها!»
المخرج دافيد فينشر



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساهر الكتب [fb/groups/Sa7er.Elkotob/](https://www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/)
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



اليوم الأخير

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساهر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



يوم من أيام الخريف

كانت أمًا صغيرة السن، حديثة العهد بالأمومة، وقد أنهكتها
الولادة بشدة، لكنها تخطتها بنجاح..

تمددت على سريرها في المستشفى مغمضة العينين وإن كانت
غير نائمة، ثم تنهت لصوت باب حجرتها يفتح برفق، ففتحت عينيها
لتبصر ممرضة ممتلئة تدخل، وبين ذراعيها يرقد وليدها نائما في
دعة..

- «مبارك، رزقتِ بصبي سليم وجميل!».

قالتها المرأة وهي تناول المولود بحرص لوالدته مبتسمة ابتسامة
مجاملة..

- «ماذا قررتِ تسميته؟».

لكن الفتاة بدت في حال لا تسمح لها بذلك الصفاء في الذهن..
كانت مضطربة ومذعورة لأقصى حد، فعزت الممرضة ذلك لعدم
حضور زوج الفتاة ولادة ابنه، أو حضور أهلها ليكونوا بجوارها..

قالت ويدها تشد على ذراع الممرضة ودموعها تهطل من مقلتيها:



- أناشذكِ مساعدتي في هذه المحنة، إنني معذبة حتى النخاع!
بدا عدم الفهم على وجه المرأة، فتساءلت محتارة:
- أتعانين من ألم ما؟
- يا ليت! بل يا ليتني هلكت قبل ولادة هذا الطفل التعس!
وهنا شعرت الممرضة أنها قد فهمت..
انفجرت الفتاة باكية، فأرجحت الممرضة رأسها بتفهم.. جلست
على طرف السرير، ثم وضعت كفها على كتف الفتاة قائلة لها بترفق:
- لقد أخطأتِ بنيتي..
- قال أنه سيتزوجني! قال بأن السعادة ستكون طائرا يرفرف في
حياتنا دوما!
- قال وقال! فهو لا يملك في جعبته سوى الكلام، ورغبة حيوان
نهم أراد إشباعها معك دونما قيود أو مسؤوليات!
هل يوجد من أهلك من هو جدير بإخباره مثل هذا الأمر دون أن
يجن جنونه؟
- كله إلا هذا! سيقتلون هذا الطفل قبل تمزيقي إربا!
فكرت الممرضة قليلا قبل تفتق ذهنها عن فكرة رائعة:
- نامي الآن فأنتِ مُجهدة، وحين تستيقظين سنجد بإذن الله حلا!
وخرجت تاركة الفتاة تتأمل وليدها، والوساوس تلاحقها حول ما
سيفعله أهلها عندما تبلغهم الفاجعة..



وضعت الطفل على السرير، ثم نهضت مترنحة إلى النافذة
ففتحتها.. منذ مدة لم تمسس بشرتها أشعة الشمس ولم تر الخلق..
جلست على كرسي قبالة النافذة، وأخذت تتأمل الحياة المستمرة
رغم كل المصائب المتوالية.. ثمة سكينه غريبة غشيتها وهي ترمق
الحركة الدائرة، فهذأت نوعا..

بدت وكأنها ستبقى هكذا للأبد، لكنها نهضت فجأة، وأطلت
برأسها عبر النافذة، ودققت النظر لأسفل كما لو كانت تقدر المسافة
التي سيقطعها جسم ما قبل بلوغه الأرض!

تريد الانتحار؟ كان ذلك أفضل بكثير مما قررت القيام به.. فقد
حملت وليدها، واستعدت لقفذه من النافذة كما لو كان مجرد قشرة
موزة فرغت من أكلها!

لحظة وهن استوقفتها عندما وقع بصرها على وجه الطفل
الملائكي النائم بدعة، فكادت - للحظات - أن تحجم، إلا أن
شيطانها كان بارعا كبقية أقرانه..

لم تنظر ما حلَّ به، بل شرعت من فورها بتبديل ثيابها وجسدها
يرتعد بأكمله، ثم خرجت من حجرتها متهاككة.. توقفت للحظة
استندت خلالها للجدار قبيل تقيؤها بعنف.. مسحت آثار القيء من
على فمها بكفها، وواصلت السير والإعياء يمزقها..



وسرعان ما تمكنت من الخروج إلى الهواء الطلق.. أخيراً
بإمكانها تنفس هواء نقي غير مشبع بالمطهرات..
رأت تجمهرا حول البقعة حيث رمت طفلها، فخفق قلبها بعنف
وهي تواصل السير حتى غادرت المستشفى..
أما الناس الذين وجدوا الطفل، فلقد حملوه مسرعين إلى داخل
المستشفى وهم يتصايحون..
- «رباه! إنه ينزف بغزارة!»..
- «لكنه حي رغم ذلك.. حمدا لله!»..



1

قال (ملاك) وأنامله الخشنة ذات الأظافر المسودة تتلمس قضبان
الزنزانة الصدئة بترفق:

- هل حلمت يوماً يا (جرير)؟

- أنا..

- هل تفكرت ذات مرة بمشاعر محكوم عليه بالإعدام؟

هل ترى كوابيس أثناء النوم؟

هل تخاف النوم لأنك قد لا تستيقظ أبداً؟

- أنا.. مصاب بالانزومنيا!

- آه! هذا محزن!

قالها آخذنا بالابتعاد عن القضبان أخيراً، فارتخت أنامل (جرير)
على مقبض مسدسه، وارتخت أعصابه أيضاً، كذلك جلسته على
المقعد المواجه للزنزانة..



اليوم هو آخر يوم في حياة (ملاك)، السفاح الأكثر ضراوة ودموية في عالمنا الحالي!

لا زالت «ماشيتات» الصحف تُذكر الناس وبالأخص ما تبقى من أهالي الضحايا التعساء ببداية كل شيء، الجرائم الجنونية، والرسائل الدموية المبهمة، مروراً بتحقيقات الشرطة المحمومة، ووصولاً للحظة المنتظرة..

لقد التقط صحفي اشتهر بحنكته وتحليلاته المنطقية الشبيهة بتحليلات الأطباء النفسانيين خيط الجرائم الدموية، فكان أول من أطلق لقب «أخطر سفاح على وجه الأرض» على مرتكبها، متأثراً بحكايات (بندي) و(دامر) و(زودياك)، وحتى أسطورة جاك السفاح الممزق الأشهر..

لربما أراد شهرة كالتي حققها رسام الكاريكاتير الذي ألف كتابه الشهير عن جرائم (زودياك)، لكنه - الصحفي المحنك - دفع الثمن لاحقاً، عندما وُجد مقتولاً هو الآخر في دار «الخلود» للمسنين، وبذات نمط السفاح الذي حاول إماطة اللثام عن بعض مما يكتنف غموضه!

لماذا ارتحل ذلك الصحفي إلى هناك وعاش كنزير رغم أنه في أوائل الثلاثينات من عمره؟ ماذا عن تحقيقاته التي كان ينشرها تحت مسمى حرف (ع) الوحيد؟

أكان الخوف؟ أم كان شيئاً آخر أكثر خطورة وضراوة؟



والحق يقال أن قضية (ع) قد تحولت هي الأخرى إلى غموض لم
ينجح أحد من جهاز الشرطة أو الصحافة في فك طلاسمه..
يقول وزير الداخلية بوجه مكفهر أمام حشد الميكروفونات
الملونة أمامه على المنصة:

- لقد.. أوقعنا به أخيرا!

لا تصفيق ولا تهليل من أي نوع كان، فالكل غير مصدق..
وسرعان ما ارتفعت اتهامات هائجة بالكذب، إنكار هستيري من
الجميع وخصوصا من قبل الصحافة، الأمر الذي استدعى قوات
مكافحة الشغب لكبح جماح ذلك الحشد الغاضب!

كيف أوقعوا بشبح؟ كيف تأتي لهم الإمساك به أصلا؟ لو أن لدينا
شعبة CSI المختصة بالتحقيق في جرائم القتل لما تمكنوا منه، فكيف
بجهاز شرطتنا الضعيف؟

ثم بدأت الصحافة تراقب مركز الشرطة برجالها وعدسات
كاميراتها حتى يئست، الكل متكتم، الكل خائف، الكل متوتر،
والأغرب أن الكل لا يملك فكرة عما يحدث..

بعض رجال الشرطة ممن ينالون الإكراميات التي يكرهون أن
يطلقوا عليها اسم «رشاوي» من الصحافة كي يبوحوا بمكنوناتهم، لم
يفيدوهم بشيء هذه المرة، سوى أن ثمة تعتيم على القضية المظلمة
بأسرها، وبأن مدير الإدارة العامة ووزير الداخلية هما الوحيدان



الذان على علم بكل التفاصيل المعدة سلفاً، وقد استعانا بعناصر
من الجيش كي يكونوا على أهبة الاستعداد.. لأي شيء بالضبط؟
وحده الله يعلم!

ثم بدأت الصحافة بتحرير عناوين مثيرة للجدل، عن الشيطان
الذي «يبدو» وأنه قد وقع أخيراً بمصيدة بارعة، لكنه سيحظى
بمحاكمة سرية بعيداً عن أعين الصحافة والملا، وتحت حراسة
الجيش في ملجأ سري تحت الأرض!



2

وضع السجين الوسيم فاحم الشعر زبر جدي العينين عقب
السيجارة الضئيل على طرف المنفضة البلورية الموضوعة قبالة بكتلتنا
يديه، فالأخرى متصلة بالأولى عبر قيد فولاذي يكبلهما بإحكام، في
حين ضغط المحقق بإصبعيه السبابة والوسطى على خده الأيمن،
وهو يدفع بظهره للوراء ببطء، حتى استرخى في جلسته على المقعد
الدوار..

نظر السجين إلى اللوح الزجاجي العاكس، ثم هرش أنفه قائلاً
وهو يشد بعض شعيراته شدا طفيفاً كأنما يتسلى:

- هل لي ببعض القهوة؟

- سنطلبها لك..

- ماذا عن سيجارة أخرى؟

أخرج المحقق علبة سجائره، وقام بدس واحدة بين شفتي
السجين، ثم أشعلها له بقداحته قائلاً بتجهم:



- هل أنت راضي؟

- تمام الرضا!

- عظيم، لنعد الآن إلى ليلة الخميس، في السادس عشر من شهر

إبريل..

أتذكر ما وقع بالضبط؟



في تلك الليلة الماطرة داخل المقبرة ووسط رجاله، شعر المقدم
بأن الجريمة الواقعة هنا غير طبيعية..

ثم لم يلبث أن فهم الأمر، إنها جريمة أخرى تحمل توقيع ذاك
الوغد!

كان حارس المقبرة يتعود تاركاً رجال الشرطة ينبشون ذلك القبر،
فالمنظر كان مريعاً..

التفت المقدم إلى الحارس الكهل، وسأله:

- هلا أعدت لنا كيفية اكتشافك الجثة؟

أجاب الكهل المسكين محاولاً السيطرة على نفسه:

- كنت أقوم بجولتي المعتادة يا سيدي، ثم لمحت هذا الشاهد

وكتابة تكسوه، لم أستطع تبينها لضعف نظري الشديد.. ثم إنني أمي!



بعدها شاهدت اليد يا سيدي، كانت خارج التراب - قل أعود
برب الفلق!- فسارعت بإخباركم!
كان الرجال يحفرون من حول اليد التي بدا منظرها خارج التراب
رهيبا، في حين نظر المقدم للشاهد الحجري..

أحييك !

كانت تلك التحية مدونة بالدم، وقد قال أحد عناصر الشرطة وهو
يحدق كالمشده:

- هذا توقعه حتما!

سعل المقدم وهو يشعل سيجارته بصعوبة تحت وابل المطر
المنهمر بغزارة، مراقبا رجاله الذين فرغوا من الحفر أخيرا، قبيل
صياح أحدهم:

- سيادة المقدم!

أسرع المقدم لينظر داخل الحفرة، فشاهد جثة بيضاء شبه مزرقة
لفتى صغير السن!

صمت الرجال كأن على رؤوسهم الطير، وظلوا يراقبون اليد
الممتدة خارجا، والتي ترتفع عاليا كأن صاحبها يحاول التشبث
بشيء كي لا يغرق!

- «وصل الطيب..».

تلقت المقدم إلى الرجل الأصلع القادم لتوه، وسأله:



- أهلا يا دكتور، يبدو وأن ليلتك ستكون عصبية..
 تبسم الرجل في إنهاك، ثم ابتداء عمله في تفحص الجثة، واستغرقه
 ذلك مدة من الزمن، قبل أن يعتدل قائلا بعدما كَوَّن رأيا:
 - مات مختنقا، كما أن أوردته مفرغة تماما من الدماء!
 - أنت تمزح!
 - لا مزاح! سأمضي الآن كي أسهر على تشريح الجثة..
 تأمل المقدم وجه الفتى المليح واجما، قبل قيام رجاله بوضع
 جثته في كيس وإقفاله تمهيدا لنقله إلى سيارة الإسعاف..
 كان يُسائل ذهنه: لِمَ نتعلم من الحيوانات شراستها فحسب؟
 حتى شراسة الحيوانات مبررة، فهي إما للاقتات أو لحماية
 صغارها..

صار اليوم الذي يمضي دون ارتكاب جريمة يوم مخلد.. ماذا
 يتوقع الناس من الشرطة الآن؟ أن تفعل الصواب وتبادر إلى إلقاء
 القبض على القاتل المجنون؟ عدالة الماضي على شفير الانقراض،
 سنوات مضت من العمر وهو يحاول إشعار الناس بالأمان دون فائدة
 ترجى..

همهم بضيق وهو يمس طرف قبعته الغارقة بمياه المطر مراقبا
 ابتعاد رجال الإسعاف بالجثة:

- أرجو أن تتمكن قريبا من الانتقام لك يا بني!



تناهى لمسمعه صوت صراخ مباغت:

- أنت.. لا تتحرك!!

خفَّ إلى حيث اندلعت صرخة أحد رجاله، وقد أشار بضوء
كشافه إلى نقطة معينة، فما إن تبينها حتى انتزع مسدسه من جرابه
انتزاعاً، وصوبه بحنكة وهو يصيح بصوت مزج ما بين الصرامة
والذعر:

- قف مكانك!!



قال المحقق دون أن يبدل شيئاً من وضعيته الرخامية:

- كنت مختبئاً في مسرح الجريمة، ثيابك كانت ملوثة بدم
الضحية..

سمعه يهمس:

- لم أكن مختبئاً..

- حقاً؟

- بكل تأكيد..

- أردت تسليم نفسك إذن؟

صمت السجين، فقال المحقق:

- حسن .. لماذا قدمت نفسك لنا على طبق من فضة؟ هل أنت نادم أخيرا على ما اقترفته يداك؟

حدّق السجين بألة التسجيل الموضوععة على المائدة بخواء، ورفع يده كي يهرش شعر رأسه الطويل، فلحقتها الأخرى المكبلة، في حين ظلّ المحقق على وضعيته الباردة منتظرا سماع ما سيقوله ..
- «أتعلم متى بدأت القصة؟».

أرجح المحقق بيده في إشارة لامبالية، فابتسم السجين ابتسامة عريضة أظهرت أسنانه المترابطة بترتيب منسق في فمه ..
حكّ خده مليئة الأشواك ببطء مسترسلا:

- أظنها بدأت منذ حوالي .. لا أستطيع التذكر! لا يهم .. كان حينها ذلك الزوج المأفون وزوجته التعسة يعيشان في شقة، لا أذكر رقمها بالضبط، أذكر فقط أنها تتضمن الرقم 4 ولربما الرقم 6 .. كانا مغلقين لحد أثار شكوك الجيران، فارتابوا في كونهما زوجين، ولربما كان هذا ما يخفيانه ..

ثم انتحر الزوج! شقن نفسه بالملاءة التي أخذها لينام في غرفة الجلوس بعيدا عن زوجته عقب مشاجرة حامية بينهما، قالوا أنه كان يعاني من ضائقة مالية، لكن السبب الحقيقي أنه علم بحمل زوجته .. لماذا لم يفرح؟ هل شك أن امرأته تخونه؟ أمر مستبعد فالمرأة عاشت في عوالمها الخاصة المنطوية، لم تخرج ولو مرة للتبضع،



لم يزرها أحد لأنها كانت ترفض استقبال الزوار، ويبدو وأنها قد اختارت الاحتفاظ بالطفل في أيام عسيرة على الزوج، بالكاد يحصل لقمة عيشه وزوجته، فما بالك بفرد ثالث؟

جاءت الولادة متعسرة، خصوصا وأن المرأة اختارت أن تضع مولودها داخل الشقة ودون علم من أحد، أي أنها وضعت لوحدها ودون عون من أحد! ويبدو أنها كانت تتمتع برباطة جأش غير عادية، إذ لا يذكر أحد من الجيران سماع صراخ أنثوي، لكنهم في تلك الليلة سمعوا نحيب طفل وليد!

بعد سنوات كبر الطفل، وتربى في محيط عائلي ضائق، صارت والدته كل شيء بالنسبة له، كل شيء، حتى الأب والأخ ولربما الصديق.. أحيانا كان ذلك الصديق الحنون يفقد أعصابه، فيبادر إلى وضع سكين على لهب الموقد، ومن ثم رسم علامات تأديبية على بدن الصبي، وأحيانا أخرى كان الصديق - الوفي - يستعمل رأس صديقه الصغير في دفع الخزانة، أو لتحريك الثلاجة من موضعها، تماما كمنطحة الكباش!

وأخيرا، وذات ليلة، خرجت الزوجة من كهفها! الظاهر أن الحرية والعالم الخارجي قد راقا لها كثيرا، إذ أنها لم ترجع بعد ذلك للشقة أبدا، مخلفة وراءها صبيا نسيت - أو تناست - أنه خرج يوما من رحمها!





هنا تساءل المحقق بحيرة لاحت على تقاسيمه:
- أنت تتحدث عن طفولتك، أليس كذلك؟
نظر له السجين بدهشة، أو أنه اصطنعها عندما أجاب بتؤدة:
- طفولتي؟! لا طبعاً.. أنا أتحدث عن طفولة القتل!



3

- «هل تذكر كيف كانت طفولتك؟».

نظر (ملاك) إلى (جرير) نظرة طويلة شاردة، فتمتم الأخير رافعا كفه كأنما ينفي تهمة عنه:

- آسف للسؤال!

- لا.. لا عليك..

ثم راقب السقف مردفا وهو يتنهد:

- كانت طفولتي.. سعيدة!



يوم من أيام الشتاء

قالت مديرة الملاجأ محاولة ألا تجن، وراحة يدها المرتعدة تمسح جثة قطها الأثير المحبوب:

- أين ذلك الحيوان؟!

رَدَّت مساعدتها الهزيلة وهي تضع إصبعها في منتصف نظاراتها
السميكة الجالسة فوق أنفها المعوج:

- جعلتُ (دكاش) يجره جراً إلى مكتبك، إنه صلب رغم صغره
سنه!

- سنرى مدى صلابته حين أمزق السوط على ظهره!
وأسرعت نحو مكتبها، ففتحت بابه بعنف لتجد الحارس يقف
متأهباً خلف صبي في الثانية عشرة من عمره، يرسم تعبير اللامبالاة
على وجهه الطفولي الدقيق، وقد برزت ندبة على امتداد ذراعه
الأيسر..

صرخت المرأة وهي تكبت رغبتها بتمزيق جسد الصبي وبعثرة
أشلائه في الهواء:

- أيها الحيوان الذي لا يرحم.. أتدرك ما الذي صنعته؟!
- لا..

قالها بصلافة رجل بالغ.. كانت له نظرة لطالما كرهتها مديرة ملجأ
الأيتام، وقد حاولت مراراً طمسها بالضرب والجلد، أو بحرمانه من
طعام العشاء أو بحبسه في قبو الجرذان، لكنه كان بالفعل صلباً..
انقلبت عيناها لعيني جنني حائق مزمجرة كالمجنونة:



- مرة تضع جرذا في سروال المرشح لانتخابات مجلس البلدية، جعلت منه أضحوكة لأقرانك الملاعين مما أثار نقمته علينا، فراجع عن تبرعه لنا بمبلغ هائل!!

وفي مرة أخرى كِدت تتسبب باندلاع حريق، والبارحة تشاجرت مع صبية أكبر منك سنا ولوثت قاعة الطعام كالحيوان..

أما اليوم، اليوم فقط تفوقت على ذاتك الشيطانية! لقد ضبطتك المشرفة وأنت تقتل حبيبي (جمجوم)! قمت بإغراقه في دلو ماء داخل الحمام بلا رحمة.. فمن أي جحيم قدمت إلينا أيها الشيطان المسعور؟!

وأطلقت صرخة كالهدير:

- أخبرني عن السبب وإلا جعلتك تندم على مجيئك لهذه الدنيا!!
كان بالفعل يشعر بالندم على مجيئه لهذه الدنيا، كأن الأمر بيده!
لكنه ردّ وهو يوثق بساعديه أمام صدره الضئيل:

- لكي لا تقوم الجرذان في القبو بإيذائي!

- كيف؟!

- الجرذان عقدت معي صفقة، إذا ما خلصتهم من قटक الذي يطاردهم دائما ويلتهم منهم..

قاطعته متسعة الحدقتين:

- أتحاول ادعاء الجنون أيها الوغد الصغير؟!

تبسم في صمت كأنه يهزأ منها.. بصره معلق بالسقف، حيث يسعى ذلك البرص كبير الحجم..

تردد صوت عميق كأنه صوت رجل طاعن بالسن داخل عقله، كان له تردد كالصدى وبصورة بالغة الغرابة، ويقول:

- «الصبي عديم الرحمة؟ ماذا عنك أنتِ أيتها العجوز البدينة؟
تفنين أموال المتبرعين على ألد الأطعمة والمشروبات التي صيرتكِ
كالخرتيت! ترتدين دوماً ثياباً جديدة أنيقة، أما عن الأطفال فيأكلون
يومياً الحساء والبصل، وملابسهم تتمزق وتبلى على أجسامهم!
أذكر أنكِ اشتريتِ سيارتكِ الجديدة عقب وصول مبلغ الإعانة
السنوي، والذي كان من المفترض إنفاقه لإصلاح أجهزة التدفئة
المعطلة لغاية الآن!..»

كتم الصبي ضحكته بجهد جهيد مشيحاً بصره عن البرص، في حين سألته المديرية بحقد لم تكتمه:

- ما اسمك يا ولد؟

- كل هذه السنوات هنا ولم تتمكني من حفظ اسمي؟

- أجب على قدر السؤال أيها الحيوان!

- (ملاك).. لا أدري ما إذا كان اسمي الحقيقي حتى..

- (ملاك)؟! ملاك أيها الشيطان؟! فليقطع رأس من سَمَّاكَ

ملاكاً!!



ووضعت جثة القبط على سطح مكتبها، ثم تناولت السوط من أحد أدراجة قائلة وهي تصوبه في وجهه لإرهابه:

- اسمع يا.. (ملاك)! لقد ارتكبت ما لا يمكن غفرانه مطلقا هذه المرة، وتعديت كل الحدود لدى محاولتك السخرية مني..

من الآن فصاعدا ستكون لك غرفتك الخاصة غير المؤثثة، إذ ستنام على الأرض، ومفتاحها سيظل معي دائما.. تريد أن نعاملك كمجنون؟ فليكن.. ستحرم كذلك من وجبة العشاء لهذه الليلة، وكلما تفوهت بحماقات كالتي قلتها قبل قليل حرمناك من وجبة، ولن تبرح غرفتك الجديدة سوى مرة واحدة في الأسبوع فقط.. وستجلد حالا عشرين جلدة على ظهرك جزاء وقاحتك وطيشك.. عندما أفقد صبري أحيل حياة الذي جرؤ على أن يتحداني إلى سعيير متأجج..

ثم نظرت إلى الحارس قائلة له بغضب:

- عندما أفرغ من جلده تأخذه وتحبسه في القبو مع شركائه من الجردان، هكذا سيكون بإمكانه عقد صفقة أخرى معهم!



4

- «كانت والدة ذلك الفتى امرأة مسكينة!»..
- تأمل (جرير) سجينه الجالس بسكون على طرف فراشه الخشن،
وبريبة تتمم محاولا الاستيضاح:
- مسكينة؟! -
- أجل.. مسكينة! كانت امرأة وحيدة، لا حول لها ولا قوة..
- لذا أرادت تجربة القوة بضرب ولدها وتعذيبه طيلة الوقت؟
ومن ثم الهرب وتركه وحيدا في مواجهة معركة الحياة الضروس
داخل تلك الشقة؟! حقا إنها لمسكينة!
- إذن فقد أنقذته من عذابه!
- لا.. لست منقذا يا (ملاك)، أنت.. أنت..
- برقت عينا (ملاك)، وعندما نهض قفزت أصابع (جرير) فورا إلى
مقبض السلاح في جرابه:
- «قلها!»..



نطقها باستمتاع، وتبدى انتشاء مخيف في حدقتيه الزبرجديتين،
فهمس (جرير) شاردا كما لو كان في حالة تنويم مغناطيسي:
- أنت..



- «شيطان!»..

كذا قال المحقق وهو يطفى عقب سيجارته متظاهرا برباطة
الجأش.. لكنه كان خائفا وبشدة.. العرق أسفل إبطيه فضحه..
تكومت أعقاب السجائر كتل صغير في المنفضة..
لم يدخلن السجين سوى سيجارة واحدة، أما المحقق فقد دخن
حوالي ثلاثين سيجارة!
كان يحاول منع نفسه من إشعال واحدة جديدة قائلا لسجينه:
- ماذا فعلت بعدها؟

ردَّ السجين وهو يرسم بقعا ببصماته على سطح المائدة الأملس:
- عدتُ إلى مسكني، ونمت.. نمت طويلا.. وعندما استفتقت
ذهبت مرة أخرى لزيارة الفتى، فوجدته على حاله، يعيش كحمل
ووحيد تعس!

شعرتُ بالأسى عليه، فقلت لنفسي أن هذا لا يكفي..

- هكذا قررت دفنه بعد استنزاف دمائه بالكامل لإنقاذه من وحدته
وتعاسته.. أليس كذلك؟
- بالضبط!
- قصة شائقة..
- تتم السجين ببرودة:
- أشكرك!
- لكنها لا تخدم قضية، أخشى أنك قد أضعت وقتا ثميناً..
- هذا كل ما لدي..
- هذا.. هراء!
- سمّه ما شئت..
- وصمت السجين واجماً، فنفخ المحقق الهواء بحرارة، ثم حكَّ
جبهته قائلاً:
- لنعد إلى موضوع تسليمك لنا نفسك..
- ظننتُ هذا مفهوماً!
- ماذا تعني؟
- قرب وجهه من المحقق متسائلاً بابتسامة ذات دعة:
- أين بإمكانك إيجاد عشرات الوحوش الثائرة الساعية وراءك؟
- كلاب شيطانية وساحرات أحرقن ومشعوذون؟
- ربما في الجحيم.. حيث ستذهب!



ارتد السجين بظهره ليسترخي أكثر، وبارتياح قال:

- هذه إجابة رائعة!

كان الشريط قد توقف عن الدوران، إنه الشريط الثالث لاحتواء قصة بهذا الطول..

ونفض المحقق مراقبا السجين بنظرات لا تخلو من توتر، فبادل السجين نظراته بأخرى هائمة، وبشفتيه الداكتين قال بوجل:
- في الجحيم!



خرج المحقق من غرفة الاستجواب، ففوجئ برئيسه الكهل الذي كان واقفا يراقب السجين من وراء الزجاج العازل..

دنا المحقق من رئيسه متسائلا:

- أكنت هنا طيلة الوقت؟

ردَّ الكهل مواصلا المراقبة بتمعن:

- هل تعلم لِمَ نعيش حياة كريهة؟

- بسبب أمثال هذا الوغد طبعاً!

ابتسم الكهل، وبنبرة فاترة قال:

- حين أنال تقاعدي لن أفعل شيئاً سوى تدخين الغليون حتى

يдахمني الموت!

- صدقني أنا أشاطرك ذات الهموم..



فترت بسمة الكهل وهو يقول بشرو دهن:

- ماذا عن الضحية؟

أجاب المحقق وهو يدس يدا في جيبه بينما الأخرى تداعب أرنبه أنفه:

- لقد تعرف بعض الجيران على صورة للفتى القتل، يقولون أنه

كان وحيدا، لا أهل يسألون عنه لحسن الحظ..

- لقد خانه حظه لدى لقائه بهذا الشيطان!

ودعك الكهل جبهته بإرهاق مغمما:

- تصور أن يقع قاتل كهذا بين أيدينا، حتى في الروايات لا يحظى

رجال الشرطة بهذه الفرصة إلا عقب فصول من الذل، فماذا تكون

النتيجة؟

تبسم المحقق قبيل نطقه بغليان:

- أستطيع الدخول ووضع طلقة في رأسه.. الآن إن أحببت!

- هذا شعور الجميع، لكنها الآن قضية رأي عام، ولا يسعنا

التدخل أكثر، أتمنى أن تكون محاكمته عادلة..

- اطمئن، لدينا من الأدلة ما يكفي لإعدامه ساعة كل يوم!

رمى الكهل عقارب ساعته قبل تنهده مهموما، ثم قال قبل

انسحابه:

- سيأتون بعد قليل لاصطحباه، تعاونوا معهم!



5

وثب (ملاك) في الهواء كأنما يحاول التعلق بالسقف!
وابتسم (جرير) قائلاً بدهشة:

- ماذا تصنع؟

- أتمرّن قليلاً، فالجلوس الطويل يؤدي إلى ارتخاء العضلات!
أراد (جرير) تذكيره بأن ميعاد إعدامه قد دنا.. لكنه صمت في آخر لحظة، دعه يفعل ما يشاء في سويعاته الأخيرة من حياته..
- «أنت.. نشيط حقاً!»..

- «كنتُ شعلة من النشاط والحيوية..»..

وتوقف أخيراً عما يفعله، فابتعدت أنامل (جرير) عن مقبض
سلاحه..

نظر (ملاك) إلى صديقه الوحيد في هذا العالم، وبمكر أضاف:
- كنتُ صبيّاً شقيّاً!





يوم من أيام الصيف

قالت الصغيرة (هايا) بخوف:

- ماذا لو رأنا (دكاش)؟

ردّ (ملاك) مستهينا وهو يتلصص من خلال النافذة:

- دعك منه، فهو مجرد أعرج أحمق..

كانا قد شاهدا السيارة البيضاء الفارحة التي توقفت أمام مدخل الملجأ، وهبطت منها سيدة متأنقة أشعلت فضول (ملاك) المعتاد لمعرفة سر تلك الزيارة..

- «لا بد وأنه تبرع جديد، ولكم أكره رؤيته يرحل لجيب مديرتنا الجشعة المتوحشة!».

رفعت (هايا) رأسها لترى أفضل، فلمحت السيدة الغامضة تجالس المديرية التي تبدت منبسطة الأسارير، وتبتسم بسرور غير مطمئن، فتبسمت (هايا) هي الأخرى قائلة:

- أظن الحق معك، فمس (جليلة) لا تبدو سعيدة هكذا إلا لدى ذكر المال!

قال الصبي مخرجا مقلاعه من جيبه:

- لن تدوم سعادة «الخرتية» طويلا، سأجعلها تولول إلى يوم الدين هذه المرة! هيا بنا الآن..



بعد مرور عشر دقائق تقريبا خرجت المديرية برفقة ضيفتها، وقد سبقتها أوامرها التي حملتها مساعدتها للأطفال بالتجمع في الحديقة الجرداء، فابتسم (ملاك) متخيلا وجه المرأة الهادئ حين يعصف إثر ضربة من مقلاعه، واقترب بصحبة (هايا) كاتما أفكاره وخواطره لنفسه ..

قالت المديرية متصنعة الرقة:

- صباح الخير يا أطفال ..

- صباح النور مس (جلیلة) ..

بأصواتٍ قلقة ردوا، وكعادته ردَّ (ملاك) قائلا: صباح «الزفت»!
لكن أحدا لم يلحظ ككل مرة ..

- «مدام (أسمهان) جاءت للتعرف عليكم، فأحسنوا التصرف والتزموا الأدب ..».

- «وهل هي غنية؟».

صوّبت المديرية نظرة حانية باطنها الحقد تجاه (ملاك)، قائلة له برفق:

- ماذا قلنا يا عزيزي (ملاك) عن التزام الأدب؟

ومنحته من طرف خفي الإشارة المعهودة، فقال بنبرة خفيضة لنفسه:

- ها قد طار عشاء الليلة!



أثناء ذلك وقع بصر السيدة (أسمهان) على (هايا)..

أخذت ترمقها بنظرات غريبة لاحظتها الطفلة و(ملاك) معا، ولم يرتح الصبي لتلك النظرات، شعر بالنفور منها، فوجهها يحمل تعابير قاسية غير مريحة رغم تمتعها بقدر من الجمال..

همست المرأة في أذن مديرة الملجأ، التي أضاء وجهها وهي تشير للحارس (دكاش) كي يأتي بالطفلة.. كالتقاء أكثر الدجاجات سمنة للذبح! وبالطبع لم يُعجب ذلك (ملاك) أبدا..

ظهر خوف بالغ على وجه (هايا)، حتى أنها شرعت بالبكاء.. فاشتعل غضب (ملاك) لذلك، وعلى الفور أخرج المقلاع من جيبيه واستعمله في قذف حجر صائب على رأس (دكاش)، لكن الرجل اكتفى بتحسس رأسه فقط دون أن يزمجر حتى، مكتفيا برمق الصبي بنظرة متوعدة..

انقض (ملاك) على ساقه، وعضها بكل ما أوتي من قوة كي يدع صديقتة وشأنها.. في هذه المرة زمجر (دكاش) قبل ركله الصبي في وجهه، كما يركل جروا قام بمضايقته.. وواصل السير حاملا بقسوة الصغيرة التي لم تكف عن البكاء..

وكانت تلك المرة الأخيرة التي يرى بها (ملاك) وجهها البريء الجميل..



6

- «أترغب بشيء معين؟»..

رسم (ملاك) خطأ وهميا على جدار زنارته بإصبع سبابته،

وبشروء همس:

- في..

- طعام.. شراب..

- في..

- سجائر؟

- في..

- في ماذا؟!

قالها (جرير) بإلحاح مبعءا سيجارته عن شفتيه، ثم استغرب

ذلك، كأن (ملاك) عرض عليه لغزا محيرا للعقل، فصار يرغب

بسماع الإجابة دون أن يفكر..

لكن (ملاك) أجاب باسمها وهو سائرٌ بسبابته الملتصقة بالجدار:

- لا شيء.. لا أرغب في شيء!



يوم من أيام الربيع

لم يحتمل الاهانات أكثر، فكال بكل قوته لكمة ذات عزم تجاه
ذقن غريمه صارخا:

- اخرس!!

انقض رفاق الفتى العريض نائر الشعر منتهزين فرصة ضرب
أحدهم كي يخبروا الآخرين كم كانوا أقوياء! سيلٌ من الركلات
اجتاح وجهه وجسد التعس مع عددٍ كافٍ من الشتائم التي تمس
العرض، وانتهى الأمر أخيرا به محاولا النهوض بصعوبة، حاملا
معه جراحه وكدماته وأشلاء كرامته، عقب رحيل زمرة السوء التي
بعثرتها..

- «الوداع يا لقيط! عِش مع الجرذان فهي من نفس فصيلتك!»..

بصق الدم من فمه متذكرا بضيق أمه التي ستجزع حتما لدى
رؤيتها ما أصابه، كانت قوته غير كافية لجندلة شخص واحد، لكنها
كافية لتحمل ضرباته، والغريب في الأمر أنه كان أقوى وأصلب



عودا عندما عاش في الملجأ، فقد اعتاد مقاتلة الصبية الأكبر منه سنا وأقوى جسما..

يبدو وأنه قد لان كثيرا..

أسرع إلى الحديقة خلف الدار المتواضعة، حيث خرطوم الماء الذي ينتظره كي يغسل منه جراحه كالمعتاد، ففتح الصنبور وهو يبصق من حين لآخر مزيدا من الدماء بضيق..

حين دخل الدار وجد «الماما» غافية وعلى صدرها كتاب، كانت تقرأ على ضوء شمعة لأنهم قطعوا الكهرباء منذ فترة، فدنا من المرأة قبل وضعه يده على كتفها، هامسا في أذنها برفق:

- أمي، استيقظي أرجوك..

فتحت جفניה بصعوبة وهي تسأله متثابرة:

- كم الساعة الآن؟

- العاشرة، قومي إلى فراشك..

- هل ترغب بالعشاء؟

- لا رغبة لي، فقط أريد النوم، تصبحين على خير..

سألته بقلق وبصرها مشوش بفعل النعاس والإنارة الضعيفة:

- هل أنت بخير يا عزيزي؟

- أجل..

ودلف حجرته دون إضافة مزيدٍ من الكلمات، ليلقي بجسده
المحطم والجريح على السرير..

كانت جُل كوابيسه عن الملجأ القذر، فقد رأى نفسه يسير في
الردهة وسط ظلام تبيين بصعوبة من خلاله جسد طفلة تلهو على
الأرض بدمية مألوفة، والدماء تغرق الأرض من حولها!

كان البرد قارصا لا يرحم، فارتجف منه ومن الخوف أيضًا..
اقترب بحذر من تلك الطفلة هامسا لها بنبرة متهدجة:

- (هايا)؟!

وحين تلتفت إليه يفاجأ بكيانه وقد انتزع من كابوسه انتزاعا، فيفيق
مدعورا عاجزا عن معاودة النوم مرة أخرى، فيبقى على تلك الحال
حتى مطلع الفجر، عندئذٍ ينهض من فراشه مشوشا خائر القوى..

غسل وجهه برفق في الحمام كي لا يزيد من آلام مواضع الضرب،
سترى أمه كل تلك الخيرات حتما، والتسلل أمر مستحيل فهي معتادة
على أن يفطر معها كل صباح..

لم يكن هنالك مفر من المواجهة، لذا خرج من الحمام وهو
يهتف:

- صباح الخير!

- رياه! ما هذا الذي يكسو سحتك؟!

فتحسس وجهه مدعيا السذاجة بقوله:

- ماذا؟ ما الذي يكسوه؟



- هذه آثار ضرب!
- ضرب؟ على وجهي أنا؟
- وحدق في مرآة قريبة متظاهرا بالاستغراب قبيل هتافه:
- بالفعل! هي آثار ضرب! من الذي تجرأ يا ترى؟!
- كفَّ عن ذلك وأخبرني بالذي جرى بالضبط..
- كانت حازمة، فأدرك أن وقت المزاح قد ولى.. قرب وجهه من وجهها قائلاً بارتباك:
- تشاجرت مع أحدهم..
- من يكون؟ ولماذا تشاجرت معه؟
- كانت هنالك فتاة أعلنت إعجابها بي بصراحة مفاجئة! ثم ظهر فتاها الذي يهواها وهو يرغي ويزبد في وجهي، لأنني كنت العقبة الوحيدة في طريقه إليها!
- وعلى الرغم منها ابتسمت، وبتمهل قالت:
- بالفعل هي مشكلة، فأنت محبوب من الجميع!
- عدا الذي قام بضربي مع رفاقه.. لا أخالهم فعلوها محبة في!
- مجرد فتية حقودين! الملاعين شوهاوا وسامتك!
- قالتها وهي تدنو منه، ثم قامت أناملها بتلمس مواضع الضرب على وجهه وقد اعترأها صمت حزين..



7

الساعة الآن التاسعة إلا ربعاً..

خيّل لجرير أن الجو قد صار أكثر برودة، كان يرتجف برداً رغم ثيابه الثقيلة، في حين بدا (ملاك) معتاداً على البرودة رغم لباس السجن الخفيف الذي يرتديه..

سأله:

- أتريد معطفاً؟

- لا..

- الجو بارد..

تبين رنة استهزاء في نبرته عندما ردّ قائلاً:

- في الجحيم أنال كل الدفء الذي أبتغيه!

- أرى أن تتوب..

- لا فائدة يا صاحبي.. لا فائدة!



وابتداً يصفر لحننا عذبا بشفتين شبه مضمومتين، كان الآن مستلقيا
على فراشه، يراقب السقف المشروخ باهتمام متزايد..
ثم توقف بغتة عن التصفير، وباهتمام تساءل:
- أتعلم سبب تأخر البعض عن التوبة؟
- لا..

- إنهم يؤخرونها كتأخير دين مستحق، يماطلون ويماطلون
لأنهم يحسبون أعمارهم مديدة، الحوادث والأمراض القاتلة تحدث
للآخرين فقط، ولكن راقب أحدهم عندما يسمع مثلاً أنه أصيب بداء
الايذز، وبأن أيامه في الدنيا باتت معدودة..

- يسارع للتوبة طبعاً!

ضحك (ملاك) قائلاً باستهجان:

- صحيح أنه يصير كالفأر في المصيدة، لكنه لا يهرع للتوبة على
الفور، وأحياناً لا يحاول ويظل كالمستسلم لمصيره.. كما أنه لا زال
يأمل أن يجدوا علاجاً للايذز قبل توكله!

كنت أرى نظرة يائسة في عيون بعض من ضحاياي، نظرة من
النوع القائل: سامحننا أرجوك! لأنك إذا قتلنا فلن نظفر سوى بجحيم
أزلي، اعتقنا وستتوب حالاً!

قد يفعلون وقد لا يفعلون، من يدري الآن؟ لقد ضاعت الفرصة!

شعر (جرير) بغصة لدى سماعه هذه الحكاية، ووجد نفسه يسأل
(ملاك) باهتمام شديد وهو يقرب وجهه من قضبان الزنزانة:

- هل تذكر ضحيتك الأولى؟

- بالطبع!

وتبسم بحنين كأنما استرجع ذكرى محببة للتو، مردفا:

- كنتُ في التاسعة عشرة من عمري آنذاك!



يوم من أيام الخريف

وصل أخيرا إلى هدفه عند انتصاف الليل.. شارع منسي داخل
حي منسي، فأوقف سيارته المؤجرة، وترجل منها متجها إلى تلك
البنية الآيلة للسقوط بسكانها الكثر..

دخل وصعد درجات سلم قديم حتى الشقة البائسة في الطابق
الثاني، هناك، طرق الباب بشيء من خشونة..

- «من هناك؟»..

- «افتح الباب..»..

- «ولمن أود فعل ذلك؟»..

- «صديق قديم مشتاق إليك!»..

- «من؟ الشرطة؟»..



كان صوتا غليظا يدل على قسوة صاحبه، لكنه لم يهابه، بل رد عليه:

- كلا، افتح ولا تخف..

تحرر القفل، وفتح الباب ليطل من فرجته رجل ضخم رمادي الشعر، نظر إليه قبل أن يقول بأسنان نخرة متفرقة:

- ما الذي تريده يا فتى؟

دخل دون دعوة، فتوجس الرجل خيفة من تلك المباغطة، وجعل يفكر مرات قبل الإقدام على مهاجمة هذا الزائر الغامض.. كل ذلك وهو يدور في أرجاء الشقة داسا كفيه في جيبي سترته الجلدية البنية، فسأله قاطنها العجوز محتدا:

- من تكون أيها الفتى؟ وما الذي تريده مني بحق الله؟

- بحق الله؟ ظننتُ الشيطان إلهك يا (دكاش)!

- (جحفل) هو الذي أرسلك أليس كذلك؟ لا يكف عن إرسال الفتية الحمقى! قل له أن البضاعة تساوي أكثر من مائة ألف ليرة، والقسمة عادلة!

- يبدو وأن أمورا كثيرة تبدلت معك مذ كنت حارسا لملجأ الأيتام في الماضي!

ثم قرب وجهه من سحنة الرجل هامسا:

- أترأى تذكرتني؟



تبدى الازدراء على العجوز لما رد:

- رباه! وجه من الماضي الجميل! صبي من الملقأ عاش أملا
بأن يكبر سريعا كي يحقق انتقامه السخيف مني.. ألا تظن الأمر
مبكرا يا فتى؟

- ربما تذكرك هذه أيها الشيطان!

قالها مبرزا علامات الجلد التي زخر بها ظهره..

- «خريطة الآلام التي رسمها سوطك..»..

بصق (دكاش) قائلا ببرودة:

- قد جلدت من عينتك الكثير، فلماذا أتذكرك أنت بالذات؟

- كنت أنا ضحيتك المفضلة..

وارتسمت على ثغره بسمة غموض مسترسلا:

- قط مس (جليلة) الذي أغرقته؟ الصفقة مع جردان القبو؟

للحظات بقي (دكاش) صامتا، ثم لاح على شفثيه شبح ابتسامة
وهو يقول بتؤدة:

- أجل! أهو أنت أيها التمساح الصغير؟

سار متأملا أرجاء الشقة وأوضاع عيش الرجل العجوز، وسأل
دونما اكتراث:

- كيف حالك أيها الجلاذ العجوز؟



- كبرتَ يا شقي وصرتَ رجلا يسأل عن الأحوال؟
 - وأنتَ ازددتَ خسة ووضاعة..
 - حال الدنيا، وما الذي تريده مني الآن؟
 - اشتقتُ لصديقي القديم المنحط فحسب..
 - وزرتَ (جلىلة) قبلي؟
 - توافها الله قبل زيارتي المحتمة لها..
- وهنا توقف، ثم زينت بسمه مضىة ثغره الوردى لما قال بغموض:
- إنها رحمة التي شملتها!



8

رن الهاتف الأسود فجأة..

سارع (جرير) بالتقاطه من موضعه المعلق على الجدار، وأنفاسه تتلاحق كمريض الربو.. حين يرن الهاتف الأسود في عنبر المساجين المحكوم عليهم بالإعدام، فهذا يعني شيئاً واحداً لا غير..
أنهى المكالمة، ثم نظر إلى آخر الممر حيث تستقر زنزانة (ملاك)..

هنا ارتفع صوته قائلاً:

- أهم آتون؟

أجابه (جرير) بنبرة خفيضة وكأنه يحادث نفسه:

- أجل.. هم آتون!





يوم من أيام الشتاء

حاول جاهدا الاستمتاع بسيجارته لأنها ستكون الأخيرة، فقد قرر وضع حدٍ للمهزلة المسماة «حياته»..

تأمل الشوارع الغارقة بالماء عقب زخات المطر التي انهمرت ليلة أمس من نافذته ساهما، حتى عقله توقف عن التوهم للحظات عن ماهية العالم الآخر.. كانت المدينة - ولا زالت - قلبا نابضا بالحزن والجمال معا، شديدة الاضطراب وبخاصة في المساء..

نظر لساعته فوجدها تشير للعاشرة، للمرة الأولى يشعر بثقل مرور الوقت..

والناس ذات حركة لا تهدأ، مساراتهم صارت محددة داخل ذهنه رغم أنها عشوائية، كلٌ وجهته مختلفة عن الآخر في الواقع..

هل يأكل وجبة أخيرة؟ طعامه إما معلب أو من المطعم، وهو غير بارع بالطهي، وزوجه هجرته منذ عام - أم عامين؟ - بعد وفاة ولدهما الوحيد باللوكيميا.. تذكر ذلك وهو يتأمل بحزن عميق صورة الصبي الضاحك ذات الإطار المزخرف والمذهب، لكنه لم يلبث أن عاود الابتسام، فقريبا جدا سينعم برؤيته من جديد!

سحب نفسا عميقا من السيجارة، وحبس الدخان للحظات داخل رئتيه المجهدتين قبل إطلاق سراحه في الهواء، وتأمل به بتمعن وهو يتخذ أشكالا غامضة مبهمة قبل تلاشيه ببطء.. الليلة سيموت غير

أسفٍ على حياته الضائعة، التي لا تساوي في رأيه حياة أي جرذ راع
بالمجاري..

وللمجتمع البشري ألقى بنظرة أخرى..

الناس لا زالوا يتحركون، يجيئون ويروحون في رحلات أزلية لا
تتوقف أبداً، لا أحد ينظر أو يلتفت لأحد.. أفكاره تزداد تعمقا وتركيزا
مع مرور الوقت، فكر في أسعد لحظات حياته وفي أتعسها كذلك،
ابتسامة زوجته كانت تريحه، تذكر ذلك فأفعمت صدره تنهيدة حارة
من الأعماق.. أنصت لألحانٍ تنضح شجنا من المذيع، ثمة تشويش
طفيف على المحطة اعتاد سماعه كثيرا حتى ألفه..

وسيجارته قد شارفت على النفاد.. تماما كحياته..

الساعة تشير للعاشرة والنصف.. ربما حان الوقت الآن!

أطفأ عقب السيجارة في فنجان يحوي بقايا قهوته، ثم تناول
مسدسه، وحرر صمام الأمان بأن قام بسحب المشط للوراء وإفلاته
بغته، ليرتد بعنف مصدرا الحنا معدنيا صارما يعلن عن تلقيم السلاح..
لقد قام بوضع رصاصة واحدة، وهي كل ما يحتاجه للرحيل الآن
وللأبد.. هكذا، أولج فوهة المسدس داخل فمه، وشرعت سبابته
تلهو بالزناد..

والموسيقى لا تزال تدور في المذيع..

شعر أن الزناد ثقيل إلى حد لا يمكن وصفه، أم تراها سبابتة؟



لن يتردد أكثر، شيء من العزم ويتلاشى من سيمفونية الحياة
الصاخبة، هاهو ذا يضغط الزناد، قليلا بعد ثم ..

قرع أحدهم جرس باب الشقة بمباغته أجفلته، وجعلت جسمه
ينتفض بعنف، فألقى بسلاحه على المنضدة وهو يلهث، وقد اختلط
عرقه مع دموعه .. لقد فشل مبتغاه، وهاهو ذا لا يزال عالقا بهذا
المكان .. وبهذه الحياة!

أسرع يفتح الباب بعدما مسح وجهه بكمه الطويل، فطالعه تقاسيم
حسنة لمراهقة خجول متحجبة، سألته ووجهها آخذ بالاحمرار:

- مساء الخير، أعلم أننا أزعجناك، لكن والدتي تطلب استعارة
الخلاط إن لم يكن لديك مانع ..
- لا مشكلة، لحظة واحدة ..

ذهب ورجع مسرعا حاملا الخلاط، فناولها إياه قائلا بوجل:
- هاك، قد عرضتُ عليكم مرارا أخذه لكم، لكنكم ترفضون
عرضي دائما ..

- ليس هذا من حقنا، فلنكتفِ بالتطفل!
- ترفضون هدية بسيطة من جاركم؟
- كما كنت ترفض من قبل دعوتنا على الغداء عندنا أكثر من مرة!
- ذاك موضوع آخر مختلف ..
- إنك طيب، لكنك متعنت! شكرا على الخلاط ..



- مهلا..

ووضع يده في جيبه مستخرجا مبلغا من المال أعطاه لها قائلا:

- خذي..

علا الاستنكار ملامحها وهي تتساءل:

- ما هذا؟

- أعلم بمشاكلكم مع الإيجار، ومشكلتك أنتِ بالتحديد مع مصاريف الجامعة..

قالت بإباء وهي تشيح بوجهها جانبا:

- لا شكرا، نحن نعرف كيف نتصرف دون عون من أحد..

بدا شديد الإصرار والحزم هذه المرة لما قال:

- إنني أهيّبُ بك أن تأخذي هذا المال.. أتوسل إليك!

- لا أستطيع، إذا علم أهلي فسوف..

- هاك المال، أنتِ ذكية وستجدين حجة ما، إن ظروفيكم المادية

صعبة للغاية، فكفي عن المكابرة وساعدي أهلك..

ووضع المال في يدها وهي لا تزال تردد بحيرة تامة:

- لا أعرف ما أقول أو أفعل!

- لا تقولي شيئا، اذهبي الآن في رعاية الله..



منحته بسمه ممتنة باهته، لكنه عَجَّل بإقفال الباب خشية أن تغير رأيها فتعيد المال إليه.. انتظر حتى عادت إلى شقتها، ثم فتح بابه من جديد وتقدم بحذر جوار بابهم، فسمع صوت الأم ينبعث من الداخل:

- (لمّة)، هل جلبتِ الخلاط؟

تبسم ساهما، ثم هبط درجات سلالم البناية القديمة مقررا الخروج في نزهة سريعة، حتى أنه نسي أن يقفل باب شقته.. ولم يدر كيف نسي أيضًا - أو تناسى - موضوع الانتحار برمته..



9

(ملاك) يجلس بهدوء الحمل الوديع الآن..

لقد مضى صديقه السجان استعدادا للتحضيرات الأخيرة، إذ سيتم نقله إلى حيث يتأرجح حبل المشنقة، الذي سيتدلى من حلقتة عما قريب..

رمق أرجاء الزنانة الضائقة باسماء، كان ممتنا لتلكم الجدران المتسخة لأنها ألهمته الحرية، ذكرته بالهواء الطلق والعشب الندي..

وتوسلات الضحايا كي يخلصهم من عذاباتهم!

تنهد بجفنين مغمضين متذكرا حياته، وشعر بدهشة عندما رأى سوادا يتخلل كل صفحة من صفحات الماضي.. لكنه وجد الصفحة الوحيدة ناصعة البياض بوضوح كأنما تتلألأ كأشعة الشمس..

تلك الصفحة المتعلقة بها!

سمع وقع خطوات على الممر، تقترب منه، خطوات ذات قرعة صارمة مزعجة..



لقد أتوا أخيرا لأجله!



كَوَّر قبضته المتسخة، ثم أطلقها كالصاروخ على باب الزنزانة
ليحدث الارتطام المؤلم..

وإذ به يسمع صوت القفل يفتح!

دخل حارس يحمل صينية طعام وكوب شاي مصنوع من
الصفائح، وقال له:

- أفقت أخيرا؟ نمت كأهل الكهف!

- لماذا أنا هنا يا (سليم)؟

ردَّ الحارس بشيء من حزن وهو يناوله الصينية:

- اعتبر نفسك في إجازة طويلة، بل الأطول على الإطلاق! حاول

ألا تكثرث لذلك، إذ ستنعم بالراحة لأننا سنوليكَ اهتماما فائقا،
عندها لن تشعر بمرور الأيام!

- أنت تعلم أنني بريء!

صمت الحارس وقد ارتسم تعبير الأسى على وجهه، فقال

السجين بنبرة أقرب للبكاء:

- بالله عليك.. قل شيئا!

- لا أدري ما أقول يا (جرير)!



- نحن صديقان!

- لا شأن لصداقتنا بهذا الأمر، لقد منحتَ قاتلا مختلا فرصة الحرية! فتحتَ له باب الزنانة وجعلته يهرب!

- قلتُ إنني بريسيبيء!!!

أرجح (سليم) رأسه في حركة بلا معنى، واتجه نحو الباب، فصاح به (جرير) مفلتا الصينية لتسقط أرضا مبعثرة محتوياتها:
- انتظر!

وأسرع ناحية الباب، لكن (سليم) وضع ساعده في طريقه باسماء باستنكار..

- «إلى أين؟! لا أستطيع السماح لك بالخروج!»..

أبعد (جرير) ساعده بخشونة، وخرج ليجد ثلاثة حراس في مواجهته دفعة واحدة، جميعهم كانوا من أصحاب الوجوه المألوفة، رفاقه الذين كانوا يطلبون منه مشاركتهم لعب الورق في بعض الأمسيات، لكنهم الآن خصوم له، يحرسونه كأبي سجين آخر!

أثاه صوت (سليم) من خلف ظهره مهددا:

- لا تتهور يا (جرير)!

- أين (عيسى)?

تطوع أحد الحراس بالإجابة متجهما:

- في إجازة، اليوم تضع زوجته طفلا..



- مبارك لهما!

قال آخر متظاهرا بالخشونة:

- وإلى أين العزم؟

- الحمام..

- إذن تفضل من هنا..

- أفضل الذهاب من هناك!

وركض كالغزال الرشيق إلى آخر الممر حيث البوابة الفولاذية،
وكما توقع للأسف وجدها موصدة بإحكام، فاعتصر صدغه بكلتا
يديه لكنم الصداع الذي سكنه، في حين صاح (سليم):

- هدى من روعك يا (جرير).. أرجوك!

لكنه اندفع صوبهم متفاديا قبضة أولهم المحاولة إمساكه، لكنه
اصطدم بالثاني المالك لقوة لا يستهان بها، إلى جانب طول قامته،
وسمعه يقول:

- لا أريد إيذاءك يا (جرير)!

هنا وثب ليلكمه لكمة مضحكة، لأنها تبدت كالصفعة على
وجهه المتيبس! ثارت نائرتة، فطوّح بجرير أرضا، وانهاه على وجهه
باللكمات القاسية..

- «كفى!!»..



بصعوبة سمع (جرير) أحدهم يوقفه، خيل إليه أن عينه اليسرى ترى مشاهد ضبابية! وبصق كثيرا من الدم شاعرا بصعوبة النهوض مجددا، فقال متهاككا:

- أنا بريء! صدقوني!

- فلنحملة إلى فراشه..

رفعه صاحب القامة المديدة كالمولود الحديث، ففكر (جرير) باقتلاع أنفه بأسنانه، ثم أثر أن يستكين..

إلى الزنزانة حملة، وعلى الفراش وضعه..

سمعه يقول محتدا وهو يهز سبابه منذرة:

- تعلم السيطرة على انفعالاتك، فأنا لا أتقن السيطرة على انفعالاتي!

لكن (جرير) انشغل عنه بتأمل السقف المشروخ..

فكر يائسا: هل سأتمكن من الصمود؟ أم تراني أنهار وأرضخ لفخ (ملاك) الماكر؟



10

- «بحق الجحيم!!!»..

كذا صاح أحد عناصر الكتيبة، في حين رفع قائدها سماعة
اللاسلكي المعلق على كتفه صائحا:

- السجين هرب! أكرر.. السجين هرب!

ورغم أن الزنزانة خاوية، إلا أنه ورجاله لم يفلحوا في خفض
أسلحتهم، وكأنهم يتوقعون أن يظهر (ملاك) بغتة، لينقض عليهم
كمصاصي الدماء في الأفلام!

وصل وكيل النيابة برفقة رجاله في تلك اللحظة، يصحبهم
(جرير) الذي هتف مندهشا:

- ماذا حدث؟ هل انتحر السجين؟

- أخبرنا أنت!

قالها قائد الكتيبة بنبرة اتهام واضحة، لكن (جرير) لم يتنبه لها..





استفاق (جرير) غارقا في العرق..

ليلال كان يستيقظ حاسبا نفسه داخل شقته، حيث يواجه التلفاز
الضئيل سريره الخشبي، وحيث تتدلى من السقف مروحة مسودة
الأطراف لا يجرؤ على تشغيلها، كي لا تتطاير محاولاته الشعرية
المدونة في أوراق «الفولسكاب»!

ثم بدأ يعتاد الأمر، بمرارة لا حدود لها صار يفيق وهو على يقين
من سقوطه في فخ ماكر، وبأنه الآن تحول من سَجَّان تعس إلى
سجين أتعس!

دائما تعود به كوابيسه للحظة التي تقدم بها لرؤية ما يدور داخل
زنزانة (ملاك)، يقترب ببطء ورهبة، وهو على يقين من أنه سيجده
متدليا من السقف بملاءة صنع منها طوقا لشنق نفسه.. صحيح أنهم
منحوه فراشا من غير ملاءة..

الجدار! الجدار الدموي! وصورة الدائرة التي رسم داخلها وجه
طفولي باسم، نقطتان تمثلان العينين، وقوس مائل لفوق يمثل الفم!
وأسفل ذلك الوجه الدائري الباسم عبارة بالدم تقول:

ل

إلى صديقي الوحيد جرير.. شكرا لكل شيء!

وعندما يستيقظ، يكون ردُّه الدائم والأزلي بمرارة لا حدود لها:



- لا شكر على واجب.. أيها اللعين!

في الأسبوع الأول امتنع عن الطعام والشراب كنوع من الإضراب..

تدهورت صحته بشدة، فتم نقله إلى عيادة السجن حيث تمت تغذيته عن طريق الأنابيب كي تتمكن أعضاؤه من الحركة مجدداً، أعياهم بضع مرات عندما كان يستيقظ ويزيلها عن ذراعه، لكنه رضح في النهاية..

رأى في مرة سجينه السابق واقفاً أمامه! وقد استند بذراعيه على قائم السرير، فكاد أن يشب لولا وهنه، كان هذا قبل أن يهمس وحي غامض في أذنه بأنه مجرد حلم لا أكثر!
أصدر (ملاك) صوت تأتأة آسفة قائلاً بأسف مصطنع:

- حسبتك محاربا!

- ماذا؟!

- ألم تقل لي أنك حاربت؟

- أخبرتك أنني أنهيت الخدمة العسكرية!

- آااه! هكذا إذن! سامحني على هذا اللغظ، كيف أحوالك؟

- اذهب.. إلى.. جهنم!!

- هذه هي الروح التي أريدك أن تتمسك بها!

وعندما تحسنت صحته أعادوه إلى زنزانته..

رفض أن يوكل محاميا بادئ الأمر، لكنه ولاحقا وافق لسبب كتمه بين ثناياه بعناية وحذر، ففكرة رائعة بدأت بالتكون والتضخم في عقله وقلبه..

أسمع محاميه المبتدئ حكايته بالتفصيل، وبالطبع لم يصدقه.. أخبره الشاب لاحقا بأن الوريقة المهترئة الوحيدة التي يمكن التلاعب بها هي..

- «ماذا؟ أن أتظاهر بالجنون؟»..

قالها ساخرا طبعاً، لكن الشاب الأحمق كان يأخذ مهنته على محمل الجد، بصورة زائدة عن اللزوم، إذ قال مستنكراً:

- عن أي جنون تتحدث؟ لا طبعاً، عليك أن تعترف بالإهمال والتقصير في أداء واجبك!
- لم أكن مهملاً..

- لحسن حظك أن الباب كان مفتوحاً عندما أتى الحراس لأخذ (ملاك)، فلو كان موصداً بالمفتاح لثبتوا عليك تهمة معاونته على الهرب..

- أليس هذا ما فعلوه؟

دَعَكَ المحامي جبهته بإنهاك مجيباً:



- يحاولون فعله.. الأدلة غير كافية لحسن الحظ، خصوصا وأن تشويشا قد أصاب كاميرا التصوير داخل زنزانة (ملاك)، لم تظهرك وأنت تفتح باب الزنزانة بمفتاحك..

- ولماذا أفتحه؟! أنا لم أفتح شيئا!!

كذا صرخ وهو يمدق الطاولة بقبضته مرارا، فراجع المحامي الشاب شاهقا!



يوم من أيام الصيف

السيارة الحمراء نصف نقل تسير حسب السرعة القانونية المسموح بها بمحاذاة الحقل الأخضر الطويل، على الطريق الممهّد والممتد لمسافة منتهية بخط سراي شفاف..

لم تكن تحمل ما هو جدير بالذكر، فقط بضعة أوعية معدنية صدئة فرغت من المبيدات الحشرية، وفسيلة تالفة..

كان فيما مضى مهندسا زراعيًا لا بأس بنجاحه، لكنه لم يكن ممن يقرون لأنفسهم بالنجاح في أي مجال كان، أفكار بغموض أبعاد المجهول غلفت خلايا مخه، فدفعته للتفكير بالكف عن استصلاح التربة، وأساليب الري الحديثة، واستخدام الأسمدة الطبيعية ذات الروائح المنفرة..

أصابه تنقب في مذياع السيارة القديمة بحثا عن محطة واحدة يصله إرسالها، إلا أن التشويش بدا وكأنه قد عمم على سائر المحطات..

بحث عن القداحة حتى وجدها، فسحب سيجارة من العلبة بشفتيه، حاول إشعالها مرارا، لكن القداحة المغشوشة أبت العمل، فرماها من النافذة المفتوحة، وضغط بإبهامه قداحة السيارة..

كانت ذكرى زوجته لا تزال تؤرق ذهنه.. أخبرته يوم توقيع أوراق الطلاق أنه إنسان مشوش الذهن، أثرت في عقله وفاة ابنهما بأكثر مما أثرت فيها هي، وهي تخشى كثيرا أمثاله من الذين يتغيرون هكذا عقب صدمة كالتي حدثت، فيصيرون بعدها هائجين إلى حدٍ مخيف لأهون الأمور وأنفها!

كيف لها الجزم أنه منهم؟ هو ليس منهم..

ربما كان بحاجة لفترة أطول للتأقلم بعد وفاة وحيدهما، ولربما بالغ عندما انكب على فعل أشياء بدت غريبة ومزعجة بالنسبة لزوجته، كترك وظيفته القديمة التي كان ناجحا فيها بحسب رأيها!

عندما التقاها للمرة الأولى، شعر - رغم نحولها لدرجة الهزال - أنها الشريك المناسب، شعر أنه مستعد لبذل شتى سبل التضحيات للظفر بها كشريكة له في حياته الرتيبة كدقات ساعة الحائط..



أما الآن، وبعد رحيلها حاملة معها آخر آماله باستئناف العيش
كزوج ورب أسرة..

رفَّ جفنه بعصبية كجناح طائر، كلما اختلج تضاييق لدرجة
السخط، ظهرت معه تلك الحركة المزعجة يوم لخص له الأطباء
مشكلة ابنه: «ولدك يا سيدي مصاب بسرطان الدم!». .

شعر ببوادر السخط بالفعل..

كما شعر بحاجة ملحة لسيجارته ذات الطرف الذابل، وقداحة
السيارة المشؤومة تأبى الخروج من مكنها! التقط طرفها بأصابعه
محاولا سحبها، لكنها بدت عالقة بعناد أثار استفزازه وسخطه أكثر..
- «سحقا!». .

فلتذهب القداحة والسيجارة لقعر جهنم إذن..

تشاءب مرة أخرى، ربما للمرة الخامسة، فكر في أيام الصخب
الحالية التي لا ترحم أي كائن حي، وبالأعمال التي بقي يزاولها
لسنوات تافهة عديدة.. سخف! سخف! سخف!

لم تدم راحته المزعومة تلك سوى ثوان، فقد تباطأت سرعة
سيارته، رغم أن قدمه لم تتزحزح من موضعها فوق دواسة الوقود..
- «ما هذا الحظ الحسن؟».

وابتلع ريقه لما سكنت السيارة كليا في النهاية..

شرع يدير المفتاح محاولا بعث الحياة في المحرك من جديد..



لم يشتغل المحرك فحاول مجددا...

لم يشتغل هذه المرة أيضاً، فحاول للمرة الثالثة ووجهه يتفصد
عرقا..

وعقب المرة الرابعة أعلن استسلامه التام بإغماض عينيه، ثم دفع
رأسه للخلف..

- «أيتها الخردة اللعينة!» -

بعد دقيقة، فتح عينه اليمنى متفقدا بها خزان الوقود، فوجد
المؤشر معلقا للأعلى.. ليست تلك هي المشكلة إذن..

ترجل من السيارة وهو يصب جام غضبه عليها عبر ألفاظ نابية
حانقة، موقنا بحماقته لأنه امتلك مركبة مثلها.. وهنا قرر أنها جزء
من ماضيه السخيف والممل، فتركها خلفه وللأبد!

هكذا، سار على قدميه مصفرا بشفتيه لحنا للتسلية..

كانت الطريق التي يسير فيها داكنة، على الجانب السريع فاتح
اللون، فافتراض أنه رصيف أو سيصير رصيفا، فالتزم السير عليه رغم
أنه لم يلمح سيارة منذ فترة ليست بالقصيرة، وفي كل الأحوال لم
يكن ذلك يهيمه..

سار في طريقه بخطوات شبه راقصة، تذكر - متهكما - خطوات
رقصة «تانجو» شاهدها في التلفاز.. 123 .. 123!



قبل سنوات كانت جل مشكلاته متركة في إبداع بعض من تلك
الخواطر، مع استصلاح تربة المنطقة الصحراوية، أما الآن..

ياظفر سبابته شبه الطويل هرش شحمة أذنه اليسرى.. بصره يرمق
الطريق الطويل العريض الممتد إلى ما لانهاية، حيث يرى خط الماء
السرابي أو كما يوهمه عقله..

تنهد بحزن عظيم أبقاه مكبوتا في صدره الحار، فلم يشعر
باقتراب تلك السيارة السوداء ببطء خلفه.. لم يشعر بها حتى وهي
تسير إلى جواره، ولا بنافذتها وهي تفتح.. فقط، تنبه لصوت هادي
النبرة يناديه:

- أفترض أنك صاحب السيارة الحمراء المعطوبة على جانب
الطريق.. السيارة نصف نقل؟

باغتته نفضة خفيفة أشبه بالقشعريرة لما قوطعت أفكاره، لكنه ردَّ
متداركا وهو ينظر بخواء:

- تبا لتلك السيارة!
- اصعد لكي أو صلك إذن..
- لا داعي لذلك، أفضل مواصلة الطريق سيرا على الأقدام..
- أتمزح؟ لا يزال أمامك ستون كيلومترا قبل بلوغك أول بناء
يحوي هاتفنا، كما أن الطقس حار للغاية..

«بمن سأتصل بكل الأحوال؟».. كذا تفكر قبل تمعنه في خلقه سائق السيارة السوداء.. كان شابا بالغ الوسامة، ذا شعر أسود طويل، ولم يعلق في باله سوى الندبة القاسية على امتداد ذراعه الأيسر المكشوف..

جلس على المقعد الآخر مسلما أمره للغريب، الذي انطلق بالسيارة مسرعا وهو يقول له:

- كيف تحتمل هذا الجو القائف؟

- الطبيعة متقلبة لبعض الوقت، وهذا حقها..

- حقها الطبيعي؟

وضحك ممررا أصابعه بين خصلات شعره الأسود الطويل..

- «ليس هذا مبررا كافيا للإصابة بضربة شمس، ماذا تصنع في

حياتك غير محاولة اكتساب الأمراض؟»..

ردّ كاذبا ليمارس لعبته المفضلة مع الذين يقابلهم لمرة واحدة

فقط:

- أصنع الحوادث! أعمل سائقا لسيارة أجرة، بالأحرى كنت..

- متزوج؟

ردّ صادقا لأنه كره الكذب في أمر يخص ولده الراحل:

- هجرتني بعد وفاة ولدنا الوحيد..

- رباه! هل تزور أو تزار؟



- لِمَ كل هذه الأسئلة؟ تبدو مهتما لدرجة مريبة يا صاح!
- أتعلم ما الذي اكتشفته من كلامك؟ أن فحواه كله كذب في كذب.. ما عدا الجزء المتعلق بوفاة ولدك طبعاً!
- كيف؟!
- يا صديقي حتى أنا مارست تلك اللعبة الطريفة! مارستها بكثرة مع الحلاقين وسائقي سيارات الأجرة وغيرهم، فصرتُ خبيراً بكشف من يحاول ممارستها علي!
- لقد فاجأتني حقاً!
- ليس بالضرورة، أو من بأن كل واحد منا يمتلك مقدرة معينة أو مهارة ما، ومقدرتي هي كشف الذين يكذبون بسهولة تامة..
- مقدرة تناسب موظف في شركات التأمين!
- ماذا عنك؟
- أنا؟ بإمكانني البقاء مستيقظاً لفترة طويلة من الزمن..
- تلك لعنة يا صديقي!
- قالها قائد السيارة وهو يتأمل الطريق، لم ينظر له كي يحاول تبين صدقه من كذبه، ومن ثم عاود تساؤله المريب:
- لكنك لم تطلعني بعد على طبيعة عملك.. الحقيقي هذه المرة!
- أعمل محاسباً لدى شركة مقاولات!
- كذبة أخرى!

بدا الأمر غريبا وغير طبيعي، ربما هو طبيعي لو أن هذا السائق اللطيف يعرفه من قبل..

- «هل تعرفني أيها السيد؟»..

تبدلت لهجة الشاب إلى ثلج أثار قشعريرته، عندما تمتم وهو يطالعه بعينين زبرجديتين مخيفتين:
- لدينا محادثة هامة أنا وأنت!



في كافتيريا بسيطة جلسا.. طلب لنفسه فنجان قهوة، وللشاب الغامض وجبة مكونة من لحم وبيض كما أراد!
راقبه وهو يأكل اللحم بشوخته صامتا، ثم لم يحتمل أكثر فقال:
- يبدو وأنت تعرفني..

بقي الشاب يأكل بنهم وصمت، فتابع هو في شك:

- يخيل إلي بأنني قد رأيتك من قبل..

- هذا ما يخيل للجميع!

- ماذا تقصد؟

- كل من يقابلني يوحى له أنه شاهديني قبلا!

شحب وجهه، وشعر بصوته يخرج متحشراجا:

- ماذا تعني؟



- أعني أنك قد رأيتني، ولكن ليس في عالم الواقع.. لقد رأيتني
في كوابيسك مرارا، كنتُ من دفعك للخلاص، لكنك الآن تحاول
التنصل من مصيرك!

همس بوجه يتصبب من مساماته العرق الغزير:

- من أنت؟ ما أنت؟!

- لا شأن لك!

- هل أنت..؟!

- إياك والتساؤل! أعلم فقط حقيقة موثقة.. أن الوقت قد حان
لاستخدام ذلك المسدس!

شرب كوبا كاملا من الماء وعرقه لا يكف عن التصبب، ثم نهض
شاعرا باقتناع عجيب لا حدود له، كالمنوم تنويما مغناطيسيا: «لا بد
وأن أستخدم ذلك المسدس!».

رحل دون إضافة حرف في حضرة ذاك الشاب الرهيب، وإن شعر
أنه قد عرف هويته على نحو ما..

لا بد وأنه الشيطان!



11

لم يشعر بالقوة رغم شعوره بمسدسه بين يديه، يوجهه كيفما اتفق..

لطالما اعتقد في الماضي أن حمل السلاح - وإن كان لعبة- وشهره باتجاه معين كفيل بمنحه الشجاعة والإقدام..

يا لذلك التصور الطفولي السخيف!

هاهوذا يحمل سلاحا حقيقيا، لكنه متوتر ومرتعب، يشعر بالأسوأ لا زال في الطريق إليه!

ترى هل يهلك بالموت الفوري كذلك السجين (جمرة) الذي قطع أوردة رسغه بأسنانه؟ أم تراه يجن مثلما حدث مع السجين (بارود)، الذي ظلَّ يصدّم رأسه بقضبان زنزانتة حتى أصابه بكسر في الجمجمة؟

وإذا جن جنونه، أتدعه الكوابيس الرهيبة وشأنه؟

كان قد نزل السلالم الحجرية وفتش في حجرتين دونما جدوى..



ولكن ما إن فتح باب الحجرة الثالثة حتى شهر مسدسه بحنكة
في وجهه اختبأ بين الظلال المفزعة، لكن صاحبه وقف وقفة المعتمد
بنفسه!

سمع ضحكة لم يسمع أشد منها سخرية ووقاحة، فتفصد العرق
من جبينه..

قال صاحب الضحكة ببرودة فجائية:

- لماذا أتيت؟

صرخ (جرير):

- لا تجبرني على قتلك! استدر ببطء..

- يبدو هذا ممتعا!

وتقدم صاحب الصوت ببطء.. فتأهب (جرير) بسلاحه..

كان نصف وجهه (ملاك) الأيمن منتفخا، ونصف وجهه الآخر
مشوها! ورغم هذا كله بدا سعيدا وهو يقول رافعا يده بمسدس قديم:

- أهلا بصديقي الصدوق!

سال اللعاب اللزج من فمه حتى لامس الأرض، فشعر (جرير)

بدموع الذعر محتشدة في مقلتيه، وبنبرة وعيد صاح:

- لا تتحرك!

رقص (ملاك) مقلدا الصغار:

- هأنذا أتحرك!

تبدت مقلته اليسرى لجرير، عليها غمامة ضبايية حولتها لعين عوراء قبيحة.. بدا (ملاك) غير (ملاك).. (ملاك) الجديد بدا قبيحا مروعا مشوها ممزق الثياب، لكن (جرير) كان على يقين من أن هذا شكل الشيطان الحقيقي!

تنشق (ملاك) مخاطه الدموي الذي سال من فتحتي أنفه مبتسما بانتشاء، فقال له (جرير) بغضبٍ جنوني:

- سأقتلك الآن وحالا!

- يمكنك إطلاق النار، لكن الهلاك من نصيبنا في جميع الأحوال! والتمعت في عينيه نظرة غاضبة، وكأنه استنكر أن يطلق (جرير) النار عليه، فقال متلعبا بزناد سلاحه الأثري القديم:

- لنر من الأسرع إذن!

- إياك!

لكنه فوجئ بالمخبول يرفع سلاحه بسرعة جيدة، في ذات اللحظة التي تفوقت بها ردة فعله السحرية.. انطلقت عدة رصاصات في جناح الظلام، وسقط جسم بشري تأوه صاحبه بشدة..

- «اللعنة!»..

سقط سلاح أرضا، وارتفعت اللعنات منصبة على رأس القاتل.. وفي النهاية تتمم الصوت يائسا:

- أنا ملعون!



ثم رفع وجهه للسقف قائلاً بمرح فجائي:

- لا عليك.. بإمكانني التفهم حتى وإن أطلقت النار علي!

غريبة.. أرى رجلاً يراقص امرأة رغم كبر سنهما في السماء!

يا لهما من مخرفين!

وقهقه حتى خرجت الدماء من فيه، ثم أسلم الروح بصمت..

دنا (جرير) والدخان يتصاعد من فوهة سلاحه، بدا غير مصدق

لفعلته، فجلس جوار جثة صاحبه مطرق الرأس..

يبدو وأن مشاكله مع الأرق قد حُلّت أخيراً!



طالت مدة سجنه قبل عرض قضيته على المحكمة، وكأن وكيل

النيابة توصل إلى ذات نتيجة المحامي الشاب، فأزمع أن يؤدب

(جرير) أطول فترة ممكنة!

لكن سير الأمور في قضيته يبشر بخير، وللمرة الأولى ابتسم في

وجه محاميه الشاب والأخير يعده للجلسة الأخيرة..

ظلاً مستيقظاً في ذلك اليوم، وعندما أخذوه للمحكمة شعر بثقل

في جفنيه، حاول التماسك، ثم قدر أن الرحلة تستغرق ساعة تقريباً،

فقرر الظفر ببعض الراحة..

خييل إليه أن نومه قد استغرق دقيقة واحدة، أفاق بعدها على
صخب وضوضاء..

نظر من خلال النافذة مشدوها، فأبصر حشودا غاضبة، ورجال
صحافة وفلاشات كاميرات تصوير تومض بلا هوادة!
- «اللعنة!»..

قالها الشرطي وهو يجاهد لفتح الباب الذي التصق به عشرات
المراسلين، في حين تمكن (جرير) من رؤية لافتات تحمل اسمه مع
تهديدات مروعة بالذبح!



في ليلته الأخيرة بين جدران السجن سمع صوتا أجفله، فهبَّ
واقفا والعرق يتكاثف على جلده، أبصر ضوءا ضعيفا كالشمعة
يتحرك في الظلام!

ترك (جرير) عرقه يبلغ ذقنه وعنقه، وتراجع حتى اصطدم ظهره
بالجدار، عندها تلفت كالمخبول مرددا كلاما غير مفهوم، بدا
كالمدرّك لدنو أجله، النهاية باتت وشيكة! وجلس أرضا متابعا ترديد
الترهات!

شعر بحركة جديدة وقريبة منه جدا، فأطلق الصرخة تلو الصرخة،
ثم توقف وقد علت وجهه مسحة ذهول، واشتدت أكثر لدى سماع



ذلك الصوت الأنثوي القديم الذي تناساه في غمار الأحداث
المؤسفة:

- لماذا تركتني؟

- (نرجس)؟!

- لِمَ فعلتها يا جاحد؟

- أنا؟!

- أنت خائن قذر تناسى أن له خطيبة محبة.. كنا سنتزوج أيها
الشیطان!

- لا يا (نرجس)! لا تصدقي ما قيل عني!

- لن أتق بك بعد الآن يا شريك الشيطان!

- أنتِ لا تعلمين شيئاً، إن قوى مفزعة غير مفهومة تسكن روح
الشیطان الحقيقي الذي وضعني في هذا كله، لن تصدقي وجودها ما
لم تريها!

- ربما رأيتُ الهول مسبقاً، لكنني متماسكة الآن ولا أهاب
الموت..

- ماذا تعنين؟!

- أقصد أن إساءتك ظلت معتمرة في نفسي، والحب انقلب
كرها! لقد أحببتك فبادلت الحب كراهية!
- أنا أحبكِ! ماذا تقولين بالله عليك؟



- لذا عاقبتك وعاقبت نفسي على حماقتي!
تبدل لونه لصفرة شاحبة، وزحف وهو يهتف ذاهلا:
- ماذا فعلتِ بنفسكِ يا (نرجس)؟!
- الوداع يا (جرير)! سأنتظر روحك لتلحق بروحي في الطرف
الملعون من جهنم!
صرخ (جرير) وعيناه تجحطان حتى كادتتا تخرجان من
محجريهما، وتدلى لسانه وهو ينوح كالنساء، ورددت دهاليز عقله
دوامة من الأصوات الشيطانية العابثة، وتمنى الصمت ولو أصيب
بالصمم، لكن الأصوات ظلت ترتفع وترتفع، ساخرة منه، متهمة إياه
بالكراهية، بدفع خطيئته إلى هوة الانتحار!
كادت الأفكار الجنونية السوداء تمزق عقله تمزيقا، فتمنى لو أن
سلاحا كان بيده ليحشره حشرا في حلقة، ومن ثم يطلق النار بيأس
والم!



12

ذات ليلة، سأل (ملاك) وهو يراقب تناوله طعام العشاء بشهية
مفتوحة:

- هل تحلم أنت يا (ملاك)؟

- بالطبع!

- بم تحلم بالضبط؟

تنهد السفاح المليح بحرارة، ووضع كسرة الخبز على الصينية
مجيباً بوجل:

- أحلم بالعودة..

- العودة إلى أين؟

- إلى حيث أنتمي، ولربما حيث أتمكن من إيجادها!

- إيجاد من؟

صارحه (ملاك) بحكاية حزينة عن طفلة شاطرته جُلَّ همومه،
 صارحه بالعاطفة التي دفعته للبحث عنها دون تمكنه من إيجادها
 لغاية الآن، فتمتم (جرير) بوجه عابس ونبرة باردة:
 - كان هذا هدفاً أسمى من سلسلة القتل المروع..

هنا برقت عينا (ملاك) مدمداً بغموض:

- لأجل ذلك الهدف تحديداً قتلت!

- ما قصدك؟

- «أين بإمكانك إيجاد عشرات الوحوش النائرة الساعية وراءك؟
 كلاب شيطانية وساحرات أحرقن ومشعوذون؟»..

- ماذا قلت؟!

وارتسم تعبير مضحك على وجه (جرير)، فابتسم (ملاك) قائلاً
 وهو يغمز بعينه اليسرى:

- لو عرفتَ الإجابة لانكشف لك سري على الفور!

للأسف لم يُجب، وحتى اليوم بحث (جرير) عن إجابة مقنعة فلم
 يجد سوى إجابة واهنة: إن (ملاك) مجرد مخبول لا أكثر!

كان (جرير) يفكر في تلكم الأمسيات الباردة وهو يراقب خارطة
 الدوائر الحمراء متراصة الأطراف.. كل القرى والمدن والأحياء التي
 زارها السفاح سابقاً كي يرتكب جرائمه العجيبة..



كان واقفا بستره بنية، ومن حزامه تدلت مدية الجيش التي حازها
بجدارة عقب إنهائه الخدمة العسكرية، وعلى السرير وضع حقيبة
جلدية ملاءها بطعام معلب..

ثم استخرج من صندوق أحذية قديم مسدسا من نوع «براو نينغ
بي دي إم» الحاوي لخزينة تتسع لعشر طلقات ولخيارين.. أحدهما
تحويل آلية خاصة موجودة علي جانب السلاح الأول، وهو وضع
حركة الزناد المزدوجة التقليدية، والآخر كان وضع حركة الزناد
المزدوجة اليدوية..

دسّ خزانة الطلقات في سلاحه، ثم ألقاه على السرير واتجه
للخارطة المعلقة على الجدار..

بطء شرع ينزع دبابيس الخارطة متذكرا جنازة (نرجس) التي
حضرها مستترا بجدران المقبرة، تذكر مشاعر مندمجة مختلطة
ما بين الحزن والذهول كانت تتلاعب بعقله المشتت، دافعة إياه
لمحاولة اللحاق بها للعالم الآخر كعقابٍ عادل!

ترى هل زارته في زنارته ليلة ألفت بنفسها من شرفة البناية؟

هل كانت تنذره بمصير أسود ينتظره؟

هل كان السبب حقا في موتها؟

والاهم من هذا كله.. هل لديه الشفافية الكافية لتكرار تلکم
الصور الروحانية الغامضة، لكي يتمكن من الوصول إلى حيث
يختبئ (ملاك) الجهنمي؟!!

كان يفكر في أجوبة لكل تلك الأسئلة المخيفة وهو يطوي خارطة
جرائم السفاح بعناية، قبل أن يدسها في جيب سترته الداخلي..
تناول الحقيبة من على فراشه، وألقى بنظرة أخيرة مودعة على
شقته..

وقبل أن يخرج قام بإطفاء الأنوار..



يوم من أيام الربيع

جلس (ملاك) شارد الذهن وقد بدا عليه الوجوم..
لم يلحظ اقتراب (هايا) منه إلا حينما حجبت له بصره بكفيها
الصغيرتين هامسة برقة:

- احزر من؟
- لا يمكن أن تكوني مس (جلیلة) مثلا!
- أزاحت كفيها عن عينيه، وضحكت قائلة له:
- فيم تفكر؟
- بالحياة التي نحياها.. وبالحياة التي سنحياها..



سألته وهي تجلس إلى جواره:

- ما الذي تقصده؟

- أقصد الحاضر والمستقبل..

- والماضي؟

- أحاول نسيانه بشتى الوسائل.. ما فائدة تذكر أن والدتي قد

حاولت التخلص مني وأنا بعد مولود؟

- أتصدق هذه الحكاية يا (ملاك)؟ أتصدق أن أما تفعل ذلك

بطفلها؟

- ولمَ لا؟ البشر ليسوا ملائكة!

صمتا لوهلة تأملا خلالها زرقعة السماء الصافية، ثم همست

(هايا):

- يوما ما سأكون أما جيدة..

ابتسم لها وهو يمسك يدها البضة الرقيقة بحرص قائلا:

- ستكونين أعظم أم!

وعاودا النظر للسماء قبل أن يتابع قوله متفائلا:

- لعل الغدي يكون أكثر إشراقا.. لعل المستقبل يخبئ لنا بعضا من

مسراته التي لم نعرفها لغاية الآن!



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



قرية الخرافات

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب [fb/groups/Sa7er.Elkotob/](https://www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/)
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



13

الشمس تظهر فينة وتتوارى فينة، بين الغيوم البيضاء المتكاثفة
بعض الشيء، في السماء ذات الزرقة الباهتة..

ووسط الحقول البديعة مترامية الأطراف، والتي أضافت مزيدا
من اللمسات الفنية لهذه اللوحة الطبيعية، المرسومة بريشة الخالق
في ذات صباح يسبح بحمده، سار ذلك الشاب المنهك حاملا
حقييته الشبيهة بحقائب الجيش بذراع متصلبة العروق..

لم تتسرب قطرة عرق واحدة من جبينه، رغم الجهد الذي بذله
في حمل تلك الحقيبة الثقيلة، ودون توقف ولو للحظة يلتقط خلالها
أنفاسه..

ثمة كهل فلاح يمتطي حمارا يستحثه بعصا من الخيزران على
الاستمرار في السير، رفع الفلاح رأسه وحركه بتحية قصيرة للشباب،
صائحا بصوت مبحوح بعض الشيء وهو يهدئ من خطى حماره
حتى أوقفه تماما:



- أنت أيها الشاب، أنت غريب عن قريتنا، أليس كذلك؟
 هز رأسه دلالة على صحة القول، فانتزع الفلاح من الخرج قربة
 تجرع منها الماء بنهم، قبل أن يمسخ فمه بظاهر كفه..
 - «من أي الديار أنت؟».
 - «من أرض الله الواسعة!».
 قالها متنهدا، فطالعه الفلاح بفضول قبيل سؤاله:
 - أتريد مساعدة؟ تبدو تائها!
 - شكرا لك..

لكز الفلاح حماره وابتعد.. ابتعد عن الشاب الذي أصلح من
 وضع الحمل الثقيل قبيل معاودته السير..
 وهنا وقعت الجلبة، فاستدار الشاب ليجد أن الفلاح الكهل قد
 فقد توازنه فوق حماره، فسقط أرضا، ثم أمسك كاحله بكلتا يديه
 وهو يئن من بين أسنانه!



من بعيد، لاح كوخ كان من الواضح أنه مبتغاه، فسار حتى بلغ
 بابه..
 دفعه برفق ودلف قبل أن يغلقه وراءه، واتجه لحجرة ضيقة ولجها
 ببطء..



الفلاح الكهل كان راقدا على سرير نهش السوس خشبه، وقد
تلحف فوقه ببطانية ثقيلة وخشنة، لاح عليه شيء من الوهن، لكنه
تمكن من الابتسام بإنهاك لدى رؤيته الشاب الذي دخل عليه..

- «كيف أصبح كاحلك يا عم (جابر)؟».

- «لا بأس، الحمد لله..».

فتح الشاب الصرة الملفوفة بعناية، فقال الكهل باسمًا:

- أراك تبتسم!

- كيف لا ونحن في هذه القرية الخلابه؟

ضحك الكهل الراقد ضحكة قصيرة، ثم قال متمطيا:

- قرיתי هي جنة الله على الأرض!

- كلهم يقولون ذات الشيء، لكنني ميّال لتصديقك أنت!

والآن انهض، أيتك ببعض الطعام، خبز وبيض وبعض الجبنة
البيضاء..

- من أين؟

- من بعض الأهالي، كم هم طيبون! قالوا أنهم سيأتون لزيارتك،
وحملوني دعواتهم وتمنياتهم بالشفاء العاجل لك.. إنهم كالملائكة!

تبدت بسمة باهتة على ثغر الكهل الراقد، وبنبرة متهدجة همس:

- أنت كالملاك يا (جابر)! والمصادفة السعيدة جمعتني بك..

بدت ابتسامه (جرير) أكثر بهتانا، وهو يناول الكهل رغيفا قائلا

بوجوم:

- كل وكفالك مضیعة للوقت..

تجاهل (جابر) الرغيف وهو يقول بثبات:

- لكنك ملاك تائه!

وضع (جرير) الرغيف جانبا، فقد أدرك أن العجوز يرغب

بالحديث فحسب، فقال بوجل:

- أبحث عن شخص..

- عزيز عليك؟

- جدا!

- قريب لك؟

- صديق..

- ولماذا تبحث عنه؟ ألهذه الدرجة مشتاق إليه؟

- جدا!

ضحك (جابر) وهو يمد يده أخيرا لالتقاط الرغيف، وببشاشة

تساءل وهو يقضم منه:

- تبدو صداقة متينة!

أجاب (جرير) باسمها بهدوء:



- بالطبع هي صداقة متينة .. متينة لدرجة القتل!



إبريق الشاي يطلق نفيـره المحتقن، فيسارع عم (جابر) إلى رفعه
من فوق نار الموقد القديم ..

يقول وهو يضع بعض الميرامية مع الشاي في الماء المغلي:

- قصة عجيبة ..

- إنها قصتي ..

- أنت مظلوم يا بني، ولكن حان الوقت لكي تنسى ..

- أنسى؟!!

نطقها (جرير) ساخرا، فحدّجه (جابر) بنظرة عتاب قائلا:

- أجل تنسى! كم آسف أن يضيع شاب مثلك حرّيته في مطاردة

سراب كابوسي .. إن ذاك الوغد لا يستحق أن يصير دفعة لحياتك!

- كلام لطيف، لكنه لن يقنعني مع الأسف ..

قالها مشعلا لنفسه سيجارة، فطلب (جابر) واحدة، وباستخدام

لهب الموقد أشعلها .. ثم قال وهو ينفث الدخان بإفراط من منخريه:

- هل لي بسؤال؟ كيف ستجد قاتلك هذا بحق الله؟

- في الوقت الراهن أزور ذات الأماكن الذي زارها قبلا حيث
اقتنص أرواح ضحاياه، أحيانا يعود القاتل إلى مسرح الجريمة،
وأحيانا أخرى..

- ماذا؟

- أحيانا أراه في المنام، أكاد لا أتبين ملامحه، يناديني وسط
الظلال وسحب الضباب، أحاول أن ألحقه لكنني.. لا أقدر!

- كلام مخيف.. لمَ تقول هذا يا بني؟

- يخيل إلي بأنه ينتظرنني!



14

كانت غايته مكانا مهجورا في بقعة شبه منعزلة، إقطاعية قديمة
دمرها حريق ما، متصلة ببعضها بما يشابه المتاهة، وقد بدت البقعة
مبهجة بالخضار والأشجار، لولا منظر تلك الإقطاعية المهجورة..

لماذا قصد تلك الإقطاعية؟

الواقع أن وراء ذلك حكاية.. فقد اطمئن على حال الفلاح
(جابر)، وقضى يوما كاملا في القرية، على أن يغادرها في الصباح
الباكر مع أولى نسائم الفجر..

قراءة المغرب وبينما كان يتمشى مستكشفا أرجاء القرية، رأى
مجموعة من الأطفال المرحين، وقد التفوا بحماسة حول شيخ
نحيل ظريف المعشر، يضع كحلا لعينيه، يرتدي ثيابا زاهية الألوان،
وطاقيه مزركشة مضحكة الشكل، وقد أخذ يتواثب كالسعادين ومعه
الأطفال يتضحكون بجذل..

توقف (جرير) ليتأملهم راسما بسمه على ثغره الجاف.. كان يرى بعين الخيال مجموعة من الأطفال المرحين، يتدافعون حول كهل مرح ينادي على صندوق الدنيا المليء بالحكايات المسلية، ومن بين أولئك الأطفال، واحد لطالما كانت قره عينه مشاركة أترابه متعة النظر من خلال فتحة الصندوق المهتريء في شغف!

كان هناك عم (زكريا) وصندوقه الملون الذي يحوي حكايا ألف ليلة وليلة، ذكريات لن ترجع، لكنها ستبقى في عقله وقلبه مدى الحياة..

أخذ الشيخ المرح يقهقه بأعلى صوته كما رد القمقم حين يخرج منه، مربتا على رؤوس الأطفال وهو يهتف بحماس:
- سأخرج الآن هذا المنديل الملون من أذن (سؤدد) الكبيرة، فراقبوا جيدا..

وشرع يسحب المنديل من أذن الصبي الضاحك..
- «ثم أدس المنديل في قبضتي هكذا..».
وعقب انتهائه، بسط يده لتخرج حمامة بيضاء رفرفت بجناحيها عاليا، فصفق الأطفال فرحين بما حصل!
هذه القرية لم تفسد بعد عن طريق وسائل الإعلام المختلفة كالتلفاز بقنواته الفضائية، أو عن طريق «الانترنت» لحسن الحظ!



كان الشيخ في تلك اللحظة عاكفا على إخراج فقاقيع الصابون من أذنيه بغزارة! وهو مشهد طريف حقا، جعل الأطفال يتضحكون بأعلى أصواتهم، ثم توقف عن نثر الفقاقيع، وطفق يتأمل الوافد الجديد باهتمام ملحوظ..

بالأحرى كان موليا اهتمامه كله لجريير الآن، الذي حدق في عينيه الكحيلتين ببصر شارد، والغريب أن عرقا غزير بزغ على جبهته، لكنه لم يرفع يده لمسحه، ولم يحرك ساكنا..
- «عم (شحرور)! عم (شحرور)!».

كذا تصايح الأطفال ملتفين حول الشيخ النشيط، لكنه تجاهلهم هذه المرة وهو يقترب من (جريير)، ومدّ يده إليه قائلا بمودة:

- في هذه القرية الكل أصدقاء العم (شحرور) حارس الأطفال!
نظر (جريير) إلى يده قبل أن يلتقطها مصافحا وهو يقول متبسما:
- من الواضح أنك بارع في عملك، فالأطفال يحبونك..

ربت على رؤوس الذين اقتربوا منهما متسائلا بحبور:
- وكيف هي حالك يا بني؟

ردّ (جريير) متفرسا في ملامحه:

- هل تعرفني أيها الرجل الطيب؟

- وهل من الضروري أن أعرفك كي أسأل عن حالك؟



ثمة أمر غير مفهوم متعلق بهذا العجوز البشوش، أمر يصعب إدراكه، فقد بدا مبتهجا كمن وجد ضالته أخيرا بعد بحثٍ مضمّن، نظراته تشي أسراراً مخفية في نفسه، و(جرير) ساكن منتظر..

تساءل العم (شحرور):

- ما الذي تريده يا بني؟

- ما الذي أريده؟ أنا لا أفهم..

- ما الذي تريده حقاً؟ النجاة من اختبار عقيم؟ أم تحقيق أعظم أمر؟

- ماذا تقصد؟

قاطعهُ (شحرور) وهو ينظر للسماء:

- الشمس شارفت على الرحيل، يجدر بي أن أحذو حذوها الآن!
كان الأطفال قد تفرقوا من حوله منذ فترة، ومدَّ يده بغية مصافحة (جرير)، الذي مدَّ يده هو الآخر تلقائياً.. كانت يد الشيخ باردة كالجليد، ولما حاول (جرير) تخليص يده سمعه يقول:

- انتظر يا بني..

وسدد بنظرة هائمة شاردة عندما همس كأنه يناجي نفسه:

- اقصد الأطلال القديمة للقريّة حيث الإقطاعية المهجورة،

هناك ستجد مبتغاك بإذن الله!

- ماذا قلت؟! -



أفلت الشيخ يد الشاب المذهول، ثم ابتعد بخطوات واسعة قائلاً وهو يرفع قبضته:

- أرجو أن تجد ما تبحث عنه يا فتى!

- انتظر.. أئن تطلعني على سر ما ذكرته على الأقل؟

لكن الشيخ غريب الأطوار سرعان ما ابتعد ملوحاً لجريير بذراعه، دون أن ينظر إليه وهو يرفع عقيرته بالغناء..
سمعه فقط يهتف:

- في الأطلال القديمة ستنال مبتغاك!



دخل (جريير) من إحدى الفجوات، وسار ذات اليمين وذات الشمال متنقلاً بين حجرات ذاك «اللايرنث»..

لقد أطلع العم (جابر) على حكاية ذاك «الشحرور»، فضحك الأخير قائلاً وهو يدور سبابته جوار صدغه:

- إنه مجرد عجوز مسكين خرف، ومعظم الأهالي هنا سذج لدرجة التبرك به!

ألح (جريير) عليه أن يوجهه إلى حيث تلکم الأطلال التي قصدها شحرور بكلامه، فقال (جابر) بدهشة:

- لا تقل لي بأنك صدقت ترهاته!

- لم أصدق، اعتبرني سائحا يبحث عن آثار قديمة بغية معاينتها،
كالدهاليز الداخلية لأهرامات الجيزة!
- يا لك من أحمق! ليكن..



أخيرا بلغ حجرة بلا سقف، في إحدى زواياها سلم حجري ممتد
لفوق، مما جعل المكان بادٍ كقلعة مهجورة، فجلس على الأرض
مسندا ظهره للحائط كثير التشققات، وشرع يتأمل من كوة واسعة
في الجدار المقابل الخضرة البهيجة في الخارج، وقد ارتسمت على
شفتيه بسمة متهدجة..



- «كيف تلعب هذه اللعبة؟».

كذا تساءل الصبي (نزار) باهتمام، فوجّه (جرير) الذي يماثله
عمرا بصره نحو الصبية العشرة الذين التفوا حوله، قائلا لهم وهو
يلوح بسعف نخلة كان في يده:

- الأمر بسيط، ينطلق فريقان في الخرابة بعد تسليح الجميع
بالعصي، وإذا لمست عصا واحد من الفريق جزءا من جسم واحد
من أعضاء الفريق الآخر يخرج من اللعبة، ويفوز الفريق الذي يتبقى
فيه واحد على الأقل من دون أن يمسه..



تبدت الحماسة في وجوههم، فهكذا هم الصبية، يجذبون الألعاب المتعبة في الأماكن الخطرة، لكم نهتهم أمهاتهم من الذهاب إلى الخرائب مرارا وتكرارا ولم ينتهوا، ولكم حاولت جداتهم إخافتهم بحكاية الصبي الذي ذهب إليها ولم يعد أبدا، وكيف أن رجال القرى المجاورة شاركوا في البحث عنه طويلا، ولم يجدوا سوى طاقيته وأحد نعليه، فرجعوا كي يشيعوا بين الناس أن «ملكة الجان» قد اختطفت الولد إلى مملكتها! وحكوا للصغار حكايات مروعة عن قدرة تلك الملكة على تغيير صوتها لنبرة يألّفها السامع، فيهرع إلى مصدره ظنا منه أنه شخص يعرفه!

ورغم ذلك كله عاود الصبية الذهاب، وقد رسموا خطة طريفة في حال حاولت الملكة خداع أحدهم، فقد ابتدعوا كلمة سر فيما بينهم للتأكد من هوية من ينادي على أحدهم وهم متفرقين عن بعض! تعددت زياراتهم للخرائب لما اتضح لهم أنها آمنة، وصار ذلك سرهم الدفين والتمين، الخرائب قلعتهم الحصينة والمسلية..

- «هل نبدأ اللعب؟».

- «ولِمَ لا؟».

ويمسك (جرير) عصاه كمن يحمل سيفاً استعداداً للمبارزة.. كان غارقاً في ذلك الكم من الخواطر والذكريات، فلم يدر متى أو كيف غفا في مكانه..

وجد نفسه واقفا في دربٍ ضبابي شديد البرودة، واستطاع
بصعوبة تبيين ظلال مبهمة لأجساد ملتوية كأنها تتعذب، ولما اقترب
منها وجدها مجرد أشجار، تنعق على أغصانها المتكسرة عشرات
الغربان السوداء..

ثم سمع صوتاً أنشويا يناديه، صوتاً مألوف النبرة، وإن شابه شيء
من الصدى، فاستدار ليجدها معلقة في الهواء، مرتدية عباءة سوداء
فضفاضة، وشعرها الأسود الثائر يتطاير حول رأسها كما لو كان
مجموعة من الثعابين، وجهها مختبئ في الظلال تستحيل رؤيته، وقد
أشارت له كي يدنو منها بأنامل معروقة ذات مخالب سود شيطانية!
«ملكة الجان» كما تخيلها تماما في عقله، وشاهدها في أسوأ
كواييسه..

- «بني!».

تصلب شعر رأسه لدى سماعه صوتها..

- «ألا تهرع للقاء أمك؟».

تذكر حكايات الجدات عنها، وكيف أنها تغير صوتها بآخر يألفه
السامع فيصدقه، فحاول الابتسام معلنا فشل حيلتها معه، إلا أن
عبراته سبقت عباراته وهو يدنو منها قليلا، ثم تساءل حائرا ضائعا:

- أماه؟!



راوده الحنين لصدرها الدافئ، وتملكته الرغبة لإراحة رأسه
المثقل بالهموم والهلوسات في حجرها الحبيب ثانية..

- «بني!».

- «أماه!».

- «ألا تهرع للقاء أمك؟»..

وانخفض جسدها العائم في الهواء، فاقترب منها وهو يقول بفكر
مبيليل:

- لكنك ميتة؟!

فما إن صار على قيد أنملة منها حتى أطبقت مخالبها على عنقه
بإحكام، وتلاشى الشعر والجسد لتبقى المخالب، ثم تلاشت الظلال
المعتمة لذلك الوجه المبهم ليتبدى واضحا جليا الآن..

وجد نفسه في بحر من الدماء تتفرقع بين أمواجه المتلاطمة
عشرات الجثث العارية، فصرخ بصوت مختنق:

- من أنت؟!

- أنا الذي تكلم عنه الأعوان بهمس غير مسموع!! أنا علة نصف

البشر!!

رأى (جرير) ابتسامة غارقة بالدماء البشرية الطازجة، وأبصر
خطاطيف معدنية سوداء متدلّية من السماء، تتأرجح هنا وهناك كي
تصطاد الجثث من البحر الدموي كالصنابير التي تقتنص الأسماك!

وصرخ (جرير) أقسى صرخاته وأعنفها لبشاعة المنظر.. كانت
صرخة مروعة، تردد صداها مطولا في أجواء العالم الكابوسي..
ثم تلاشى كل شيء من حوله كما لو كان في عالم قبل ولوجه
آخر، ولهث بشدة عندما تناهى لمسامعه صوت يقول:
- بسم الله الرحمن الرحيم، لا بد وأنه كابوس يا بني فاهداً!



التفت (جرير) إلى محدثه بوجه غارق بالعرق، وبإنهاك تساءل:
- أين أنا؟
- أنت في داري التي هي دارك يا بني..
كان رجلا طيب الملامح، يمسح له جبينه بخرقه مبلولة بماء بارد،
وبالقرب منه تجلس فتاة مليحة حاملة وعاء الماء..
قال الرجل مواصلا عمله:
- لقد داهمتك حمى ليومين بقيت تهذي خلالهما بكلمات
مبهمة..

- ماذا قلت؟

أهو حلم جديد؟ كابوس جديد؟

والرجل لا زال يتكلم:



- وجدتك (أحلام) ابنتي في الخرائب القديمة، وهي التي سهرت على رعايتك ومداواتك بأعشابها الطيبة..

كان (جرير) قد هدأ لحد كبير الآن، فالتفت إلى الفتاة قائلاً بامتنان:

- أنا مدين لها بحياتي إذن..

تخضب وجهها بلون وردي نضر لما همست بحياء:

- أشكر الله الذي لطف بك أيها الغريب..

حاول النهوض من رقاذه، لكن دواراً مزعجاً وعنيفاً هاجم رأسه جاعلاً إياه يترنح بعض الشيء، فاستند إلى كتف والد الفتاة ممسكاً بجهته بأصابع قاسية وهو يقول بوهن:

- أشعر بأنني خائر القوى تماماً..

تبسم الرجل الطيب وهو يرد قائلاً:

- هذا لأنك لم تأكل، هلم فابنتي (أحلام) قد أولمت لك وليمة تنتظر أسنانك!

وفي الهواء الطلق وعلى حصيرة من قش، وأمام حمل تم شيه بعناية، جلس (جرير) ولعابه يسيل للمنظر والرائحة، في حين تربع والد الفتاة بجواره مشمراً عن ذراعيه وهو يقول:

- بسم الله يا بني، الضيف ضيف الله والبخيل عدو الله..

- بسم الله الرحمن الرحيم..



غرف (جرير) بيده من صينية الطعام وملاً فمه بنهم، كان الطعام شهياً للغاية، وصاحب الدار يقول مجارياً ضيفه في الأكل لتحفيزه:

- كل يا بني، فعيار الشبعان أربعين لقمة..

وفي الختام صار الحمل هيكلاً مجرداً من اللحم.. قد كانت أطيب أكلة تناولها (جرير) في حياته كلها!

- «الحمد لله، ربنا أدمها علينا نعمة..».

قالها كل على حدة برضا الشبعان، ثم نهض صاحب الدار داعياً ضيفه لكي يغتسل.. وبعد أن فرغاً وضعت لهما (أحلام) طبقاً من

الفاكهة الشهية، فجلسا ليأكلا منها ويتبادلان الأحاديث..

قال (جرير) لمضيفه المنهمك بتقشير برتقالة:

- الحقيقة يا سيدي أنك أخجلتني بكرمك الزائد، ولا أدري كيف

أرد لك المعروف..

ناوله البرتقالة مقشرة بالكامل مجيياً:

- بأن تصمت وتأكل حتى تستعيد عافيتك بالكامل..

- ألن تسألني على الأقل عن اسمي؟ عمن أكون؟

- أعلم من تكون، أنت ضيفي!

- على العموم اسمي هو (جرير).. على اسم الشاعر!

- حياك الله يا (جرير) في دارك!

صمت (جرير) برهة قبل أن يتمم مرتبكا:



- هل تأذن لي بالخروج قليلا؟

- افعل ما يريحك وأنت مطمئن البال..

وهكذا وجد (جرير) نفسه خارج الدار أخيرا، فسار وهو يملأ بصره بالمشاهد البديعة للأشجار المثمرة، والمساحات الشاسعة للحقول الخضراء، تذكر تلك الأيام العصبية، لما كان راقدا داخل زنزانته التي أولججه (ملاك) إياها، والآن فقط شعر أنه تحرر..

سار متأملا الشمس وقد شارفت على المغيب.. غروب حزين، ياله من منظر آسر ومحير، ما القوة التي تعصر فؤاده مجبرة إياه على العبوس لدى مشاهدته الغروب؟ لأنها تغرب دائما ومعها أحباب وأصحاب؟ أم لأن ذاكرته عن الغروب حملت أقسى ملامح الحزن التي عرفها في حياته؟

كان هنالك راع صغير السن يعزف على نايه، وخرفان تجتر العشب هنا وهناك من أمامه.. يجلس أسفل شجرة كبيرة دون أن يهتم بمراقبة حيواناته العجماء، كما لو كان يركز على الألحان التي يعزفها بحس مرهف، فشعر (جرير) أنه سيبيكي.. ما أعذب تلك الألحان وما أجملها! شعر بها تنطق كلمات مريرة معتمرة في قلبه..

أنصت بقلبه أكثر من أذنيه، وأغمض عينيه طويلا لتلافي مشاهدة المزيد من الغروب الحزين..

ارتفع صوت أذان صلاة المغرب بغتة، فكفَّ الراعي الصغير عن العزف، ثم نهض ليقتراد قطيعه الصغير في رحلة العودة..
شعر (جرير) بالراحة، أذان المغرب بدل حزنه العميق باطمئنان أعمق، شاعرا بذلك الارتياح الغامض الذي يداهمه كلما أنصت للأذان، فجعل سمعه دليلاً إلى حيث مسجد القرية، حيث صلى مع الجماعة بخشوع أقوى من أي وقت مضى، وعقب الصلاة رفع كفيه بالدعاء متضرعاً إلى ربه كي ينجيه من الكوابيس ومن مخالَب الشيطان..

فرغ من دعاء طويل، فمسح وجهه بكفيه، ثم نهض خارجاً مع باقي المصلين.. شعر بهجة لم يكدرها سوى تفكير عابر بأن القرية تبدت له مختلفة بعض الشيء.. وأبصر في الساحة والد (أحلام) واقفاً بصحبة رجلين يكبرانهُ سناً، لمح والد (أحلام) يشير له ببشاشة، فدنا باسمًا..

صافحه قائلاً:

- تقبل الله يا بني، أعرفك على شقيقي الحاج (عبد الجليل الرهباني)، هو مختار قريننا أيضاً، وهذا جارنا (شعلان)..
- تشرفنا..

حدّجه المختار بنظرات متفحصة، قبل تساؤله بنبرة اهتمام:



- أبو (أحلام) قال أنها وجدتك في الأنقاض القديمة للإقطاعية
المهجورة شمال قريتنا، فما الذي كنت تصنعه هناك يا بني؟

- سمعت بوجود شيء هناك..

- شيء؟ شيء مثل ماذا؟

- حكايات غريبة عجيبة، عن..

وصمت كأنما استصعب إيجاد تعبير مناسب، فهتف الرجل
(شعلان) بنبرة حادة:

- ومن أخبرك بوجود شيء هناك؟ وكيف صدقت ذلك وأنت
رجل بالغ؟

حدّجه (جرير) بنظرات مستنكرة، في حين هدأ المختار من روع
الرجل بقوله:

- تريث يا (شعلان)، دعنا نتيين الأمر بترو.. وأنت يا بني، أألن
تخبرنا عن الذي أخبرك بهذه الأمور؟

- الحكايات تتناقلها القرى الأخرى منذ زمن، ثم إن..

صاح (شعلان) مقاطعا إياه بسخط:

- أنت تكذب! لا أحد يعلم حكاية الأغا غيرنا!

وضع المختار راحة يده على كتف (شعلان) قائلا له بحزم:

- اهدأ، لا بد وأنه يقصد حكاية الشبان الذين اختفوا منذ زمن!

قال (جرير) وعقله يكاد ينفجر من فرط الأسئلة المحتشدة
بداخله:

- أجل، أجل، بالضبط!
- ما الذي رأيته هناك وجعلك تفقد وعيك؟
- قرأ فضولا نهما في وجوههم، فتظاهر بمراقبة خطوط النمل
السائرة على التراب مجيبا:
- أخبركم إذا حكيتم لي عن الأغا.. من يكون بالضبط؟
- تحركت قدما المختار فتحرك ثلاثهم معه، وقال مخرجا من
جيبه غليوننا خشبيا:
- دعنا نشرب الشاي في داري وبعدها نتحدث..



15

جلسوا على كراس يدوية الصنع من الخيزران، يشربون الشاي
في جو لطيف النسائم وتحت ضوء القمر.. لكن وجوههم نطقت
بالعبوس لما سيقال، وكان المخترار هو أول من تكلم:
- كان ذلك على أيام والدي المخترار - رحمه الله - حين كنتُ
صبيًا صغيرًا..

في تلك الفترة عمل أهالي قريتنا في أراضي إقطاعي تركي من
أصل يهودي، وهو الأغا الذي كان (شعلان) يقصده.. كان رجلا
قاسيا وبغيضا لأبعد الحدود، يحتكر جهود الفلاحين البسطاء مقابل
أجور زهيدة، بالكاد تسد جوعهم وجوع أطفالهم، وقد اعتاد الأغا
على إقراض الناس بالربا الفاحش، وإقامة حفلات تغضب الله في
إقطاعيته تلك، التي صارت اليوم مجرد أنقاض مهجورة..
كان كشيطان جامح، خلق في الأرض ليعيث بها فسادا..



أما ابنته فقد كانت صورة طبق الأصل عن والدها في شره، فاتنة شقراء ذات عيون خضر، اعتادت الخروج إلى الحقول ممتطية حصانها الأبيض لتلهب قلوب وعقول شباب القرية، فتجعلهم يقتتلون أملاً بالظفر بابتسامة منها!

وفي أحد الأيام قدم للقرية شاب مسلح ببندقية، نزل ضيفا عند والدي وجدي - رحمهما الله - فقاما بإطعامه وإيوائه.. علمنا أنه مجاهد مطلوب من قوات الاستعمار، ففتحن له قلوبنا وبيوتنا، لكنه أصر على العمل في الحقول لقاء ذلك كله..

وذات يوم خرجت ابنة الأغا على صهوة جوادها إلى الحقول لمعابثة الشبان كالعادة، وهناك وقع بصرها على الفتى الذي كان وسيما مشدود الجسم، فكان عشقا من النظرة الأولى، لكن من طرف واحد فقط!

صارت تأتي كل يوم لرؤيته حاملة معها أطيب أصناف الطعام والشراب والحلويات، إلا أن الشاب احتقرها ونبذها لمعرفته بصنائعها مع فتية القرية، أما عنها فلقد كانت على أتم استعداد لتترك حياة الرفاهية، وحتى الديانة اليهودية كلها في سبيل الحصول عليه! أخبرته أنها ستهرب معه حيث يشاء إن صار لها للأبد، لكن الحقيقة التي لم تعرفها الطفلة اليهودية المدللة إلا فيما بعد، هي أن الفتى كان متيما بهوى فتاة حسناء من قريتنا، وهب لها قلبه منذ اللحظة الأولى



التي وقع بصره عليها، فكم من مرة رمقها بنظرات الحب، قبل أن يحمر وجهها وتهرع إلى دار أهلها!

ثم جاء ذلك اليوم المشؤم الذي خرجت فيه ابنة الأغا لملاقة حبيبها متلهفة، كانت متأنفة ومعتنية بتبرجها كي تبهره، وعندما بلغت الحقل شاهدته معها..

كانا ينظران لبعضهما بحبٍ وشوق، وقد كان ذلك كافياً لاندلاع نيران الغيرة في قلب الطفلة اليهودية بلا هوادة، فانتظرت ريثما يحمل الفتى فأسه، ويشرع في مساعدتنا في الحرث، وذهبت فتاته لمساعدة النسوة في تحضير الزاد للفلاحين..

ثم وقعت أبصارنا جميعاً على المشهد المروع لحظة وقوعه.. فقد اندفعت ابنة الأغا بجوادها والكراهية تطل من عينيها كلهب النار، فقضت على غريمتها المسكينة بدهسها بين سنابك الحصان، ثم انطلقت عائدة للمنزل مخلفة جثة خالية من الروح!

جن جنون الفتى المسكين، وبكى بكاءً مريراً وهو يحمل جثة حبيبته بين ذراعيه.. ماتت والدة الفتاة كمداً وحزناً على ابنتها، واعتلت صحة الوالد بشدة قبل لحاقه بزوجه وابنته، فاعتبر الفتى المفجوع نفسه السبب فيما أصاب تلك الأسرة المنكوبة..

قرر الانتقام بشراسة من الأسرة الإقطاعية بالمقابل، فاختار ليلة من الليالي الحالكة، وحفر في بقعة من الأرض كي يستخرج بندقيته

التي دفنها هناك، وكذلك حزام الطلقات، ثم اتجه إلى الإقطاعية عازما على إغراقها بدماء من يقطنوها.. في تلك الليلة الهوجاء سمعنا صوت إطلاق رصاص عنيف، ثم فوجئنا بالنيران تندلع في الإقطاعية.. انطلق والدي وعدد كبير من الفلاحين إلى هناك بغية إخماد الحريق، وإنقاذ من يمكن إنقاذه، فوجدوا جثث الأغا وزبانيته وقد أتت عليها النيران، في حين وقفت ابنته بجوار جثة أبيها وهي لا تكف عن الصراخ، وقد فقدت عقلها تماما..

أنقذوها، لكنهم لم يجدوا أي أثر للفتى أو حتى لجثته عقب إخماد الحريق، وتردد بأنه قد رحل بعد أن أتم انتقامه المروع.. لكن الحكاية لم تنته عند ذلك الحد، أو أنها انتهت قبل أن تبدأ عقب إيجاد جثة ابنة الأغا متدلّية من شجرة عبر جبل شنقت نفسها به!

إذ انتشرت لاحقا حوادث لاخفاء شبان القرية بطرق غامضة، وأشيع يومها أن الغيلان هاجمت أولئك الشبان ليلا، وحملتهم إلى مملكتهم الرهيبة تحت الأرض لتعذيبهم أو التهامهم!



ويواصل الشيخ (عبد الجليل) سرد الحكاية بتأثر واضح:



- استمرت حوادث اختفاء الفتية، حتى لم يتبق منهم سوى فتاة قليلة، فمنعها بقدر هائل من الجهد والحزم كي لا يخرجوا في جنح الظلام، فيلاقوا نفس المصير.. خبر ضيفنا عن ولدك يا (شعلان)..
قال الرجل بملامح مكفهرة:

- كان ولدي (سعفان) يسألني بإلحاح عن الأشباح التي تقطن إقطاعية الأغا المهجورة، فأذرتة ألا يفكر بالذهاب إلى ذلك المكان لأنه ملعون، ولأن الممنوع مرغوب فقد التحق هو الآخر بركب الفتية المفقودين!
قال (جرير):

- إذن فشبان القرية يحاولون كبح جماح فضولهم بزيارة الإقطاعية المهجورة، فلماذا لم تدمروها عن بكرة أبيها إذن؟
ردَّ المختار بشرود ذهن:

- لأن أهالي القرية يؤمنون بأن أبناءهم سيعودون يوماً، لذلك عارضوا بشدة تدمير الإقطاعية.. ثمة شائعة بين النسوة بأن شبح ابنة الأغا يواصل الأعيه مع الشبان، حيث يختطفهم من ذويهم، ولذا فهم يأملون عودتهم!

- يا لها من حكاية!

- أرجو من الله أن تكون حكايتك أعجب!

ابتسم (جرير) برغمه صامتا، فقال المختار متأملا إياه:



- ما الذي رأيته في الإقطاعية المهجورة؟
رأى أبصار ثلاثتهم مثبتة عليه بانتظار الإجابة، فردَّ ببساطة تامة:
- يا سادة لا تتوقعوا من حكايتي الكثير، حاولتُ بدافع الفضول
اكتشاف شيء لسبر أغوار أسطورة اختفاء شبان قريبتكم، فكان ما نلته
الإصابة بغيوبة داء السكري الذي أعانيه!
تساءل (شعلان) بخيبة أمل:
- أهذا كل شيء؟
- مع الأسف..
حدّجه المختار بنظرة طويلة متفحصة، ومن ثم قال بوجل:
- لا بأس، حمدا لله على سلامتكم..
- الله يسلمك..
لكنه لم يكف عن رمقه بتلك النظرات غير المصدقة لكلامه..



16

في تلك الليلة نال الأرق من (جرير)، فتسلل إلى الحوش محاذرا
إيقاظ أحدٍ من أهل الدار..

رفع بصره ناظرا إلى وجه القمر الباسم كما ذكرت الحكاية
القديمة، وفي ذهنه التمتع سؤال أذلي.. أين تراه يكون (ملاك) الآن؟
هل يواصل سلسلة القتل القديم والشنيع؟
أتراه ينتظره؟

لكن بعض الخواطر ضايقت وجدانه بشدة، كعجزه عن الإتيان
بشيء يحول دون حدوث ذلك، قد كان خطبا مزعجا وبغيضا لأبعد
الحدود أن يشعر بالعجز إلى ذلك الحد..

وتنهّد (جرير) شاعرا بألمه النفسي ينقلب لسقر يكوي بدنه من
الداخل..

سدّد بناظريه للسماء، فأبصر القمر من جديد..



سرح بأفكاره في دهاeliz يلجها للمرة الأولى.. في الكراهية تفكر،
كيف أنها تعشش في القلوب، فتميت المشاعر جاعلة إياها سوداء
هامدة..

وعن الحمق البشري تفكر، وكيف أن أفكارا بحد ذاتها هي ما
تصنع مصائر الرجال..

وبينما هو على تلك الحال أبصر ظلا تراءى أمامه على الأرض،
فالتفت ليعرف صاحبه، فوجد الفتاة (أحلام) واقفة!
سألته:

- عاجز عن النوم؟
- إنه الأرق اللعين!
- أطلعني والدي على ما دار بينكم عند عمي المختار..
- وما رأيك أنت؟ أتراها الأشباح سبب اختفاء فتيانكم؟
رمقته بنظرة طويلة قبل أن ترد:
- أخشى أن تقول عني مجنونة..
- عنك أنت؟ أقسم بالله العظيم ألا أنعتك بذلك أبدا!
- تورد وجهها قليلا، فشعر بالخرج من حماسته، وبدا وكأنها تغالب
شعورها بالخجل بصعوبة وهي تهمس:
- أعطني يدك!



كانت تلك أمنية بالنسبة له، فلم يكن يتوقع أبدا مثل هذا المطلوب
الرائع منها، فلباه بكل سرور ودون تساؤلات..

تناولت كفه بأناملها، ورسمت خطأ بإصبعها على خطوط راحة
كفه المبسوطة، فتبسم قائلاً بتهكم لم يتمكن من السيطرة عليه:

- ماذا؟ ستطالعين لي البخت؟

ابتسمت هي الأخرى قائلة بخجل:

- شيء من هذا القبيل!

أغمضت عينها كأنما تتخيل، فصمت وهو يملأ بصره بملامح
وجهها النظرة..

- «قدمت عبر رحلة شاقة وصعبة..»..

قال مستشعرا الذة ملمس أناملها الرقيقة في كفه الخشنة الكبيرة
نوعاً:

- أصبت يا زرقاء اليمامة!

تجاهلت سخريته متابعة بنبرة حائرة:

- أرى قاتلاً.. وأرى قتيلاً!



بدا تعبير خواء على وجه (جرير)..

- «أثمة خطب ما؟»..



أجاب شاردا:

- ماذا؟

ونظر فوجد (أحلام) تراقبه وقد ارتسم القلق في محياها الجميل..

تأملها مليا كالمنوم، فتبسمت برقة وهي تهمس مرتبكة:

- هل أنت بخير؟

- بخير؟

شعر بصعوبة الإجابة على تساؤلها، بريق الحياة في عينيها دفع عقله إلى إعلان التوهم بأنها شاهدت لمحات عن قتل!

اصطنع ابتسامة مريرة على شفثيه مجيبا:

- أنا بخير..

نظرت له بثبات قائلة:

- بدوت وكأنك رحلت من جديد!

وجدها تحديق في وجهه بلا خجل هذه المرة، فارتبك قليلا قبل

أن يرد:

- راودني شعور أن الدنيا لن تكون كما الآن..

- الدنيا بأسرها؟!!

- أجل..

خففت بصرها وهي تهمس متسائلة:



- ألهدا علاقة بما قلته لك؟
- موهبتك دقيقة لحدٍ مثير للشك..
- ماذا تعني؟ أنني أتعامل مع العفاريت مثلاً؟
- ألا تفعلين؟
- وهل أبدو ممن يتعاملون مع العفاريت؟
- وكيف يبدوون بالضبط؟
- قالها وصمت مبتسماً بسمة خافتة، فتساءلت هي الأخرى بفضول:
 - ماذا كنت تفعل في الإقطاعية المهجورة؟ حقيقة؟
 - حقيقة؟ وهل أبدو ممن يكذبون؟
 - بصراحة نعم!
 - يا لها من إهانة صريحة وجارحة!
 - لا زلتُ بانتظار الإجابة..
 - رفع وجهه للسماء دون أن ينطق..



17

أثناء سيره في ساحة القرية عقب صلاة العشاء، فكر بأن أو ان
الرحيل قد آن، فقد أثقل على أولئك الناس الطيبين، وهو الآن
بأفضل حال..

سار ببطء والأفكار تتعارك داخله، جزء منه يحاول إغراءه بالبقاء
والبدء بحياة جديدة، بعيدا عن أعين رجال الصحافة الذين افترسوا
سمعته افتراسا، وأهالي الضحايا الذين أهدروا دمه، لكن جزءاً آخر
صوّر له بطلا عائدا إلى مسقط رأسه، وقد حمل بين ذراعيه جثة
القاتل الشيطان، صحيح أنهم سيسجنونه، لكنه سيصير في أعينهم
بطلا حقيقيا!

كان يحلم بالمجد الذي ينتظره لدى عثوره على (ملاك)، عندما
أبصر ظلا يتحرك بعجلة وخوف، فتوارى خلف أحد جدران
المنازل..



أطل بوجهه، فلمح (أحلام) تتسحب متلفتة حولها، فكر بمناداتها،
لكن طريقة تلفتها الخائفة قليلا دفعته إلى الالتصاق بالجدار أكثر،
وهو يراقبها باستغراب..

سارت على عجل وسار وراءها، ظلت تسير حتى اقتادته لحدود
القرية، فتفكر هنيهة في كنه السر الذي تخفيه، قبل انطلاقة متتبعا
خطاها..



لهث (جرير) وقبض على صدره بأصابع مشدودة، محاولا ألا
تتنبه الفتاة الرشيقة إلى ملاحظته لها خفية.. لم تهدأ لحظة مغادرتها
القرية، فقد بقيت تهول بحيوية ونشاط، كما لو كانت تسارع للقاء
من تحب، في حين شعر (جرير) برغبة في الجلوس قليلا لإراحة
قدميه بعض الوقت، لكن الفتاة لم تمهله ولو ثانية..

شعر في تلك اللحظة بمقت عارم للسجائر اللعينة التي قضت
على رثتيه، وودّ لو يتمكن من بصق القار الأسود الذي يتصبب في
كيانه، ويصعب عليه المشي والركض وحتى التنفس، وصبّ جام
لعناته على حماقات ابن آدم ورعونته وطيشه، وعلى شياطينه التي
تبارك أفاعيله السوداء..

أخيرا بلغت (أحلام) غايتها.. الإقطاعية المهجورة! تماما كما توقع (جرير)، كان يجهل موقعها بالضبط، لكن (أحلام) أرشدته لحسن حظه..

توارت (أحلام) داخل الإقطاعية، فسارع (جرير) إلى اللحاق بها..



كان الظلام هو الأمر النهائي بالداخل، لكن ضوء القمر ساعد (جرير) على تبيين سبيله بين أكوام الحجارة والصخور المتناثرة هنا وهناك..

فكر بالأشباح، هذا مقرها الحتمي، ظلام وأطلال وشباك عنكب، بزوغ الأشباح هو اختبار حقيقي لرباطة جأشه..

كان الممر ضيقا ومعتما للغاية، فاستعان بقداحته..

اقتادته الفتاة إلى قبو لم يكتشفه من قبل، حيث درجات حجرية مؤدية لأسفل بشكل حلزوني طويل، كأنها درجات في جوف قلعة من قلاع العصور الوسطى، وظلَّ يهبط ويهبط حتى فكر بأنها مؤدية إلى قاع الكرة الأرضية!

ولربما إلى مملكة العجان والعفراريت التي تخطف شبان القرية!

ثم تبيين له ضوء خافت، فتنهَّد محاولا التماسك..



توقف بغتة، وبدا منشغلا في محاولة يائسة لتفسير ماهية تلکم الأفكار التي تسللت لعقله كالغاز المخدر.. أفكار باردة.. كثية.. مظلمة لحدٍ لا يمكن معه معرفة خصال المفكر.. أتراها أفكار الأشباح وتحاول مشاطرتها معه؟!!

عاود النزول لأسفل، لكن ببطء أشد من السابق.. وجد نفسه الآن في ممر ممتد، رائحة القَدَم زكمت أنفه، فاستمر بالمضي بلا أدنى اضطراب هذه المرة وكأنه سلم بالأمر! أخيرا بلغ نهاية الممر، وولج قبيل توقفه..

فغرفاه ذاهلا، ونطقت عيناه بلغة الفزع في أقوى صورته.. لم يصدق ما رآه، كأنه كابوس حقيقي انحدر من عوالم الكوايبس الجهنمية!

قاعة عملاقة قديمة تحوي عشرات الفتية! لكن مشكلة بسيطة اعترتهم..

- «إنهم.. إنهم أموات!».

من الواضح أنهم أموات! نظرات خاوية من معاني الحياة، ألوان الجلد داكنة مغبرة، شبك العنكب المعششة في أجزاء من أجسادهم.. لوحة مرعبة بحق!

ولكن كيف لم يتعفونا؟ إنها لمعجزة حقيقية!

ثم من قال أنهم موتى؟ لربما كانوا الآن في سبات عميق كأهل الكهف!

بدت تلك الفكرة أشد إرغابا.. ما الذي أتى بهؤلاء الشبان إلى هنا؟ أهم حقا شبان القرية المفقودين الذين تحدث عنهم الشيخ (عبد الجليل)؟

وما هذا الصوت بحق الله؟!

بدا كصوت خربشات قلم على صفحات ورقية، أو حتى على الجدران، لكن قوتها غير طبيعية، وصداها يتردد في أرجاء المكان، وحتى في أعماق أعماق سراديب عقله..

وجد نفسه يقبض صدغه بكلتا يديه، ثم حاول سد أذنيه وهو يصرخ، فقد صارت الخربشات ضجيجا شنيعا لا يمكن احتماله..

كان هذا قبل أن يسقط مغشيا عليه..

ومن دون أن يتنبه بأن ثمة شخص يقترب منه..



البحيرة المتجمدة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب سحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



18

الهواء البارد يرتطم بوجهه كما لو كان خارج نافذة سيارة مسرعة..
أفاق متأوها، كان هذا قبل أن يشهق شهقة عاتية كالصرخة
المكتومة، فقد وجد نفسه فوق بحيرة مترامية الأطراف وقد تجمدت
مياها تماما!

وأسفل تلك البحيرة، لمح كائنا مروعا عملاقا بصورة مفزعة كأنه
راقد في سبات عميق..

وفوق رأس ذلك الكائن أبصرها.. (أحلام)! بشحمها ولحمها!
خطا بحذر ورهبة فوق سطح البحيرة، وبصره لا يكاد يتزحزح
عن المخلوق الرهيب القابع أسفلها.. ولاحظ أنه كلما اقترب أكثر
من موقع (أحلام) كلما زاد ضجيج تلك الخربشات اللعينة التي
صدعت رأسه، فأدرك (جرير) بأن مصدرها ينبعث من هناك.. على
الأرجح من المسخ النائم أسفلها!

كائن أسود غزير الشعر، مخيف السحنة رغم عدم تبينه تفاصيل
ملامحه بفضل شعره المنسدل على غالبية وجهه، لكنه ميز أجنحته
الأربعة الشبيهة بأجنحة الخفافيش، كما أن قرنين رماديين نبتا فوق
مقدمة جبهته العريضة!

بدا كالتجسيد الشعبي للشيطان في كتب الشعوذة المتحدثة عن
طقوس عبادة الشياطين وإحراق الساحرات، فتنفس بصعوبة قائلاً
بصوت مخنوق من أثر الصدمة:

- بحق المولى الرحيم.. ما يكون هذا الشيء؟! -

- «يسمونه (الربال) في الحكايات الشعبية!».. -

التفت (جرير) وراءه كالمنتفض، فوقع بصره على فارس عربي
مليح التقاسيم، يتقلد سيفاً عجيب الشكل كغصن شجرة طويل،
وعلى كتفه الأيمن تشبث شاهين جارح بمخالبه، بدت عيناه كعيني
صاحبه، حادثين صارمتين!

لا شيء به يتحرك، حتى رداءه.. بدا مع طائره كقطعتين من
الرخام، نحتتا على شكلي إنسان وطيير جارح..

قال (جرير) أخيراً محاذراً تحشرج صوته:

- من أنت؟ وما الذي يحدث هنا؟! -

- أدعى «الفارس»!

وصمت مدة وجيزة قبل أن يردف:



- وأنا هنا لعونك!

نظر (جرير) إلى حيث تجلس (أحلام) قائلاً برهبة:

- هذا مستحيل! لا وجود لحياة مثل هذه الحياة سوى في
الآخرة.. أو الأحلام!

- وها أنت ذا تصيب كبد الحقيقة!

- ماذا تعني؟!

قالها وهو يدنو من (أحلام) ببطء.. كانت ممسكة بدفتر مهتريء
مصفر الأوراق، وقد أمسكت بقلم وشرعت تكتب بسرعة جنونية..
ولكن ليس هذا ما أثار فزعه..

أولا كان صوت الخريشات المفزع والذي يتردد بضجيج صادرا
عن صرير قلمها، وهو يخط الكلمات على صفحات ذلك الدفتر!
وثانيا.. كانت مقلتها ناصعة البياض تماما.. كما لو كانت
ممسوسة!



- «تمشى معي قليلا...»..

بدا التردد في سحنة (جرير)، لكنه لم يلبث أن سار ببطء برفقة
الفارس الوسيم، وسبابته تشير إلى (أحلام) متسائلا:
- أهى بخير؟



- أجل، لا تقلق..

عاود التساؤل متوجسا وبصره القلق معلق بالكائن المخيف النائم
أسفل البحيرة المتجمدة:

- أهو حقيقي؟

- في ذهن الفتاة فحسب! كما أخبرتك سابقا نحن في بحيرة غير
عادية.. قد حضر من قبلك كثير، بعضهم صدق مع الأسف، والبعض
الآخر تيقن من الحقيقة واستيقظ كي..

وتمهل في كلامه، ثم استرسل بحزن تبدى في عينيه السوداوين:

- كي يرحل للآخرة الحقيقية!

- ما هذه الطلاسم التي تحدثني بها؟ أنا لم أفهم شيئا لغاية الآن..

قاطعها الفارس:

- عندما أتت هذه الفتاة إلى هنا سقطت في هوة الخيال، فالهوة لا
تفتح إلا لذوي المخيلة الخصبة، والفتاة امتلكت مخزوننا هائلا من
القصص الشعبية التي نقلتها عن أفواه العجائز، وأولها أسطورتتي..
كانت تأتي إلى هنا لتدوين تلك القصص عندما سمعت الصوت
يناديها، فاستجابت للنداء، وعندئذ.. وعندئذ صارت تكتب لصالحه
هو!

- لصالح من؟



- لا أحد يعلم ما إذا كان كيانا منفردا أو عدة كيانات! لقد تحولت الفتاة إلى أديبة حقيقية! كتاباتها قد تبذل التاريخ نفسه! والدليل أنها غيرت من تاريخ قريتها، بأن دونت حكاية ابنة الأغامع الشبان المفقودين!

- أتعني أن (أحلام) هي التي..؟!!

- بالضبط! إنها لا تكتفي بنقل الرواية، بل تصيغها بقلمها، في أسطورة ابنة الأغامع تنتهي الحكاية برحيل المجاهد بعد أن حقق انتقامه لمحجوبته، لكن الفتاة صنعت نهاية مفتوحة وأسطورة سحرية جديدة، تتحدث عن شبح الفتاة المنتحرة الذي عاد لیتصيد شبان قريتها الأبرياء!

نظر (جرير) إلى حيث جلست (أحلام) لتدوّن قصصها بتلك الطريقة الجنونية، وبصعوبة تتمم ذاهلا:

- إذن فالشبان داخل الإقطاعية هم ذاتهم شبان القرية! لبوا نداء الأسطورة، وولجوا - حسبما خط قلم (أحلام) - ليصيروا في عداد المفقودين!

لماذا لم يتمكن أهالي القرية من إيجادهم؟

- لأن الهوة انفتحت لك يا (جرير) أنت الآخر! انفتحت لواحدٍ آخر من ذوي المخيلات الجامحة، وقد حان الوقت لكي تحجز مقعدك إلى جوارها أنت الآخر!



وأشار إلى رأس (الرئبال) داعيا (جرير) للاقتراب، فصنع الأخير ذلك بساقين معوجتين من شدة الفزع..
ألقى بنظرة أراد لها أن تكون خاطفة، ولكن سرعان ما تسمر على تلك الوضعية لفترة طويلة..
لقد أبصر سحنة الرئبال التي تصاعدت من داخله، رأى وجهه الذي لطالما اعتبره الوجه الحقيقي للشيطان..
وجه غريمه (ملاك)!



19

تبدت نظرة رعب في عيني (جرير)..

- «لابد أن أخرج من هنا!».

- «ولابد من إنقاذ الفتاة!».

قالها الفارس بلهجة تبدت لأذني (جرير) حزنا بالغا!

سار بخطوات متمهلة حتى بلغ رأس (الربال) النائم في سباته

المخيف، ثم امتشق سيفه العجيب من غمده، وطوّح به بمهارة قائلاً:

- أتريد الخروج حقاً؟

- مادام هذا كله زيف..

- كله؟

- ماذا تقصد؟

- أقصد أن الخروج قد لا يرضيك أيضًا..

- لم أفهم..



تنهد الفارس رامقا السماء، وبنبرة عابسة قال:

- إذا خرجت ستري أموراً عالقة بالذهن مدى الحياة، لن تفارق
مخيلتك، وسيختلط واقعك بخيالك، وعندئذ.. إما التعايش بصبر،
أو الجنون المؤدي للاتحار!

لاح تردد على محيا (جرير)، ولكن سرعان ما تلبسه عناد مطبق،
فاندفع إلى الفارس صائحا:

- أخرجني من هنا!

- أنت شجاع.. خذ السيف..

تناوله (جرير) متسائلا:

- وماذا أصنع به؟

أشار الفارس للرأس المغيب أسفل صفحة المياه المتجمدة،
قائلا:

- مفتاح الخروج من هنا!

احتدت نبرة (جرير) لما صاح بسحنة محتقنة:

- كان الحل بيدك طيلة الوقت ولم تتمكن من نجدها؟!

تبسم الفارس للمرة الأولى قائلا بأسى:

- أنا شخصية وهمية من صنع مخيلتها الخصبه! شخصية

كالفراغ، لا تقوى على فعل شيء!

وأشار للغول النائم مضيفا بحزم:



- هذا الشيء يقتات على أحلامها، والآن يُعِدُّ نفسه لوجبة متخمة بأحلامك السوداء، إنه يعيش الكوايس، فهي بمثابة التوابل على وجبته!

كان (جرير) يتأمل رأس الكائن الضخم شاردا، وعندما عاد يبصره تجاه الفارس، وجده ممتطيا صهوة جواد أبيض ناصع البياض بارع الجمال!

كان من الواضح أنه بزغ من العدم، تماما كفارسه المجهول!
- «حظا موفقا!».

نطقها الفارس، ثم وثب بجواده الأبيض في الهواء كالطلقة!
وهناك.. تلاشى كأن لم يكن!

بحث عنه (جرير) بجزع هناك.. في السماء.. قبل أن يعلن استسلامه الصامت، فعاود النظر إلى الرأس المخيف الذي كان بحجم سيارة صغيرة، وداهمه التردد فلم يدر ما يصنع..

قال لنفسه شاعرا بالعرق يتكاثف من مساماته وبرعشة في أطرافه:
- الكرة الآن في ملعبك!

مرت دقائق قبل أن يحسم ترده أخيرا، فرفع السيف عاليا بكلتا قبضتيه، موجهها طرفه المدبب إلى قمة رأس الوحش النائم!



20

فرغت (أحلام) من مطالعة تلك الحكاية المصاغة للمرة المائة.. كانت قد آوت إلى فراشها الدفيء قابضة الدفتر المصفر الذي حافظت عليه قدر استطاعتها.. ذاك الذي أهدها جدها لها في عيد ميلادها العاشر، والذي لا تسأم مطالعة فحواه من الحكايات الشعبية التي صاغها قلمها الناشئ، والتي سرد بعضها عليها في ليال لا تفارق ذاكرتها ومخيلتها الحاملة الشغوف بكل جديد ومثير..

رقدت على الفراش متناولة بأناملها البضة القمحية مجلدها الأثير، ثم التفت لتصير بذلك راقدة على ظهرها..

وبعد تردد، فتحت على الصفحة حيث دسّت زهرة ياسمين، مطالعة نهاية الحكاية التي تتجاهلها في كل مرة..

ثم أرقدت الدفتر على صدرها متنهدة، وتأملت ببصر شاخص سقف غرفتها القديم، تاركة العنان لأفكارها الخيالية، تتقاذفها بلا هوادة كقارب وسط عاصفة ضارية..



وللمرة المائة، تحرك ثغرها الجميل بشفتيه الناضجين مكررة
بتهدج محزن:

- لقد حطمت لي قلبي!



شعر بكفٍ على كتفه تربت، وبأنامل على جبهته تمرر، فأفاق
ليجده جالسا بجواره ومنحنيا فوقه.. الفلاح العجوز (جابر) بشحمه
ولحمه!

أراد الصراخ وقد بدا مصعوقا لتلك المفاجأة، في حين ناوله
(جابر) قارورة ماء قائلا ببسمة:

- أرى أنك قد أفقت أخيرا! حمدا لله!

«أكنتُ أهذي أم ماذا؟!»... كانت تلك كلمات عقله، أما لسانه
فقد جرت الكلمات عليه بحشرجة وحنق:

- ماذا تفعل هنا؟

- قدمتُ للاطمئنان عليك! اشرب الماء..

تجرع بنهم حتى كاد أن يشرق، فأبعد (جابر) القنينة برفق عن
شفتيه وهو يربت على ظهره، في حين سعل (جابر) وهو يهتف بنبرة
مختنقة:

- ماذا.. حدث؟!!

- جئت لتفقد أحوالك، فوجدتك قابعا على الأرض تتلفظ
كلمات غير مفهومة، لو هلة حسبتك أصبت بالصرع!

نهض (جرير) مستندا إلى كتف الفلاح قائلا بملامح منهكة:
- كنتُ هناك! في القرية حيث المختار (الرهباني) و(أحلام) و..
قاطعهُ (جابر) ضاحكا بدهشة:

- (الرهباني)؟ أتقصد المختار (عبد الجليل الrehباني)؟! لا بد
وأن الصدمة كانت أشد من المتوقع يا فتى! فأنت تتحدث عن تاريخ
قديم يخص قريتنا! كيف عرفت باسمه؟

حدّجه (جرير) بنظرة حانقة، لكن (جابر) تجاهلها مردفا:

- الحاج (الرهباني) كان مختار القرية أيام طفولتي! رحمة الله
عليه! الرجل توفاه الله بعد أن عهد بالمخترة إلى (سعفان) ابن الحاج
(شعلان)!

صاح (جرير) بانتصار:

- لحظة واحدة، إن ابن الحاج (شعلان) مفقود إثر حكاية قديمة
عن فتاة يهودية مخبولة و..

- أتقصد حكاية ابنة الأغا؟ رباه! ذكرتني بالذي مضى يا فتى!
لقد اختفى شبان القرية الواحد تلو الآخر بطريقة عجيبة ومخيفة،
ولكنهم وفي نهاية المطاف عاودوا الظهور.. جميعهم!



أذكر أن احتفالا عظيما أقيم ليلة رجوع الشبان بالسلامة، رقص
وغناء حتى مطلع الفجر!

- يا للطرافة.. وكيف عادوا؟ ألم تسألوهم؟
- سألناهم طبعاً، لكنهم لم يذكروا شيئاً.. كانت حادثة ولا أغرب!
أسند (جرير) ذقنه على سبابته مبهوتا..
ونظر مراقبا القرية من بعيد، خائفاً، مذهولاً، متوجساً.. ظلَّ
كذلك حتى بللت أرنبة أنفه قطرة ماء هوت من السماء، ثم تلاحقت
القطرات ليشرع المطر بانهماره الجنوني..

- «حلت علينا بركة السماء! هلم إلى داري يا بني فرحيلك عن
هنا في هذا التوقيت أمر مستبعد تماماً.. هاآيبيي! إلى أين تذهب؟!
لكن جريراً سار كالمترنح تحت شلال المطر ملقياً بحقيقته على
ظهره..

- «عُد يا فتى! ما خطبك بحق الله؟!»..
تجاهله مواصلاً رحلته الحثيثة، فيأس (جابر) من مناداته، واكتفى
بمراقبته حتى توارى عن ناظريه.. بين قطرات المطر الثائرة!



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



ثلاثة تأرجحوا بحبال المشنقة!

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب / fb/groups/Sa7er.Elkotob/

sa.7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



21

في منتصف مفترق الطرق المقفر، والذي يشابه الصليب أو علامة +، وقف (جرير) مريحا متاعه عند ساقه اليسرى، ورمق بمتهى بصره السبيل الممتد أمامه محاولا سبر أغواره بمخيلته، حيث سينطلق به بعد قليل إذا ما كانت الحافلة تمر من هنا كما قيل له..

منح ظهره للطريق الذي جاء منه، وتجاهل كلا من الطريقين على يمينه وشماله.. بصره متشبث بالدرب الأمامي، حيث الغبار الذي يهب بين الفينة والفينة مشكلا غمامة ضبابية داكنة، ولا شيء غير ذلك..

المحطة نفسها مثيرة للاهتمام.. فقد كانت عبارة عن منصة خشبية مهترئة، تنتصب على سطحها ثلاثة أعمدة عرش السوس في خشبها بنهم، على قمة تلكم الأعمدة عوارض خشبية مثبته بزوايا قائمة، منتهية بحبال ثلاثة أيضًا، اثنتان منهما عبارة عن أنشوطتي شنق!



والثالثة واضح أنها ممزقة الطوق.. تؤرجحها الرياح معا برتابة مثيرة
للقشعريرة..

- «أنت.. أنت بانتظار..».

جفل (جرير) ناظرا للوراء بسرعة قصوى، فوق بصره على
عجوز قصير غريب الهيئة، وقد أردف ذلك العجوز مكملا جملته
بعقيرة خفيضة:

- «الحافلة؟».

تنفس (جرير) الصعداء، و متماسكا أجاب:

- «أجل..».

- «أنا.. أنا كذلك!».

- «مرحى! إذن سنتظر معا!»..

- «أجل.. أجل!»..

رمقه (جرير) بنظرة جانبية وهو يعكف الآن على لف سيجارة
بتأن، وقد جلس القرفصاء..

كان مبرقشا بتلك البقع البنية المشيرة للغثيان، و خصوصا على
صلعته التي تشبث بمؤخرتها بقايا شعر رمادية.. كانت ثياب العجوز
عبارة عن بدلة رمادية بالية، وقد تدلت من عنقه ربطة عنق سوداء
متسخة ببقع الطين، أم أنها موضوعة تلك الربطة؟!!



أخرج العجوز لسانا داكنا بطول لسان الضفدع، كي يلحق ورق لف السيجارة ويحكم إغلاقه، تبدت بقايا أسنانه، مزيج من السواد والصفار، ولما بصق خرج ذلك المزيج على شكل سائل شبه ثخين، فتقلصت ملامح (جرير) في شيء من اشمئزاز..



- «سيجارة؟»..

نظر (جرير) إلى زميل الانتظار ذاك وسيجارته يدوية الصنع التي يعرضها عليه، وبتؤدة دمدم مجيبا:

- «لا شكرا..»..

هز العجوز كتفه مشعلا سيجارته بعود ثقاب، فرمقه (جرير) بنظرة ثابتة قائلا له:

- «لم يفث الأوان لتركها يا جدي، صحتك لم تعد..»..

سعل العجوز مقاطعا، ولما هدا صدره قليلا سحب نفسا شديد العمق هامسا باستهزاء:

- «لم يفث الأوان؟!»..

وأطلق سراح الدخان من منخريه، فتحول إلى ثور عجوز ضامر ينفث الدخان بكثافة، وبتجهم تابع القول:

- «أنا كما يقولون: قدم هنا وقدام تخطو هناك.. تجاه القبر!»..

- «يا لك من متشائم!»..



- «بل واقعي لحدٍ لا يصدق..»..

وشرد ببصره على قارعة الطريق، ثم صعد به إلى حيث المنصة،
وبتؤدة تسلق حتى اتسع على مشهد الحبال الثلاثة المتأرجحة
المخيف..

بصق مجددا، ثم سعل.. بعدها دمدم بالقول:

- «أتصدق أن بيتا بأكمله كان مبنيا هنا؟»..

- «هنا؟ هنا أين؟»..

- «محل تلك المنصة بالضبط!»..

- «أنت تمزح!»..

- «أقسم لك!، كان بيتا خشبيا صغيرا، لكنه تبدى من أجمل
البيوت في تلك الأيام..»..

نظر (جرير) بدوره، وثبت بصره على الحبال هو الآخر متسائلا:

- «وما قصة تلك ال..؟»..

رمقه العجوز بنظرة سريعة مُعقبا:

- «الحبال؟ قصة غريبة.. غريبة حقا..»..

وتنشق عبر العقب متنهدا، فأدرك (جرير) أنه سيسرد الواقعة - إذا
ما كانت كذلك - لا محالة.. لا بأس بتسجية بعض الوقت في سماع
ما سيقوله!





تنفس العجوز بتؤدة وهو يطم بشفتيه واجما، فبدا كسلحفاة
طاعنة بالسن..

راقبه (جرير) وهو يسدد ببصره تجاه العوارض الخشبية، ثم
سمعه يقول بنبرة خفيضة لكنها مسموعة:

- «البيت كان يضم عائلة صغيرة، رجل وابنته فحسب.. الزوجة
ماتت عقب ولادة الابنة مباشرة، يعلم الله سبب التعاسة التي طاردت
الرجل، والذي اختار أن يربي ابنته بنفسه، دون معونة من أحد..

كان له شقيقات وأشقاء، أعمام وأخوال وأولادهم.. ضوضاء لا
يمكن احتمالها! دفعته لاعتزال الجميع في شقته المتواضعة، تجاهل
زياراتهم وتخلي عن الهاتف، ولما وجدهم يتابعونه بصورة شبه
دائمة بلزوجة لا توصف، احتمل ما قدر على احتمال من متاع، ثم
ارتحل مع ابنته التي صارت في السابعة من عمرها، حتى بلغا مفترق
الطرق هذا!

هنا، توقف الرجل متفحصا المكان، وبعد معاينته صار على يقين
من أنه المكان المنشود.. فأخبر ابنته أنهما سيقومان على مفترق
الطرق، وسيبني لهما بيتا بسيطا من الأخشاب المتناثرة هنا وهناك!..
أرجح (جرير) برأسه مدمدما:

- «قصة غريبة.. لكنها معتادة نوعا..»..

حدّجه العجوز بنظرة متهكمة مردفا:



- «ثم بدأ الرجل ببناء البيت..»..

تبسم (جرير)، فالعجوز لم ينه قصته.. عليه بالكف عن مداعباته القاسية والإنصات حتى النهاية، فالحافلة ستأخر كما يبدو.. المهم ألا يجلس إلى جواره داخلها متابعاً أحداث قصته الرتيبة..

- «أنهاه في غضون شهر ونيف.. وأثناء ذلك كان ينام مع ابنته داخل خيمة، المنطقة مقطوعة من البشر تماماً، وبالأخص من أولئك الذين يؤمنون أن الشيطان يبزغ في مفترقات الطرقات، كان ذلك يريحه، حتى ابنته كانت ذات همّة عالية، تمازحه وتساعده، لم يحدث أن شكت له الوحشة قط، لا بل على العكس تماماً، فقد كانت مسرورة..

انتهى البيت، وعاشا معا حياة هي البساطة بعينها، كان الأب يمتلك بندقية لصيد الطيور والأرانب البرية، وصنارة يذهب بها برفقة صغيرته إلى البحيرة البعيدة لاصطياد بعض الأسماك، ناهيك عن الغابة التي تمدهما بما تيسر من ثمار وبقوليات..

لم تكن أفضل معيشة، لكنها تبدت كذلك لكليهما.. كانا حقا سعيدين، ولم يؤرق عليهما سوى زيارة ذلك الشخص..»..

وتبدت نظرة قاسية في مقلتيه الغائرتين، فتأملهما (جرير) مليا..
تساءل (جرير) وهو يهرش ذقنه:

- «نظرتك تكاد تقول أنه كان شخصا سيئا للغاية!»..



- «كذا تقول الحكاية، تصفه بشابٍ يحمل حكمة الشيطان!»..

- «وهل الشيطان حكيم؟»..

ضحك العجوز مردفاً بسماحة:

- «هل الشيطان حكيم؟! كيف له إذن أن يدير ملايين الرؤوس، ويقنع العالم بأمور لا يتوجب عليهم الاقتناع بها؟ ألم يعيش كورونا وما زال أمامه مزيداً من القرون؟ إنه أكثر حكمة من البشرية جمعاء!»..
- «أختلف معك!»..

- «لا بأس! لكن دعني أقل لك أن الشيطان يظفر بما يريده من البشر متى أراد ذلك، وبالنسبة للبقية التي تحسبها راسخة كالطود الشامخ متسلحة بالضمائر، فتلك مسألة وقت فحسب!»..

لم يحجب (جرير) ما سمعه للتو، وكاد أن يجادل لولا رؤية العناد في تقاسيم العجوز، فأرجح يده قائلاً:
- «أنه قصتك يا رجل واعتقني!»..

- «حُباً وكرامة.. كنتُ أتحدث عن ذلك الشاب الذي زارهما في تلك الليلة، وقد تفاجأ الأب - بل وتضايق بشدة - للظهور المفاجئ لذلك الغريب، لكن ابنته بدت متحمسة للغاية، فعرض مضطراً على الغريب المكوث ليلية واحدة معهما..

وافق الغريب.. وتناول معهما طعام العشاء، سامرهما وسرد لهما عديداً من القصص المثيرة، ورويدا ووجد الأب نفسه يحب ذلك



الشباب! فعلا! وخصوصا عقب نوم الابنة وبقاءهما ساهرين معا، كان شابا معسول اللسان، له وجهات نظر فريدة من نوعها في الحياة، وقد قرأ عقل مضيفه بخصوص ارتحاله إلى هذه البقعة النائية، بعيدا عن مرأى ومسمع باقي البشر لابتناء بيته، وأيده في ذلك بشدة..
هكذا، ومن دون أن يشعر، صار ضيفه الشاب فردا ثالثا من أفراد عائلة البيت الخشبي على مفترق الطرق!«..

تبسم (جرير) بسخرية قائلا:

- «بتلك البساطة؟!«..

سرح العجوز ببصره مجيبا:

- «أجل.. بتلك البساطة! رحبت الابنة بوجوده بحرارة، لدرجة مناداته بشقيقها الأكبر، وعاش الثلاثة كأسرة واحدة، ينامون معا، يستيقظون معا، يصطادون ويأكلون ويشربون معا..
إلى أن وصلت أذرع الحكومة الأخطبوطية أخيرا إلى هنا، مقررّة بناء محطة انتظار الحافلات!

إلى جانب المحطة، كان من المقرر كذلك بناء عدد من الحوانيت، واستراحة، ووجد الأب نفسه يعيش كابوسا لما أدرك أن حلمه باعتزال البشر قد شارف على نهايته، والذي زاد الأمر سوءا أن الابنة مرضت بالحمى لدى معرفتها بالخبر..«..

- «وماذا كان موقف الشاب؟«..



- «إليك ما حدث.. استيقظ الأب ليجد ابنته سليمة معافاة كأن لم يمسسها سوء! تهللت أساريره لتلك المعجزة، فأخبرته ابنته أن الشاب هو السبب، فقد أعاد لها الأمل مجددا!

بالطبع لم يفهم الأب مقصدها، شكر الشاب وسأله عما فعله كي يعيد لابنته نضرتها، فأخبره أنه قد وعدا بأخذ الأسرة إلى مكان لا يمكن لبشر الوصول إليه!..»

بنظرة جانبية تفحص (جرير) ملامح العجوز كما لو كان يدقق في تجاعيده الغائرة باحثا عن شيء ما، لربما انفعال، أو خلجة تدله على ما يخفيه من سرائر.. لم يتنبه العجوز لذلك بل واصل السرد:

- «ما هو ذلك المكان؟ كذا تسأل الأب.. جزيرة وسط المحيط مثلا؟ وإذا كان كذلك فكيف السبيل للوصول إليها؟ لربما كهف بين ثنايا جبل، لكن ابنته لا تجيد التسلق..»

إلا أن الشاب طمأنه إلى أن ذلك المكان بمتناول أي شخص يزعم الهروب.. سيهربون ثلاثتهم من هذه الدنيا بأسرها!..»



شعر (جرير) بضربات قلبه تتصاعد بعنف، ورمق برهبة حقيقية منصة العوارض الخشبية، حيث جبال المشائق المتأرجحة، وارتعشت شفته السفلى لما غمغم:

- «هذا.. مستحيل!..»



- «وما المستحيل بالضبط يا بني؟»..

- «أتريد القول بأن الثلاثة قد..؟!»..

- «هذا ما أحاول قوله فعلا!»..

- «قصة غير معقولة على الإطلاق!!»..

- «ولماذا؟»..

حدّجه (جرير) بذات النظرة التي نطالع بها أي مجنون، وهتف
بلهجة شديدة الاحتداد:

- «لأن الأب لن يوافق على مصير ابنته الشنيع ذاك بتلك البساطة
اللامتناهية!»..

- «بعض البشر قد يفاجئونك بما يقدرّون على فعله..»..

- «ألم يكن يحبها؟!»..

- «وبالذات باسم الحب!»..

- «ما الذي تحاول قوله؟!»..

تنفس العجوز رافعا وجهه لفوق، وتأمل السماء الغائمة مجيبا
بكآبة:

- «قيل أن الخلاص أحد أفضل النماذج الهامة في وصف القلق
للنفس للبشرية، وتم الاقتباس من روحه آلاف حالات الانتحار
هربا من خلق الإثارة العصبية الواقعية، تلك مقومات لشخصية
مضطربة وغير متزنة تلعب في داخله.. يقابلها في ظاهره شخصية



أخرى تفرز لنا تلك الخصائص السلبية المتمثلة في خليط من الطباع السيئة والصفات القبيحة والمستهجنة، مما يجعله مكروها من الناس، ومُبعدا - قسرا - عن الاختلاط بهم، أو أن يكون جزءاً منهم.. بالإضافة إلى كونه يشكو من ضياع هويته، وفقدان إحساسه وحماسه وحيويته تجاه الحياة، حيث لا يعرف تماما ماذا يريد أو كيف يحققه.. فحياته أشبه بالروتين القاتل الذي يسيطر على نظام حياته، ويصنع منه شخصا باردا متصلبا وفاقدا للإحساس الشعوري، أو التجاوب الطبيعي مع العوارض العاطفية..».

في هذه المرة كانت نظرة (جرير) للعجوز ذاهلة بالمعنى الحرفي للكلمة..

وقد طال صمته وهو يتفحص العجوز بنظراته المتسعة، قبيل أن يهتف:

- «ماذا تقول بحق الله؟! ومن تقصد بكلامك هذا؟ الأب أم الشاب؟!».

عاود العجوز التبسم، فصاح (جرير) ذاهلا:

- «لقد تحدثت للتو كما لو كنت طبيبا نفسيا! لكن لحظة.. أهدأ هو؟ أهكذا عرفت بالقصة؟ أنت طبيب نفسي؟».

- «ليس بالضرورة أن تصلني القصة لمجرد أنني كذلك..».

ونظر إلى عقارب ساعته الفضية في معصمه الأيسر، وقال:



- «لم يتبق الكثير على موعد وصول الحافلة..» ..
- «أين وجهتك؟ إلى أين تذهب؟» ..
- «أنا؟ أنا.. لن أذهب إلى أي مكان.. المهم أين تذهب أنت!» ..
- بدا (جرير) مضطربا وهو يتراجع بضع خطوات للوراء، وامتدت يده ببطء وحذر ناحية المسدس المخبأ أسفل حزامه، متسائلا بتحفظ:
- «مالك ومال وجهتي أيها العجوز؟» ..
- «دعني أفرغ من القصة يا بني..» ..
- «لا أريد قصصا.. أريد معرفة الحقيقة.. من تكون؟ وماذا تعلم عن وجهتي؟» ..

لكن العجوز تجاهل تلك الأسئلة متابعا كأن شيئا لم يكن:

- «في تلك الليلة الباردة، تحول البيت الجميل الهادئ إلى منصة إعدام بحبال المشانق! بمساعدة الشاب الغريب تم هدم بيت الأحلام، وبمساعده تمكين الأب من بناء هذه المنصة، أترغب حقا بمعرفة الأمر المرعب في ذلك كله؟ أن الابنة البائسة ظلت على حماسها، فالغريرة لم تكن تملك أدنى فكرة عما بينانه، وقد خيل لها أنها مجرد لعبة مسلية كالأرجوحة..

والآن إليك ما هو حتى أربع..

اتخذ الثلاثة أوضاعهم فوق المنصة بأعناق مطوقة بحبال المشانق، وقاموا بتوديع بعضهم البعض بغبطة.. فهم راحلون إلى



عالم يبعد كل البعد عن عالم البشر المقبض، بعيدا عن الحكومة،
وشتى الخصال البشرية البغيضة.. كانت هنالك ذراع خشبية بجانب
الشاب، إذا ما قام بدفعها للأمام انفتحت ثلاث فجوات أسفل
أقدامهم، وبذلك تهوي أجسادهم بعنف مباغت، فلا يوقف ذلك
الاندفاع الرهيب سوى الحبال التي طوقوا بها أعناقهم، فتتحطم
فقراتهم العنقية ويرحلون للأبد..

ما حدث أن الشاب ما إن دفع بقدمه تلك الذراع الخشبية حتى
تهافت أجسادهم بالفعل، الأب وابنته تارجحا بحبليلهما..
أما الشاب فقد..»..

وجد (جرير) نفسه يتناسى مسألته مع ذلك العجوز، لما تساءل
بالحاح محتد:

- «فقد ماذا؟»..

- «فقد سقط على قدميه! أجل! كان قد استخدم بمكر سكيننا على
طوق أنشودة مشنقته دون علم من الاثنين، فتمزق الحبل القابض
على عنقه، وانفلت ليسقط على قدميه سالما، ثم نهض ليقف مراقبا
بهدهوء الأب وابنته وهما يتلويان حتى الممات!»..

أحس (جرير) بربكة غير معتادة في معدته، وبصعوبة نطق قائلا
كما لو كان سيقياً:

- «خدعهما؟!»..

- «أحسب ذلك ما حدث، ولكن أحسب كذلك أنه كان يعتقد بأنه يفعل الصواب!»..

هتف (جرير) ممتعضا:

- «فعلا! قد فعل الصواب مع ذلك الأب وابنته.. ولكن في رأيي أن الأب استحق ما حدث له، يا له من وغد! ما ذنب ابنته المسكينة كي يجرها معه بهذا الشكل الوحشي؟!»..

تنهد العجوز مردفا:

- «أنت على حق، لقد استحق ما حدث له.. أما ابنته الغالية فلا ذنب لها.. والآن اسمع يا فتى..

في نهاية الطريق الذي تسير به الحافلة آخر محطاتها على الإطلاق، الغابة التي تحيط تلك البلدة بما يشابه الأسوار..»..

- «بلدة؟!»..

- «ستجدها حتما.. ولربما زرتها قبلا!»..

- «ماذا تقصد؟!»..

تبسم العجوز بحبور رافعا يدا متغضنة كفرع غصن شجرة، وثقة قال:

- «البرج القديم!»..

أجل!



كان (جرير) يعي الآن ما يتحدث العجوز عنه، ولكن أيقصد
كذلك أن غريمه ينتظر هناك؟

- «قل لي.. ما اسم ذلك الشاب الذي..»..

نظر إلى حيث كان العجوز يقف..

ثم - وبشيء من ذعر - دار حول نفسه باحثا يبصر جاحظ عن
ذلك العجوز، فلم يجد له أثرا! اللهم سوى رماد السيجارة الذي كان
ينثره أرضا بسبابته!

ظل يدور حول نفسه كمن فقد شيئا ما، ثم لم يلبث أن توقف عقلا
وبصرا عند تلك المنصة الخشبية الرهيبة..

كان يفكر بعمق، بسوداوية.. ما خطر له كان..

- «يا سيد!»..

صوت نغير يصم الأذان ارتفع بغتة..

أجفل (جرير) مستديرا، لقد وصلت الحافلة ولم يشعر بتوقفها
حتى!

بتمهل مشى، وصعد إلى متنها والسائق الكهل يهتف بعصية:

- «هلم قبل حلول الظلام يا سيد!»..

ثم انطلق قبل إقفال باب الحافلة واتخاذ (جرير) مقعدا، فاختل
توازن الأخير، وكاد يسقط لولا أن أمسك به المحصل ضاحكا..

- «لحظة كي.. لا بأس عليك!»..

جلس (جرير) مضطربا، وقد عاود بصره ملاحقة تلك المنصة
الخشبية التي تتعد عن بصره رويدا رويدا..

كان المحصل يتسلى بلوك نكاشة لتسليك الأسنان، مطالعا هو
الأخر حيث يطالع (جرير) بالضبط، ثم غمغم قائلا بعبوس:
- «الحق معك.. منظر حبال المشنقة وحده يثير القشعريرة في
البدن!»..

- «ليس المنظر وحده!»..

قالها (جرير) بخد ملتصق بزجاج النافذة وسحنة شاحبة، فأرجح
المحصل رأسه مؤمنا، ثم قال:

- «والقصة وراء تلك المشانق.. رباه! شيء لا يصدق!»..

تبسم (جرير) باستهزاء مريير، كيف لو علم هذا الفتى الطيب أنه قد
أنصت لأصل الحكاية من..

- «يشاع أن عجوزًا وحفيدته انتحرا باستخدام حبلين من الحبال
الثلاثة المخصصة للشنق، أما الحبل الثالث الممزق فالله وحده
أعلم بحكايته.. رباه! لقد صار لون جلدك كقشر الليمون يا سيد!
ألتلك الدرجة أُرعبتكَ الحكاية؟!»..



البلدة المهجورة

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب [fb/groups/Sa7er.Elkotob/](https://www.facebook.com/groups/Sa7er.Elkotob/)
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



22

راقب (جرير) الشارع من نافذة الحافلة التي استقلها، وقد بدا عليه استمتاع من نوع ما، ذاك الذي يراوده كلما أبصر الشارع خاليا من الحركة الحية ليلا..

ثمة أربعة أشخاص غيره داخل الحافلة، السائق والمحصل من بينهم، وشاب بالقرب منه يطالع مجلة قديمة خاصة بعالم السيارات، ورجل عجوز عالي الغطيط أثناء نومه..

سأله الشاب صاحب المجلة وهو ينظر صوب زجاج الواجهة الأمامية للحافلة:

- متوجه للبلدة؟

نظر (جرير) للشاب مجيبا بتؤدة:

- أجل..

- لا يوجد ما يستحق زيارة تلك البلدة، فهي قمامة!

وضحك باستهجان ودونما حرج، فتلون وجهه (جرير) قليلا..

استرسل الشاب في كلامه مقلبا صفحات مجلته دون مطالعتها:

- إذن.. كيف كانت رحلتك؟

- رحلتي؟

- الرحلة التي قطعتها لزيارة البلدة!

بدا السؤال عجيبا، فلاذ (جرير) بالصمت دون أن يجيب، الشاب

يريد الثرثرة فحسب، أما عنه فيرغب ببعض الهدوء..



كانت الحافلة قد توقفت لتقل فتاة ذات فتنة عجيبة، جلست خلف السائق بمقعد، وانشغلت عن الأبصار الشاحصة لها بمراقبة الطريق، فابتسم الشاب مخاطبا (جرير) بمكر:

- صنف الجمال الغامض! (إستر) التي فتكت بهامان لأجل شعب

اليهود، (إليزابيث باثوري) التي شربت دماء العذارى واستحمت بها
كي تحتفظ بالجمال الأزلي!

- تبدو كزير نساء عندما تتكلم بهذه الطريقة..

- زير نساء مثقف، أليس كذلك؟

- بلى!



وفي تلك اللحظة، نهض صاحب المجلة الشاب، وسارع إلى الجلوس وراء الحسنة، فتبين للجميع عرجه الظاهر، ولم يظهر عليه أدنى اكتراث وهو يهمس للفتاة بوقاحة:

- اسمي (تيمور) يا بدر البدور!

ردّت عليه هازئة:

- (تيمورلنك)؟

- حلوة! هل لي أن أتشرف بمعرفة اسمك ومكان إقامتك؟
صدقيني أنا راغب في مفاتحة والدك الكريم بموضوع سيغير مجرى حياتك للأبد، فما قولك؟

التفت إليه الفتاة صائحة بغضب:

- أتظني مجنونة كي أرتبط بذي عاهة مثلك يا أعرج؟

- ألا يحق لذوي العاهات الارتباط؟ معذرة فقد خلّتهم بشرا.. أم
تراني أخطأت؟

توقفت الحافلة في المحطة التالية، فنهضت الفتاة مبتسمة
باستهزاء وهي تقول للفتى الأعرج:

- ليس إذا كانوا مسلمين!

وهبطت من الحافلة تاركة الشاب يتساءل حائرا:

- ما الذي قصده تلك اللعينة بكلامها؟

ردّ عليه المحصل الذي شعر بالسأم أخيرا:



- قصدت أنها لا تناسبك في مطلق الأحوال يا فتى، فهي ابنة صائغ يهودي!

- يهودية؟ يا له من موقف! أهنا لك يهود كثر في المنطقة؟
أجابه السائق الكهل هذه المرة وهو يبصق من خلال نافذته المفتوحة:

- إنهم ملء شعر الرأس هنا!
- ولماذا لا يشتري لها والدها الصائغ سيارة بدل التنقل بالحافلات؟

- الرجل أبخل من.. أبخل من أبخل يهودي عندهم في الجيتو!
وتضاحك الثلاثة بحناجر أضر بها التدخين المفرط، فتبسم (جرير) صامتا..

الواقع أنه لم يكن متأكدا من صعود فتاة على متن الحافلة، ثم ما صور له بعين الخيال فتاة يهودية تصعد متن هذه الحافلة، حتى الحوار الذي دار بين شخوص تلك المسرحية الخيالية عقله ما تكفل بتدوين كل ما قيل في «السيناريو»!

لقد نال من القرية التي زارها سابقا خاصية هي أقرب للجنة، لعنة تغزل من خلالها المخيلة خيوطا تحرك عقليته كعروس «المايونيت» لتضلله..

- «سأنزل هنا..».



فتوقفت الحافلة، وترجل الشاب الأعرج وهو يرفع كفه محيا
الجميع، فبادلوه التحية بإشارات متعجلة من أياديهم قبيل معاودة
الانطلاق..

اتجه المحصل إلى مقعده، فتناول من أسفله حقيبة سوداء يوحي
مظهرها بأنها تحوي آلة موسيقية وترية ما، بالفعل قام بفتحها ليخرج
منها كمانا فضيا بديع الزخارف والنقوش، يبدو كقطعة فنية لا تقدر
بشئ.. ولم تنته المفاجآت عند هذا الحد، فقد فوجئ (جيرير) بالكهل
يترك عجلة القيادة مستغرقا في البحث أسفل مقعده!

- «سنصطدم يا معتوه!» -

شعر (جيرير) بأنه يخرف أخيرا، فقد وجد عجلة القيادة تتحرك
من تلقاء نفسها! تندفع الحافلة للانعطاف يمنا ويسرة، بل وأحيانا
يتصاعد صوت النفير من دون أن يمسه السائق أيضًا!

أخيرا، عدّل الكهل من نصفه العلوي حاملا بين يديه زممارا
غريب الشكل، يشبه غصن الشجرة لكنه من الفضة أيضًا، وتلنف
حول قصبته أشكال كالنباتات المتسلقة، منحته مظهرًا بديعًا لا شك
فيه..

قال المحصل ملوحا بعصا العزف:

- أعرفك على أفضل عازفين على وجه البسيطة.. أنا صاحب
الكمان (شمنايل)، وهذا شقيقي عازف المزممار (نورائيل)!



همس (جرير) ذاهلا:

- أشعر بتوتر مما يحدث! وبخوف مما سيحدث!
 هنا، مرر المحصل على أوتار كمانه بعصاه الغريبة التي تشابه
 السيف، فتلاشى خوف وتوتر (جرير) كأن لم يكن، وصدق في وجه
 عازف الكمان المستغرق في عزفه بذهول..
 وعندما مسَّ سائق الحافلة فوهة قصبه مزماره بشفتيه، وأنصت
 (جرير) إلى تلك الألحان التي خرجت منه، دمعت عيناه حتى
 تشوشت الرؤية لديه.. من المستحيل أن تكون تلك الألحان من
 صنع بشر، لقد هبطت من أفق آخر حتما!
 شعر بحدقتيه تتأقلان، فاستسلم لذلك مرحبا!



- «يا أخينا!»..

استفاق (جرير) متثابا، فأبصر المحصل وقد عكف على هزه
 بنفاد صبر، في حين نزل السائق، وظلَّ الراكب العجوز النائم بمكانه!
 نهض (جرير) وقد رسم على شفتيه بسمة ناعسة متمطيا، وبفاه
 مفعور عن آخره غمغم:

- يا له من حلم غريبيبي!

- ماذا؟



لحق (جرير) بالمحصل كاتما ضحكةً عندما تخيله من جديد
بذلك الكمان، كانت النكاشة لا تزال بين أسنانه، فلو أبصره في حلم
يقطع السمك في السوق لما استغرب، ولكن أن يعزف كخريج بارز
من جوليارد؟!

- «وصلنا المحطة؟» .

- «وصلنا..» .

ارتفع صوت السائق الأersh صائحا بالمحصل:

- امأاً الحافلة بالوقود..

- حاضر..

كذا ردّ عليه بخشونة متزعاً خرطوم الوقود من مكانه..

- «ونظف الزجاج جيداً!» ..

- «حاضر! حاضر!» ..

وبقطعة من الليف مبلولة بالماء، شرع المحصل يمسح زجاج
الواجهة الأمامية للحافلة في همة، مدننا مقطعا من أغنية لفيروز كي
يتحمس أكثر أثناء أدائه عمله المضجر..

أشعل المحصل لنفسه سيجارة، متجاهلاً تحاذير محطة الوقود
المنذرة بعدم التدخين، وطفق يتأمل العجوز النائم في آخر مقعد
داخل الحافلة بابتسامة باهتة..

في حين أخذ (جرير) بالتلفت حوله..

كانت الأفكار تصطرع داخل مخيلته الواسعة حول عديدٍ من الأشكال والأشياء، بعضها واقعي والبعض الآخر لا يمت للواقع بأدنى صلة! مَنْ من أقرانه قال عنه مضطرب الذهن؟ حقا لا يذكر! كان يعلم أن الحافلة ستتوقف في هذه المحطة التي كانت أقرب نقطة إلى البلدة التي يقصدها، كان يحمل حقيبته المملأى باحتياجات رحلته الشاقة، ومن حزامه المغطى بسترته البنية، تدلت مدية الجيش التي لا يستغني عنها أبدا..

كانت المسافة لا تزال بعيدة، لذا انطلق في طريقه منصتا إلى عقيرة محصل الحافلة، التي تحولت الآن من غناء إلى صفير يشابه زقزقة العصافير!



23

بين الأشجار المتكاثفة على حدود البلدة مباشرة، ووسط الظلام الذي بدد أكثره ضوء النار المشتعلة، قرفص (جرير) أمام ناره منهكاً..
- «ما الذي جاء بنا إلى هنا بحق الله؟».

نظر (جرير) إلى رفيق رحلته التوأم قائلاً له باستهجان:
- اهدأ أيها العقل السخيف!

كان يرى بعين الخيال «جريراً» آخر يقف بالقرب من النار كأنما يحاول الظفر ببعض الدفء! وقد كان (هذا الآخر) أكثر عصبية إذ قال:

- «لستُ أدري بأي حق تحكمون على عالم كامل بالسخف، وأنتم جنس يمتلئ نصفه - على الأقل - بالسخافة والسخفاء!
سمه إعجاز الخالق في خلقه! سر من الأسرار المبهمة، إلا أن تطلق عليه سخفاً وما شابه ذلك...»..
- ربما تكون محققاً..



- «أنتم قوم متعنتون حتى ولو رأيتم الصواب مجسدا!»..
- وأنت تحب أن تفلسف الأمور..
- «هذه مهنتي!»..
- وهنا تعالت أصوات عواء الذئاب! فأسرع (جرير) الآخر يقول
مغيرا دفة الموضوع بتوتر لاح في نبرته:
- «إذا بنتنا الليلة في العراء فستكون الذئاب أولى زبائن هذا
«البوفيه» المفتوح.. ماذا نصنع الآن؟ لا يمكننا البقاء هنا..»..
- شارفنا على الوصول، أنا أرتاح ليس إلا..
- «انهض واسترح في دارك إذن!»..
- يا لك من رعيدي!
- قالها وهو ينهض مستأنفا السير، وإن عَجَّل في خطواته قائلا
بسخرية:
- يقال أن الذئاب عفاريت متنكرة، أليس كذلك؟
- «ليس كلها.. لماذا تعشقون حكايات العفاريت والغيلان ليلا
وحول النار المشتعلة؟»..
- طبيعة بشرية أرجو عدم محاسبتنا عليها..
- «تبا! هذا العواء يثير حفيظتي.. أتعلم؟ هذه الغابة صالحة
لحكاية مفزعة من التي تسردها عليكم جداتكم، وبالمناسبة بعض
تلك الحكايات حقيقي!»..



- مثل ماذا؟

- «خذ عندك مثلاً حكاية الصيَّان اللذان خرجا إلى الغابة للعب الغميضة في هذه البقعة تحديداً..»..

- دعني أظن، لقد طالت فترة اختبائهما، أليس كذلك؟

اكتسى وجه (جرير) الآخر بتعبير الخطورة، وهمس مواصلاً السرد:

- «لا أحد من البشر يعلم ما الذي حدث سوى الصبي الأول، فقد عاد للبلدة مع أولى نسائم الفجر وهو ملوث بالدم وقد جن كلياً.. كان يصرخ قائلاً أن الغيلان التهمت صديقه، وخرج الأهالي بحثاً عن الصبي.. بحثوا في كل شبر من الغابة حتى كلوا، وأخيراً أعلنوا أن الغيلان هي التي خطفت الصبي فعلاً كي تأكله!»..

- بسلامة سيدنا الرسول الكريم، هل هذه الحكاية حقيقية؟
تبسم (جرير) الآخر مجيباً بلا مبالاة:

- «مجرد حكاية من حكايات الجدات يا صاحبي، من الواضح أنهم يسعدون بإثارة هلع أحفادهم بقصص العفاريت!»..

- عندما يصاب الواحد منا بالصرع، يسارعون بدق الطبول على أذن المسكين أياماً بلياليها بحجة طرد العفاريت..

قال (جرير) الآخر ساخراً:

- «أي أن العفاريت أرحم!»..

صمت (جرير) قليلا، ثم قال متأملا دربه المعتم ببصرٍ شارد:

- ثمة شخص..

- «أين؟»..

- هناك!



بدا الظل من بعيد لشخص بالغ يتحرك بصعوبة، بدا كالكسكير من فرط ترنحه..

- من أين ظهر هذا أيضًا؟

قالها (جرير)، فهمس الآخر متوترا:

- «أي مجنون يتسكع في ساعة متأخرة كهذه؟».

- من حسن حظنا أنه مجنون، أليس كذلك؟

- «ماذا لو كان.. قل أعوذ برب الفلق!»..

- يبدو وأنت ممن يؤمنون بالأشباح!

- «بالعفاريت وليس الأشباح!»..

- أخيرا صرت تصدق قصص الجدات عنهم؟!

لكن (جرير) كان خائفا حقا، على الأقل في سره، فلم يكن مستعدا لإظهار خوفه أمام أي كائن.. حتى ولو كان من وحي خياله!
ابتلع ريقه وسار بخطوات حثيثة مناديا:

24

هل قال «لامة»؟

أهي هלוسة ما قبل الموت؟

حذق في الجثة الممددة بجواره وقد شعر بالضياح..

كانت صدمة له أن يرى الموت هكذا وجها لوجه، في الجيش أثناء تأديته الخدمة العسكرية كانوا يدربونهم على استخدام آلات القتل، يرددون بصرامة أن الجندي المقدم لا يهاب الموت.. هذا هراء!

حتى أثناء حراسة عنابر المحكوم عليهم بالإعدام، تبدت الأمور مختلفة تماما عن رؤية تنفيذ الحكم بهم.. اليوم فقط تعرف قابض الأرواح المخيف، ورأى كيف يعمل بسرعة وبلا هوادة..

شعر أن عليه دفن الجثة، فاحتملها محاولا التماسك.. اختار نقطة مميزة لدفن الجثة هناك بالقرب من منازل البلدة، لأنه سيعود حتما ومعه عناصر من الشرطة، الذين لن يجدوا سواه لإصاق الجريمة



النكراء به، وعاودت مخيلته العمل، فوجد نفسه مجددا بين جدران
زنزانة رطبة مرتديا هذه المرة زي المحكوم عليه بالإعدام ذي اللون
الأحمر الكتيب!

كانت عملية الدفن شاقة وطويلة، فقد استعمل مدية الجيش في
الحفر، وفي النهاية أتم عملية الدفن بنجاح لا بأس به، ولم ينس
وضع بضعة أحجار حول القبر المرتجل زيادة بالاحتياط، كي يسهل
عليه تعرف القبر، ثم حاول إشعال سيجارة، فاكتشف - مغتاضا - أن
الفداحة قد أصابها العطب، فأطلق سبة واستدار مواصلا طريقه..



حين نظر حوله استشعر طعم الرعب الذي ذاقه كل من وجد نفسه
وحيدا في بقعة منعزلة، حتى ولو كانت هنالك بيوت، فما الفائدة ما
دامت معتمة وكأنها مهجورة؟

سار متلفتا حوله في شيء من هلع، كأنه يرى شياطين العتمة
الدامسة ترنو إليه بخطى حثيثة! وفكر أن المنازل بالفعل تبدو
مهجورة، أين الأضواء؟ أين الناس؟ هل رحلوا بمجرد انقطاع
الكهرباء؟

عاود تأمل المكان الرهيب وقد استيقظ الطفل الصغير الرعديد
الكامن في أعماقه.. بدا صوت الزمهرير كعويل ألف روح معذبة،
أصوات رهيبة، منذرة بقرب حلول كارثة مخالفة لشرائع الطبيعة

وقوانين البشر، كأنما ثمة كائن شيطاني يتنفس هذا الهواء البارد
المجمد للدم في العروق، ويراقبه!

بعد ثوان استيقظت غريزة شعرية بداخله! فشرع يبحث عن
وصف ملائم للرياح الباردة، والبيوت الساكنة، وشعوره بعدما قام
بدفن جثة قتيل!

بالفعل بدت الطريقة ناجحة للغاية، فقد نسي أكثر مشاعر الخوف
باحثا عن أبيات تناسب قصيدة جديدة، وأخرج قصاصة ورق صغيرة
لتدوين بضع ملاحظات عليها، وأغمض عينيه لتذكر بعض تلكم
المشاعر الرهيبة التي فقد أكثرها قبل قليل!

وهنا تذكر بأنه قد لمح شيئا وهو يمرر بصره على البيوت المتعددة،
أحد تلك البيوت استرعى انتباهه، ذاك الذي قبالتة بالضبط، يكاد
يقسم بأنه قد رأى ضوءا شاحبا يمر خلف إحدى نوافذه!

لربما يستطيع أحدهم إفادته بما وقع هنا..

هكذا أسرع باتجاه ذلك المنزل، ووقف على بابه ليطرقه عدة
مرات بقوة، ثم طفق ينتظر مجيبا..

شعر أن انتظاره قد طال نوعا، فعاود الطرق بقوة أكبر، لعلمهم
..يام..

أم لعله توهم رؤية ذلك الضوء؟

مدّ يده لمقبض الباب وأداره ببطء، فاستجاب له وانفتح!



كانت دعوة قبلها على الفور، فدفب بلا تردد للدخل هاتفا:

- يا أهل الدار! هل من أحد هنا؟

كان يحوي أثاثا صار لسُمك الغبار عليه وزن، ومع هذا كل شيء مرتب في مكانه، ولمح (جرير) الدرج المؤدي لفوق، فأسرع يعتليه وقد وجد نفسه يحاول ألا يصدر صوتا هذه المرة، فقد شعر بأن ثمة شيء ليس على ما يرام..

وهنا سمع تلك الموسيقى العجيبة.. بدت مشوشة قليلا، وكأنها صادرة عن مذياع سيء الإرسال.. نظر (جرير) إلى أنامله فوجدها ترتعد رغما عنه، مع أن المنزل كان دافئا!

تثاقلت خطواته أكثر وهو يلعن الأزيز الناجم عن الدرج الخشبي القديم حتى وصل لفوق، فأطل برأسه ليلمح حجرة تصاعد منها الضوء الشحيح، وكذلك الألحان التي صارت مسموعة أكثر من ذي قبل.. تقدم ببطء حتى بلغ الحجرة، ومن فرجة الباب الضيقة استطاع رؤية مذياع كئيب المنظر، أسود اللون، موضوع على كرسي..

لو أنه فتح الباب بأكمله ليجد ألا أحد هنا، فلسوف يهرع هاربا من البلدة بأكملها وبأقصى سرعته!

بقلب يدق بسرعة عدو الحصان قام بدفع الباب ببطء وحذر..



تنهد بشيء من الارتفاع، فعلى ضوء شاحب لشمعة شبه ذاتبة،
جلس رجل ثلجي الشعر تماما على مقعد مريح، كان موليا ظهره
لجرير وقد بدا كأنه لم يحس بقدمه ..

دنا (جرير) من الرجل هامسا برفق:

- عمت مساء يا عماء ..

ظلل الرجل صامتا، فتفكر (جرير) هنيهة .. إنه إما نائم أو ميت!
تأمل وجه الرجل العجوز، فوجد لحية رمادية كثة ذات حجم
هائل، ثم انحدر بنظراته لأسفل، فرأى عند قدمي الرجل قطة رمادية
- أيضًا-، وقد قتلت خنقا بحبل غليظ التف حول عنقها!

حاول (جرير) إيجاد تفسير مقنع لما وقع هنا، فتوصل إلى أن
العجوز كان نائما، عندما باغتته قطته - علم أنها قطته لأن حول
عنقها بخلاف الحبل القاتل طوق جلدي في مقدمته ميدالية فضية
مزخرفة-، فثار العجوز لتلك المباغته التي أفرغته حتما، وقام بخنق
القطة في لحظة غضبٍ أعمى!

تفسير واه، لكنه أفضل ما أوجدته قريحته، وعلى العموم بإمكانه
سؤال العجوز عما حدث بالضبط!

عليه أن يحاذر من إيقاظه بطريقة تجعله يثور عليه ..

- «يا عماء!» -

هزه برفق وهو يدعو الله بألا يكون قد أماته ..



- «أفق بالله عليك...».

أخيراً، أظهر الرجل بعض لمحات الحياة حين اهتز جسده، ورفع رأساً متثاقلة ليواجه هذا الزائر الذي اقتحم عليه داره وخلوته، ويقف الآن بطريقة بريئة بعد أن قام بإيقاظه من غفوته!

- «اعذرني على إيقاظك يا عماء، لكن البلدة بدت...».

كانت ردة فعل العجوز مذهلة لحدٍ لا يصدق.. فقد شحب وجهه بصورة مريعة، ثم هبَّ واقفاً وقد طار كل أثر للنوم من عينيه وهو يصرخ:

- ماذا تفعل هنا؟ اخرج عليك اللعنة!!

- ماذا؟!

- كيف دخلت إلي هنا؟!

- لا بد وأنك نسيت إقفال الباب!

- اخرج!!

وبغضبٍ زائد عن الحد تحرك ليدفع بجريير في خشونة منفعلة، حتى لكاد يتعثر بجثة القطة المشنوقة، وحاول (جريير) قول شيء لتفسير موقفه، لكن الموقف بأكمله ألجم لسانه تماماً!

كان الرجل يواصل صراخه:

- أخرج! أخرج عليك اللعنة! حتى قطتي الغالية! آخر ما تبقى لي من عائلتي، قتلتها كي أحظ بالخصوصية! ثم تأتيني - يا نكرة- لتدمر كل شيء؟!!

- عن أي تدمير تتحدث بحق الله؟!!

- ألم تفهم بعد؟ لقد ضحيت حتى بكتبي لأصير وحيدا!

أخرج عليك اللعنة! أخرج!!

وهكذا وجد (جرير) نفسه يطرد شر طردة من المنزل الذي كان أمه الوحيد لتحصيل بعض الأجوبة!

كان يقف حائرا بالخارج بعدما أغلق العجوز الباب في وجهه بكل صفاقة.. ألهذه الدرجة يكره الرفقة؟ ربما جعل هذا جيرانه يأنفونه، لكن ليس البلدة بأكملها! لا بد وأنه مصاب بلوثة عقلية!

- «أذهب لجزيرة وسط المحيط يا معتوه!»..

وتلفت حوله متنهدا، كان قد شعر بشيء من الأمان بعد اكتشافه بأنه ليس وحيدا هنا، وإن وتره تصرف العجوز الأرعن المحب للانطواء..

ثم خطر له التالي: ماذا لو أن ثمة آخرين مثله في البلدة؟

هنا لاحظ تلك الخطوط على الأرض، خطوطا ذات لون قرمزي داكن تخرج من أمام باب منزل الرجل العجوز، ثم تنطلق كسجادة عناية على الأرض حتى اختفت في قلب الظلام!



ترى ما الحكمة من رسم تلك الخطوط القرمزية المشوهة؟ إن
منظرها ليحير الناظر إليها بشدة، لقد بذل راسمها مجهودا هائلا
برسمها، فإلام يرمي بفعلته الغريبة؟

قرر (جرير) تتبع تلك الخطوط القرمزية، فقد شعر أنها دلالة على
طرف خيط ما أو طريق، ولربما دلته على بشر..

هكذا، سار على الطريق القرمزي العريض وهو يتذكر - متهمكا -
حكاية ساحر «أوز»، حين كان يتوجب على (دوروثي) أن تسير على
الطريق الطابوقي الأصفر كي تصل إلى قلعة الساحر..

كان البرد قارصا، فرفع (جرير) ياقة سترته الجلدية البنية لستر
أذنيه، ثم أوثق بساعديه أمام صدره.. تذكر مسكنه غير المرتب،
ودفع سريره ذي الملاءة الممزقة، وإناء القهوة السوداء الدافئة..

يا للشوق الذي اعتصر فؤاده لعالمه الهادئ المألوف!

فجأة، توقف عن السير وقد خطر له خاطر مفزع رهيب..

انحنى أرضا لتفحص تلك الخطوط القرمزية، حك بأظافره
الأرض، قبل رفعها إلى أنفه كي يتشممها ويفرّحها ببطء وريبة..

وفي النهاية، تسمر متأملا الخطوط الداكنة وشعر رأسه ينتصب،
وتصاعد الفزع من بين ثناياه متراجعا للوراء..

هذا ليس طلاء وإنما دماء متجمدة!



25

كان اللون الدموي العريض ينطلق عبر مساحة حرة، دون أن يمر أسفل منزل أو بناية ..

راقبه (جرير) وقد فقد جزءاً ضئيلاً من ذعره الآن، وفكر في أسباب تواجد هذه الخطوط في جميع أنحاء البلدة.. بالطبع لم يجد سبباً واحداً مقنعاً، فقد تم استهلاك كمية هائلة من الدماء لرسم هذه الخطوط المشوهة..

ورغم اكتشافه الجديد قرر تتبع آثار تلك الدماء، لعله يظفر بإجابة لكل تساؤلاته الملححة.. هكذا واصل سيره لكن بجوار الطريق ذي اللون القرمزي، فهو لم يحتمل فكرة السير فوق دماء!

البرد يشتد، والبخار الأبيض يخرج من بين شفثيه كلما زفر، حشد من الشتائم تكوم في رأسه على كل الظروف التي أَلقت به في هذه المحنة، وعقله ماضٍ في تخيل نهاية مناسبة لكل هذا الجنون..



جميع المنازل التي مرَّ بها لم تشجعه على طرق أبوابها لأنها كانت بلا أبواب أصلاً! كما أن النوافذ مدعمة بألواح خشبية عريضة! ما أكد ظنه بأن أكثر أهالي البلدة قد رحلوا لسببٍ غامض، فمن المستحيل على أحد السكنى في منازل كهذه إلا لو كان مجنوناً، وهو غير مستعدٍ لملاقة أحدهم كي يثير ذعره بحركات لا معنى لها وكلمات بلهاء..

طالت رحلته نوعاً مع أنه كان يفكر، فالتفكير لا يُشعر المرء بمرور الوقت، لكنه شعر به، ولاحظ بأنه قد سار طويلاً فقد كلت قدماه..

توقف بغتة ملتفتاً جهة اليمين، فلمح ما هو كافٍ بالفعل لجعل هذه الليلة ليلة رعب بحق!

أبصر مقابر البلدة! الشواهد الحجرية القديمة منتصبة كالأوتاد على التربة، تحوي في الجوف بقايا من كانوا يتمشون فوقها يوماً متمتعين بالحياة، ورأى - في تعاسة - شجرة مسودة تعلق بأحد أفرعها غراب بين أبقع، ابتداءً سيمفونية النعيق المقبضة!

لكن (جرير) لم يهلع، فقد شعر بجو من الاستخفاف المرير يحيط به وهو يواصل رحلته.. إن لديه أملاً من نوع ما.. بأن كل ما يقع طبيعي حتى الآن، وسيستمر كذلك، لا شيء يدعو للرهبه أو الخوف، حتى الطريق المطلي بالدم له سبب، وهو سبب يعود لفترة طويلة مضت، لا شك أن من قاموا برسمه هم بضعة مخابيل لا أكثر!

ثم لمحها!

فتاة ترتدي قميصا بنفسجيا وتنورة كحلية اللون، ذات شعر ناعم
طويل بلون الليل!

هل كان يتوهم؟ أهني موجودة حقا أم مجرد حلم؟ إن بصره لم
يعد على خير ما يرام هذه الأيام، لذا قام بفرك عينيه، ثم رفعهما إلى
ذات النقطة التي أبصر عندها الفتاة، وكما توقع لم يجدها!

لطالما شاهد شخصيات وهمية، لكنها كانت من نسج مخيلته،
فقد كان التحذير الذي تلقاه سابقا من عوالم الوهم صحيحا!

إن أجواء هذه المقبرة تجعل الأوهام تتبدى كالحقيقة، فقد خيل
إليه رؤية فتاة تتأمل شاهد قبر ما بنظرات حزينة!

صرخ عقله محتجا: ما الذي تحاول فعله يا أحمق؟ ما الذي تريد
إثباته برعونته؟ أنت قد رأيت تلك الفتاة وتظاهر بأنك تتوهم؟ أي
عقلية بلهاء هذه؟ بل أي حمق هذا؟

وقبل أن ينصت للمزيد من اهانات عقله إليه، خفَّ (جرير) للمقبرة
مترامية الأطراف محاولا ألا يفقد السيطرة فيذعر، كانت المقبرة بلا
أسوار كما لو كانت متنزها عاما، وبحث طويلا في الأرجاء عن تلك
الفتاة، لكنه لم يجدها كما توقع، فركل حجرا صغيرا بغیظ، ثم تأمل
الشاهد الذي كانت الفتاة تنظر إليه..

كانت هنالك عبارة مكتوبة بالدم على الشاهد، تقول:

الوشاية كالقتل!



من كتب هذه العبارة؟ أتراها الفتاة؟ أم أنها كانت تتأملها فقط؟
قرر (جرير) الالتزام بطريقه الموسوم بالدم، إن البلدة ليست
بالكبر الذي يحسبها الداخل إليها، لكنها كافية لأن يتوه فيها المرء،
خصوصا في الظلام مع عدم وجود إنارة..

وقبل أن يرحل حك بأظافره موضع العبارة المدونة، فوجدها
جافة، مما دل على أنها كتبت قبل فترة طويلة كذلك..

واصل (جرير) طريقه لاعتنا حظه العاثر الذي جعله يحمل سجائره
مع قداحة معطوبة، شعر بحاجة ماسة لنفث خواطره السوداء مع
الدخان السام خارج رأسه، وعاودت ذاكرته استرجاع ملامح تلك
الفتاة المليحة والحزينة، وفي أعماقه تساءل عن سبب تواجدها في
المقبرة المقبضة..

ثم انه توقف ليخرج قصاصة الورق ليسجل العبارة الدموية فيها،
فهو بحاجة لتذكر مثل تلك العبارة المبهمة، لأنها قد تفيده مستقبلا
في قصيدته القادمة!

كانت عبارة مألوفة، لربما طالعها سابقا في كتاب ما، ولم يستطع
التذكر..

أما من نهاية لتلك الخطوط البغيضة؟

أجل.. إن لها نهاية!



26

كان منزلاً أقرب إلى فيلا راقية، واحدة من نوافذه مضاءة!
 لاحظ (جرير) كذلك ملاحظة هامة: الخطوط الدموية انتهت عند
 عتبة الباب، ثم ابتدأت من هناك مجدداً، راسمة طريقاً جديداً لا يعلم
 إلا الله من قام برسمه!

فليؤجل التفكير في موضوع تلك الخطوط الكريهة، وليجرب
 حظه مع هذا المنزل..

طرق الباب وهو يدعو الله ألا يكون قاطن المنزل من محبي
 الانطواء هو الآخر، ثم طفق ينتظر مجيئاً..

لحسن الحظ سمع صوتاً رجولياً مطمئناً ينادي:

- لحظة.. أنا قادم حالاً!

شعر باستغراب شديد.. صوت الرجل يدل على الاعتياد، وهو أمر
 لا بأس به في أي مكان عدا هذه البقعة الكئيبة والمثيرة للمخاوف، إن



صاحب هذا المنزل معتوه أو ذو أعصاب مضبوطة ليقطن هنا بتلك البساطة!

كان يجتر تلكم الخواطر عندما فتح الباب بغتة..

رجل مكتنز يطل، له صلعة خفيفة، ويرتدي نظارات طبية، لكنه غير مريح! ابتسامته بها نوع من المداهنة أو التملق، ثمة مسحة مكر على وجهه لا تخطئها فراسة الإنسان المدقق..

- «معذرة لتطفي، وددت لو أن بالإمكان مساعدتي..».

تأمل الرجل ملامح (جرير) وكأنه يبحث عن شيء ما، ثم قال باسمًا بتخابث لا مبرر له:

- أهلا بك!

- لا أحد في البلدة كما يبدو، هل سافروا أم هجروها؟

- كل من يزورنا مرحب به لأن لوجوده معنى حتما، أما من يرحل فيرحل، إذ لا لزوم له!

وضحك بلا مبرر! لا يبدو من مدمني المسكرات إياهم، ربما هو معتوه!

- «تفضل!»..

شعر (جرير) بغتة بأنه زاهد أشد الزهد في هذه الدعوة، إن ليلة في العراء لأهون عليه من ليلة تحت سقف هذا المعتوه صاحب السحنة الماكرة!



- «لا أريد إزعاجك...»..

- «ادخل فالجو بارد للغاية...»..

دخل (جرير) وهو يهدئ من روعه، ليست مشكلة الرجل في أن وجهه غير مريح، إن من يقطن هنا لكفيل بأن يتعكر مزاجه تماما إذا لم يجن!

لكن منظر المنزل من الداخل أراحه كثيرا، فأثائه نظيف ومرتب، كل قطعة معننى بانتقائها وتركيبها وترتيبها، كما أن تجانس الألوان بديع حقا، وهذا يدل على الموهبة وحسن التفكير لحسن الحظ!
- «منزلك جميل...».

- «معاملة جميلة أشكرك عليها...».

- «ليست معاملة، لا بد وأنك مهندس ديكور!»..

- «الحقيقة أنني أعمل مسجلا لعدادات استهلاك الكهرباء!»..

غريب أمر مسجل العدادات الذي يمتلك منزلا كهذا مع أثاث يشي بغلاء الثمن، لكن إذا عرف السبب..

- «لا بد وأنك ورثت من أحد أقربائك إذن...»..

- «لا، أيتوجب علي؟»..

- «إذن وضعت مالك الشحيح في مشروع ناجح؟»..

- «لا...»..

- «ربما في البورصة أو...»..



- « لا أفهم إلام ترمي يا فتى...» ..

لكن ابتسامه الرجل غير المريحة أخبرته بأنه يفهم ويفهم جيدا..

قال (جرير) في شيء من حرج:

- اغفر لي وقاحتي، ولكن.. هل أنت مرتش أم لاعب قمار؟

أطلق الرجل ضحكة مجلجلة، ثم صبَّ لجرير القهوة في قده بداغالي الثمن، قائلاً بلا تحفظ:

- كل من قابلني وعرف وظيفتي أدرك بأنني إما ورثت، أو أنني وغد نال المال الحرام لقاء ما هو محظور.. لا ألوهم على تفكيرهم، فهو يروق لي في الواقع ويسليني كثيرا!

- وهل أثقل عليك لو سألتك من أين لك هذا؟ يمكنك اعتباره فضولا يا سيد..؟

- (جبر)، (جبر الفاهم)، لا داعي للألقاب التافهة هنا، فأنا أمقتها بشدة، وأفضل عليها التبسط..

وأخرج علبه سجائره وقداحة - أخيراً-، وعرض سيجارة على (جرير) الذي أخرج إحدى سجائره ليدسها بين شفثيه، ثم استعار قداحة الرجل ليشعلها قبل أن يردها له شاكراً..

قال (جبر الفاهم) وهو يشعل طرف سيجارته هو الآخر:

- الحقيقة أنني كنت كما هو متوقع من مسجل العدادات أن يكونه، بصعوبة بالغة كنت أجد لقمة العيش، وبصعوبة أكبر كنت

أدفع ثمن إقامتي في حجرة ضيقة، كل صباح أستيقظ لألعن الحياة والحال التي تأتي التغيير، وأطمح دوماً إلى سبل تغييرها لأودع الفقر اللعين للأبد..

أخيراً اتخذت قراراً كان السبب في تغيير مجرى حياتي، من الآن فصاعداً لن أكون ذاك الحمل الوديع وسط حشود الذئاب النهمّة، إن لم تكن ذئباً أكلتكَ الذئاب!

- منطوق لا أحترمه كثيراً في الواقع..

- هذا شأنك! لكن وسيلتي ابتدأتها مع أحد الموظفين الشبان في الهيئة، كان تافهاً مستهتراً وثرياً، يتظاهر بالعمل لأنه لا يجد شيئاً آخر يفعله، وراتبه أعلى من راتبي بكثير، تفكيره ضحل، وكل ما يشغله هو كيفية العيش بسعادة أكبر، كيفية الاستمتاع بالحياة بكل ما تحويه من متع لماجن منحل مثله!

لقد ذكر (ميكافيللي) في كتاب الأمير بأن: «الغاية تبرر الوسيلة»، الحقيقة أنني اتخذته مثالاً يحتذى به!

شعر (جيرير) بأنه قد بدأ يتوتر في جلسته، إنه لم يكن مخطئاً بخصوص عدم ارتياحه لهذا الرجل..

ويتابع (جيرير الفاهم) حديثه الذي جنح الآن من الرزانة للتلهف:

- تقربت منه، ساعدته بمناسبة أو بغير مناسبة، كنت أستغل جهله لأوقعه في ورطات إدارية وهمية، ثم أقوم بإخراجه منها لأنه



يكره الإحراج وأن يقال عنه غير كفاء للوظيفة (وتلك هي الحقيقة أصلاً)..

في تلك الأثناء، كنت أمارس عملي في التجوال على المنازل لتسجيل استهلاك عدادات الكهرباء، فدخلت منزلاً فاخراً جميلاً تقطنه امرأة مطلقة تعيش وحيدة بلا أولاد..

كانت تلك فرصتي، صحيح أن الصلح والنظارات لا يمهدان الطريق بيسر، لكن المرأة كانت بحاجة لمن يقف إلى جانبها في وحدتها، لمن يؤنس وحشتها، لمن يخبرها بأنها لا زالت حسنة ونضرة رغم العمر الذي يمضي دون هوادة!

لم تكن نوعي المفضل على الإطلاق، لكنني جعلتها تصدق أنها كذلك، أمطرتها بعبارات الغزل التي تطرب لسماعها كثيراً، جعلتها تتراح لشخصي وتبوح لي ببعض أسرارها، علمت أنها وحيدة وثرية، زوجها الأول تزوجها طمعاً بثرتها، كان يصغرها سناً، وهذا يدل على أنها أغبى من الحيوانات العجماء!

أفهمتها أن عليها معرفة من هو رائدٌ لمصلحتها، لمن هو أقرب لسِنها، عليها بالرجل الذي يبغى بحق منحها السعادة، منحها ما ترغبه المرأة بشدة، الأمومة والعيش باستقرار..

رفع (جرير) كفا مقاطعة وهو يقول بعصبية:



- لحظة، لعلك لاحظت استرسالك في قصة حياتك مع ضيفٍ غريب، ليس هذا فحسب، بل إنك تطلعني على أسرار تمسك شخصياً، اعذرني لكنك تصرفت مع الذين عرفتهم بطرق منافية للأخلاق!

- هل لاحظت هذا المكان؟ أقصد البلدة..

- لاحظت، ونويت أن أسألك..

- البلدة صارت مهجورة كلياً، لا أثر لكائن حي واحد، لقد هجر

الجميع المكان بسبب..

وهنا صمت الرجل قبيل ظهور تلك البسمة الغامضة على ثغره!

سأله (جرير) متوجساً:

- بسبب ماذا؟

- العلم عند الله يا بني!

تجاوز (جرير) تلك النقطة مع أنها تهمة بشدة، ثم قال وهو يشرب

القهوة ليشعر ببعض الانتعاش:

- ليست البلدة مهجورة كلياً، فقد قابلت رجلاً، لكنه طردني لأنه

يفضل البقاء وحيداً!

وهنا لاحظت الدهشة على وجه (جرير) وهو يتساءل:

- هل قلت: يفضل البقاء وحيداً؟

- أجل!



- التفت إليه (جبر) وهو على شروده، ثم بدا مستيقظا على حين غرة
حين انتفض رأسه بصورة طفيفة، قائلا بوجل:
- ظننتُ أننا وحدنا في هذه البلدة..
- ماذا تقصد؟ أوجد معك شخص آخر؟
- أستمحك عذرا؟
- أنت قلت: وحدنا! ومعنى هذا أن ثمة شخص آخر معك، أم
أنك قصدتني؟
- أنسيت زوجتي؟
- غريبة، ظننتك تعيش لوحدهك..
- ما الذي دفعك للتفكير بهذا الشكل؟
- الجو العام للمنزل وطريقة كلامك أو حيا لي بذلك! ظننتها
ميتة، أو أنها هجرتك!
ثم اعتدل (جرير) في جلسته قائلا بنفاد صبر:
- اسمعني يا سيد (جبر)، هنالك شيء غامض يحدث، شيء
أقرب للتمثيلية، وهذه البلدة هي مسرح للأحداث الغريبة، لقد
استرسلت في حكايتك مع شخص تقابله للمرة الأولى، قلت بأن من
يأتي للبلدة وجوده مبرر، ومن يرحل يرحل، ثم أخبرتني عن زوجتك
بطريقة غير مفهومة، وقحة إذا ما سمحت لي! فلا أحد يتحدث عن

زوجته هكذا، ولا أحد يمارس أساليبك التي قمت بها معها أو مع غيرها مثل الشاب الثري الذي غررت به ما لم يكن وغدا منافقا!

تبدت سعادة عجيبة على وجه (جبر) وهو يهتف:

- إذن فأنت تعترف بأني منافق!

- لو أن (عبدالله بن أبي بن سلول) هنا لمنحك شهادة على

براعتك!

ولدهشته فوجيء بالرجل يقبض على كتفيه بقوة ويهزه متسائلا

بلهفة:

- أتعني ذلك حقا؟

- أعني ماذا؟

- أنني منافق بارع؟

أزاح (جبر) يدا الرجل عن كتفيه قائلا باحتداد:

- هل جننت؟!

تأمله (جبر) مليا، ثم استعاد بسمته المتزنة قائلا بود غريب:

- أنت بحاجة للراحة..

حاول أن يخمن ما ببال (جبر)، لكنه عجز طبعاً، فسأله:

- ألن تطلعني على حقيقة ما يحدث هنا بالضبط؟



- من قال أن هنالك ما يحدث؟ الحياة أساسها حوادث، أهذا قصدك؟

- هل تسخر مني؟!

- نم الآن والصبح رباح..

نظر (جرير) إليه بشك.. كان مرهقا بشدة، ولكن كيف ينام بسكينة تحت سقف هذا الرجل البغيض؟

أجل، إنه بغيض.. رجل يفاخر بأفاعيله السيئة هكذا هو حتما بغيض، لكن (جرير) مضطر للمبيت عنده للأسف..

قال باستسلام باسطا كفه:

- لو تكرمت..

- لفوق، آخر غرفة على يسارك..

- شكرا لك..

وصعد تاركا الرجل يرتشف من قدحه في تلذذ، وهو لا يكاد يخفي انفراج أساريه! كل هذا لأنه شهد له بالنفاق؟



غرق في دوامة أفكاره أكثر حتى بلغ باب الغرفة المنشودة، ففتحه ودلف للداخل..



كانت هنالك إضاءة قادمة من أباجورة بجوار السرير، إضاءة ضعيفة، لكنه استطاع بواسطتها أن يرى جسد تلك المرأة التي جلست على الفراش مرتدية ثوب نوم يفضح ساقيهما، وقد طوقتهما بذراعيها، ودفنت وجهها فيهما مستسلمة لشروء تام أو غياب عن هذا العالم!

تراجع (جرير) مصدوما للوراء وقد تفاجأ بشدة لوجودها، وظن لأول وهلة أنه أخطأ بالحجرة المقصودة!
التفت للوراء، فوجد (جبر) واقفا وقد رسم بسمة قميئة على ثغره الجاف..

قال وهو يتأمل وجه (جرير) المنذهل:

- هي زوجتي، تفعل ما أمرها به لأنها تهابني وتحبني!
وهنا رفعت المرأة وجهها شاحبا ذليلا، وبأشنع نبرة سمعها (جرير) في حياته دمدمت كالمنتحبة:
- اقتلني!

تحسست يد (جرير) مقبض مسدسه الذي انتشله من متاعه ليخفيه أسفل سترته، لكن الشيطان تراجع وهو يشهر مسدسا آخر في وجهه، وقال بصوت صارم وهو يحكم التصويب على جبهة (جرير):
- أيها المغفل! كَفَّ عن هذه الحركات في منزل يرحب بك!
هتف (جرير) باستنكار رافعا يدها عاليا:



- مرحبٌ بي؟ كضحية مصاص دماء؟!
ثم تراجع قائلاً بحزم للمرأة دون النظر لها:
- انهضي يا سيده وارتي ثيابك حالا..
جلجلت ضحكة (جبر) آفاق الحجرة وأرجاء الممر خارجا، قبل
قوله باسمها باستهزاء:
- يا لك من مغفل شجاع! لا بأس في ألا تهاب سلاحي، لكن لا
تضيع وقتك مع زوجتي، فهي لن تبارح المكان!
وهنا تسمر (جبر) وقد ماتت بسمته..
لم يفهم (جرير) السبب إلا حين التفت للزوجة، فوجدها واقفة
مرتدية الروب المنزلي، وقد تبدلت نظرة الخنوع في عينيها إلى حقدٍ
جلي! فصاح زوجها محتدا:
- عودي لفراشك يا امرأة حالا!
دنت منه بخطى حثيثة، ولاحظ (جرير) أنها تخفي شيئا وراء
ظهرها، كانت سكيننا كبيرة الحجم!
- «أأنتِ صماء؟ قلت عودي لل..»..
وهنا أطلقت صرخة مباغته وهي تشهر سكينها وتنقض عليه،
فدفعت ثمن ذلك غاليا.. وانتفض (جرير) بشدة وهو يسمع ويشاهد
الطلق الناري، الذي فجر صدر المرأة وأغرقه بالدماء القانية، قبل أن
تهوي صريعة!



تراجع بذعر حتى التصق ظهره بالجدار، وهمس مبهوتا:

- لقد.. قتلتها!

ردّ (جبر) بقنوط متأملا الجثة:

- هي ميتة منذ زمن، وقد كان لي شرف تحرير روحها من كل هذا الجنون!

والفت ليرمق (جرير) بنظرة مخيفة، قائلا بحقد:

- اسمع يا هذا، لقد بدأت أشك بأنك مجرد دخيل على بلدنا وفي الوقت غير المناسب، ولأني لا أزال في مرحلة الشك فلن أغامر بقتلك!

صاح (جرير) رغم دقة موقفه:

- ما الذي تتحدث عنه؟ ما الذي يحدث هنا بالضبط؟!

- أخرج قبل أن أفرغ رصاص مسدسي في رأسك اللعين!

وأحكم تصويب مسدسه تجاه (جرير)، الذي ألقى بنظرة أخيرة على الجثة الممددة أرضا قبل انسحابه بخطى متعجلة، واستطاع (جبر) سماع خطواته وهو يهبط درجات السلالم لأسفل، ثم صوت باب منزله يفتح ويصفق بقوة..

عندها فقط ترك مسدسه يفلت من بين أصابعه ليسقط أرضا، ثم اغرورقت عيناه بالدموع، وهو يتحسس جثة زوجته القتيلة مرددا بحسرة:

- آه يا زوجتي العزيزة!



27

أخيرا توقف (جرير) ليلتقط بعض أنفاسه..
أول ما خطر له بعدما هداً هو أن قاطني البلدة حتماً قد صاروا
جميعهم من الحشاشين أو مدمني الكحول!
لا يوجد تفسير آخر، سوى أن يكونوا ثلة من المجانين لا يدري
عنها أحد شيئاً!
كان قلبه لا يزال يدق بعنف، وعرق «الأدرينالين» يتصبب بغزارة،
وقد اشتدت رغبته في الرحيل أكثر من ذي قبل..
وهنا صمت، حتى أفكاره صمتت..
ركل خطوط الدم الجافة التي تبعها منذ بداية رحلته بشيء من
مرارة، وتمنى الحل، أي حل!
شعر كذلك بالبرد يلسعه أكثر من ذي قبل، ومع مرور الوقت شعر
أنه قادر على إشعال النار في جسمه لتلافي البرودة الرهيبة، وفكر بأنه
بردٌ غير طبيعي البتة!

بعدما هدأت نفسيته قليلا رفع بصره للأمام كي يتأمل البناء الذي توقف أمامه، وكالعادة وجد الخطوط الدموية البشعة منتهية هناك، ومبتدئة طريقا جديدا من ذات الزاوية..



(النسخ)

كان انطباعه الأول والموفق عن المبنى أنه مدرسة للأطفال.. المراجيح والمزلق والدورات في الحديقة، الرسومات على الجدران بألوان زاهية، والتي تمثل صوراً لحيوانات تقرأ مرتدية نظارات، أو تلهومع فراشات وأزهار لها وجوه ذات طابع هزلي، بغية غرس انطباع المرح في نفسية الطفل الخائف الذي يلج المكان للمرة الأولى في حياته..

دخل فناء المكان الذي بدا مهجورا..

تقدم للحديقة حيث تلکم الألعاب، ودفعت إحدى المراجيح، فأصدرت أزيزا موحيا بالقدم، وقد انفضت عن المقعد كمية كبيرة من الأتربة، حينها أدرك أن هذه الأدوات لم تستخدم منذ فترة طويلة، كما أن الصدا قد تمكن من كل قطعة معدنية في تلك الألعاب..

ظل يتأمل الأرجوحة المتحركة ببطء مصغيا لأزيرها الكثيب، عندما قرر أخيرا الدخول للمبنى..



كان الباب مفتوحا على مصراعيه، والفوضى تعم أرجاء المكان،
كتبٌ وأوراق ممزقة ومتناثرة، كراسٍ محطمة هنا وهناك كأن إحصارا
قد دخل..

وعلى الجدار المواجه له في آخر الممر، استطاع لمح تلك
العبارة..

تقدم أكثر كي يتأكد من الذي يطالعه..

سامر قتل سميرة!

ظل يحدق في تلك العبارة مليا، ثم نظر جهة اليمين حيث الممر
الطويل الذي تواجدت أبوابٌ على جانبيه، ولم يقاوم الإغراء - وأي
إغراء!- فقام بتفحص بعضها، فوجدها كلها موصدة يتعذر كسرهما،
وللوهلة الأولى ظن باقي الأبواب كسابقتها، وبأن الرحيل من هنا هو
أفضل حل، لكنه لم ييأس حتى وجد أخيرا بابا يفتح، وبلا أدنى تردد
دلف للداخل..

كانت قاعة عرض، حيث توسطها تلفاز كبير الشاشة مع جهاز
«فيديو»، استغرب وجودهما في مكان مهجور كهذا المكان!
وأمامه، وقف قط بني أخذ يرمقه بنظرات ثابتة أثارت ريبته
واهتمامه وخوفه بآن واحد!





(المسخ)

رمى الصبي أسود الشعر الواقف عند باب قاعة العرض بعينه
الزبرجدتين اللتين توامضان في العتمة، وبحزم وعزم فكر بأن ثمة
طريقة وحيدة لاطلاع الصبي على حقيقة ما جرى هنا..

خفَّ بقوائمه الأربعة باتجاه جهاز الفيديو، وبواحد منها قام بدفع
الشريط داخل فتحة الجهاز كي يرى بنفسه..

وهكذا اقترب الصبي وقد بدا عليه الخوف، ثم تشجع وقام
بتشغيل شاشة التلفاز.. رأى الكاميرا تصور مجموعة من الصغار
المرحين داخل أحد الفصول، الجميع يضحك ويمرح ويشير
للكاميرا بثتى الوسائل الهزلية..

ثم ركزت الكاميرا عدستها على وجه طفلة جميلة ذات شعر
كستنائي قصير وناعم، وسمع الصبي صوتاً أنثوياً ناضجاً - صوت
صاحبة الكاميرا - يقول للطفلة بمرح:

- (سميرة)، أسمعنا الأغنية غيباً، فأنت شاطرة وتحفظينها..

ضحكت (سميرة) كثيراً، ثم ابتدأت الإنشاد بالانجليزية ووجهها
يحمر خجلاً:

- «(جاك هورنر) الصغير..

جلس في الزاوية..

ليأكل فطيرة الكريسماس خاصته..



وضع فيها إبهامه..

وسحب للخارج لعقته..

ثم قال: أي صبي جيد أنا!».

- «برافو (سميرة)! برافو..».

تشوشت الصورة مع الصوت لبعض الوقت، قبل معاودتهما
الظهور بمشهد جديد ومختلف كلياً..

مشهد الطفلة (سميرة) جالسة وحيدة، وتنظر للكاميرا التي
تصورها بثبات.. شيء ما خطأ بشأنها هذه المرة.. عيناها كانتا
محمرتين.. وبنبرة رتيبة قالت:

- لقد أخطأتِ يا مس! (بكسر التاء)

ومن ثم رجع التشويش ليبقى حتى نهاية الشريط!

نظر للصبي، فوجده ساكناً ممتقع الوجه، ثم وجده يحدهجه
بنظرات ملؤها الحيرة، قبل سماعه يقول محاولاً الاقتراب منه ببطء
وحذر:

- ما الذي تحاول إخباري به؟ إذا كنت تفهم كلام البشر فأعطني
علامة ما..

علامة ما؟ خدش بمخالبه الأرضية مرة واحدة، ثم راقب ردة فعل
الصبي.. ما قولك بهذه كعلامة؟
- «ألا يمكنك التحدث بلغتنا؟».



التحدث؟ فتح فمه الصغير ليموء عدة مرات.. لا، لا يستطيع!
 من الأفضل أن يريه بنفسه، في الصف الواقع آخر الممر..
 سار بخطوات رتيبة حتى توقف عند الباب، ثم نظر للصبي
 طويلاً..

- «أريد أن تريني شيئاً آخر؟».

خرج من القاعة إلى أحد الصفوف، فلحق به الصبي ملهوفاً،
 بالداخل اصطدم بصره بالسبورة السوداء المغبرة، حيث دوّن عليها
 بالطباشور الأحمر هذا العنوان باللغة الانجليزية: Jack Horner
 ووسط المقاعد، جلس صبي جميل الملامح أشقر الشعر.. كان
 يعكف ببراعة منقطة النظير على رسم وتلوين أصيص نبتة خضراء،
 موضوعة أمامه على طاولة المعلمة..



(الفسخ)

بعودها الأخضر وأفرعها الضئيلة ذات الأوراق الشبيهة بالمراوح
 البدائية، وقفت ثابتة بجذورها داخل تربة الأصيص الفخاري، كي
 يتمكن فنانها الصغير والجميل من رسمها!
 قال مصوباً قلم التلوين الأخضر اتجاهها:
 - ستكون صورة جميلة، لكنك الأجمل في الواقع!



شعرت بالإطراء، فحاولت ألا تتمايل كثيرا بفعل هواء النافذة المفتوحة، كانت عطشى قليلا، لكن لا بأس، غدا تقوم المعلمة بسقايتها، فيمكنها الانتظار للغد..

قال رسامها الجميل وهو يلون الأوراق بالأخضر الفاتح:
- إنه العصر، وقتي المفضل، أفضيه في المدرسة لأنني أعشقها صامته خاوية!

- هذه المدرسة مهجورة! مهجورة منذ زمن طويل!
قالها الصبي أسود الشعر بخوف ملاً كيانه، فتبسم الأشقر قائلاً بدعة:

- لا داعي للخوف!
شعرت بالوهن وهي ترقب ما يحدث.. وهن عجيب اعترها من الجذور حتى الأفرع..

تذكرت ما حدث فجأة.. هذا الصبي الجميل، فنانها الأشقر، ابن مس (هيام) التي كانت تعني بها جيداً، تسقيها وتضعها تحت ضوء الشمس..

وتلك الصغيرة الحلوة.. ماذا كان اسمها؟ (سميرة)؟
والحادثة وقعت قبل سنين عديدة، إذن كيف..
اشتد الوهن أكثر، وشيئاً فشيئاً بدأت خضرتها آخذة في التلاشي، ليحل محلها لون رمادي كئيب..



كانت تذبل ببطء وصمت وأسى!



(الرسخ)

برأسه المدبب أخضر اللون، شرع يلون الرسم الذي يمثل النبتة الخضراء البراقة، داخل الأبيص الفخاري أمامه..

كانت أصابع صاحبه الفنان الصغير الأشقر تحيط به إحاطة السوار بالمعصم، والنتيجة أن خرجا بتلك الصورة الجميلة، التي بدت نسخا لا بأس به بتاتا عن الواقع..

ثم ابتدأت عارضتهما الخضراء بالذبول تدريجيا حتى تلاشت تماما! لكن هذه المرة ليست ككل مرة، ففي هذه المرة ثمة شاهد بإمكانه إراحة الجميع..

كان الصبي صاحب الشعر الأسود خائفا لأقصى درجة، خصوصا عندما ذبلت النبتة وتلاشت، وزاد من هلعه أن القط البني بدأ يحذو حذو النبتة، لونه يبهت حتى تلاشى جسمه بأكمله!

أما عنه، فلا خوف عليه، لأنه الواقع الوحيد في كل ما يدور، كما أنه أهم شاهد فيما سيحدث الآن!

سمع الصبي صاحب الشعر الأسود يتساءل بنبرة خوف واضحة:
- من أنت؟



وهنا تحرك في يد صاحبه، من ممسك بمن؟ هو حقا لا يعلم، فالأمر يبدو كلوح «ويجا»، حيث لا يمكن معرفة أي من الأشخاص الذين يمسكون بمحرك الأحرف هو الذي يحركه.. لكنه يرجح الآن أنه هو المحرك، لا أنامل صاحبه..

تحرك بسرعة وهمة، شرع يخط كلمات بخط رديء، لا وقت للخطوط المنمقة، فصاحبه سيتلاشى كذلك في أية لحظة.. وهنا سقط على الورقة، لأن أصابع صاحبه باتت شفافة.. سمعه يقول بحزن وأسى مخاطبا الصبي صاحب الشعر الأسود:

- سامحيني يا (سميرة)! سامحيني!
وتلاشى تماما!

بدا الصبي مصعوقا، وبتوتر جامح غمغم متراجعا للوراء خطوة:
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!

أراد أن يلوذ بالفرار، لكنه وقبل أن يفعل استجمع بقايا جراته متقدما من طاولة الصبي الأشقر، فما إن تناول تلك الورقة ذات الأحرف الخضراء، حتى أطلق ساقيه للريح والذعر يتصاعد مع دقات قلبه!



إنه يخشى حتى مجرد التفكير في إمكانية حدوث ذلك..



لم يكن (جرير) مؤمناً بتناسخ الأرواح، لكنه وفي تلك اللحظة
آمن بأنه كان شاهد عيان لجرم وقع هنا منذ أعوام، ومن وجهة نظر
إنسان وحيوان ونبات وحتى جماد!

لقد رأى من خلال أبصار صبي أشقر، وقط بني، ونبته خضراء،
وقلم تلوين أخضر ما وقع هنا! سمّه جنونا لا حدود له، لكنه وقع!
استشعر وجود ورقة في جيبه الأيسر، فأخرجها برفق وحذر
مستغرباً لوجود شيء داخل جيوبه الخالية سلفاً..

كانت صفحة من دفتر رسم، خط عليها بحروف طفولية رديئة
باللون الأخضر:

سامر قتل سميرة عندما دفعها بغير قصد من الشرفة.. ولولا والدته
مس هيام التي أخفت جثتها لافتضح أمره!

ارتعد (جرير).. ارتعد وبشدة..

ثم سمع الغناء الطفولي البارد!

- «جاك هورنر) الصغير..

جلس في الزاوية..

ليأكل فطيرة الكريسماس خاصته..

وضع فيها إبهامه..

وسحب للخارج لعقة..



ثم قال: أي صبي جيد أنا!». .

أنصت برعب عميق كي يتأكد من سماعه الغناء، وحين سمعه مجددا وثب من على الأرض، وخرج من القاعة باحثا عن مصدره، فوجده آتيا من إحدى غرف التدريس المغلقة التي لم يجربها.. أمام الغرفة المنشودة وقف ليحرب الباب، فوجده مفتوحا، وهكذا لم يتردد أكثر..

لم يضطر للبحث مطولا، فقد وجد ذلك الصبي الأشقر الجميل جالسا وراء طاولته، وقد وضع على سطحها عدة أقلام تلوين أمسك بواحدة منها، وعكف على الرسم في دفتر مخصص لرسمات الأطفال، مترنما تلك الأغنية بالانجليزية..

وعلى السبورة المواجهة لمقاعد الدراسة، دَوَّن أحدهم بخط أنيق وبالطباشير الأحمر كلمة: «مولوخ»!

قرأ (جرير) تلك الكلمة بتعجب، ثم قرر أن يولي جُلَّ اهتمامه للصبي الذي لم يكف عن الغناء للحظة، ولم يُبدِ انفعالا يدل على ملاحظته وجود شخص في الغرفة..

- «أغنية جميلة، هل حفظتها هنا؟».

قالها (جرير) باسم للصبي بشيء من عصبية، فهو يعلم الآن أنه يحادث قاتلا رغم صغر سنه..

- «هل أنت وحدك؟».



- «جلس في الزاوية..».
- ولم يكن ينظر إليه حتى!
- «أين ماما وبابا؟».
- «ليأكل فطيرة الكريسماس خاصته..».
- «ماذا حدث هنا؟».
- «وضع فيها إبهامه..».
- «أأنت أصم؟».
- «وسحب للخارج لعقة..».
- «ربما أنت أعمى كذلك!».
- وتبدى الغيظ على وجه (جرير) للحظة.. عندما خطرت له فكرة
ما بغتة..
- نظر للصبي قائلاً له بترفق:
- (سامر) أليس كذلك؟ أين (سميرة) يا (سامر)؟
- وهنا كفَّ الصبي عن الغناء لحسن الحظ، فسأله (جرير) متوجساً:
- قتلتها؟
- لا، لم أفعل..
- وهي إجابة رهيبة، كادت أن تقنع (جرير) لولا مشاهدته الحقيقية
المفزعة برمتها!



- «أظنك فعلتها يا (سامر)..».

- «لا، لم أفعل!».

قالها الصبي بعصية بالغة، فتساءل (جرير) ببرودة:

- كيف قتلتها يا (سامر)?

- أنا لم..

- أين أهلك يا صبي؟ أين كل الخلق؟!!

- هنا!

- هنا أين؟

أشار الصبي للورقة التي يرسم عليها قائلاً بابتسامة مأكرة:

- يقابلون الغول!

تنبه (جرير) لرسم الصبي للمرة الأولى، فوجده رسماً طفولياً لمخلوق بشع مسود السحنة، ذا أنياب طويلة قام بتلوينها بالأحمر على سبيل إبراز الدموية والوحشية في الافتراس، قام أيضاً بتلوين حدقته باللون الأحمر كي يبدو رهيباً..

ورغم أن الرسم بدا مضحكاً لحدٍ بعيد، إلا أن (جرير) لم يستطع منع القشعريرة من التسلل لعروقه، فهمهم ذاهلاً:

- الغول؟!!

هكذا، تحولت القشعريرة في جسد (جرير) إلى رعب حقيقي..



نظر إلى (سامر) قائلاً له باحتداد:

- إذن فقد رأيت الغول.. أليس كذلك؟

هزَّ الصغير رأسه إيجاباً، مما زاد من جرعة الهلع لدى (جرير)، فسارع للقول متلفتاً حوله:

- عليَّ إخراجك أنت أيضاً، فهذا المكان خطر..

- أنا لم أقتل (سميرة)!

- بل قتلتها!

- أنا لم أقتل..

- كفَّ الآن!

وزمجر في غيظ بعدما بات عاجزاً عن الفهم.. عجوز مصر على الوحدة، رجل منافق حقير، والآن صبي يصر على الكذب! فما سر حماستهم الشديدة؟!

وقع بصره مجدداً على الكلمة المدوّنة على السبورة، بدت له غريبة ومنفرة لحد لا يصدق..

- «من دوّن هذه الكلمة يا صبي؟»..

- «لا أعلم..»..

ولربما يكذب في هذا الأمر أيضاً!

وقبل أن تعاود الحيرة افتراس (جرير)، تذكر أخيراً أين سمع بتلك الكلمة..



فقد طالع يومنا عن (مولوخ) الشيطان، وهو اسم لإله أباح تلمود اليهود تقديم الأطفال قربانا له! ليست «المس» من كتبت اسمه على السبورة حتما!

ثم تذكر عبارة «الوشاية كالقتل»، ترددت بإلحاح في ذهنه لما ذكر موضوع التلمود، وبما أنه بطالع كثيرا، فقد تذكر أن عبارة «الوشاية كالقتل» من أحكام التلمود أيضًا، فما معنى هذا كله؟

هنالك سر في تصرفات الذين قابلهم، هنالك أيضًا خطر يترصد به لو أن موضوع الغول هذا حقيقي!

التفت للصبي صائحا به:

- هلم بنا!

- أنا لم أقتل (سميرة)!

- كفَّ عن تقليد البغاء وتعال معي..

- أنا لم أقتل..

فانفعل (جرير) وهو يصرخ غاضبا:

- الكاذب يلج النار ولو كان صبيا مثلك! من الأفضل لك التفكير

بعواقب جرمك يا صبي بدل الكذب المتواصل!

بهت وجه الصبي قبيل صياحه المنفعل:

- ومن قال أن ما فعلته خطأ؟

تلون وجه (جرير) وهو يسأل:



- ماذا تعني؟

ابتسم الصبي ابتسامة شيطانية مجييا بجذل:

- أنا سعيد لأنني صنعت ذلك لأجله!

وأشار لاسم مولوخ على السبورة وهو يضحك! هاهو ذا مجنون
آخر، مجنون ثالث! مجنون صغير السن وينافس سابقه في لعبة
المجنون!

فجأة، هجم الصبي على ساق (جرير) مبرزا أسنانه، وكضبع
صغير عضها بوحشية دفعته لإطلاق صيحة ألم، قبل أن يفلته الصبي
وينطلق للخارج بأقصى سرعة.. لحق به (جرير) وهو يشعر بالدماء
تسيل من موضع العضة الشرسة!

لكنه حين صار خارج الصف، لم يستطع إيجاداه في أي مكان!



28

إنهم حمقى مخرفون لا أكثر!
قرر (جرير) الإبقاء على هذه الفكرة كونها أكثر من رائعة، ولأنها
تحمل التفسير الملائم لكل ما مرَّ به من جنون!
ولكن لِمَ كل تلك المصطلحات اليهودية اللعينة؟
أتراها هلوسة جماعية ناجمة عن وباء؟ أم هي - لا سمح الله -
ديانة جديدة؟
- «أعوذ بالله!» -

همس بها ساخطا، فهو بالتأكيد يفضل لقيا الغول على لقاء أتباعه،
إذ يبدو وأنها ديانة منحرفة ما جديدة..
كان قد بحث عن (سامر) طويلا دون جدوى، فقرر تأجيل عملية
البحث لوقتٍ لاحق.. لقد قطع مسافة طويلة بجوار الخبوط الدموية
التي تتبعها منذ بداية رحلته، فهي تعمل له عمل خارطة النجوم
السماوية للبحَّار، كي لا يضل طريقه في عرض المحيط..

من بعيد لمح منزلا بدا له مألوفاً.. لم تطل حيرته أكثر، فقد كان ذات المنزل الذي ابتداءً منه رحلته، أي أنه كان قريباً من مكان دفن الشاب القتيل!

لقد عاد لنقطة البداية إذن! الخطوط الدموية قد شكلت له حتى الآن شبه مثلث بين ثلاثة أماكن، منزل العجوز الانطوائي، ومنزل (جبر) المنافق، ومدرسة (سامر) الكاذب!

إن من رسم تلك الخطوط يعلم أن تلك المواقع الثلاثة هي الوحيدة التي تحوي بشراً، لكن لماذا قام برسمها؟ أيعاود الاستكشاف؟ ربما لاحقاً فقد نال منه التعب أخيراً..

كان الظلام دامساً، لكنه رآه.. يقف بالتحديد عند النقطة التي دفن فيها الشاب القتيل!

كان فارغ الطول، ولم يسمح له الظلام برؤية المزيد، رآه فقط يمسك معولاً، ويهوي به في ذات موقع دفن الجثة! من تراه يكون؟ أهو أحد قاطني البلدة؟ أم أنه..

وتراجع (جرير) للوراء عندما رآه ينتزع الجثة انتزاعاً من التراب! ثم التفت إلى حيث يقف (جرير)!

جمد في مكانه كاللص الذي صُبط متلبساً بالجرم المشهود، وارتعد بشدة وقد عجز عن الإتيان بخطوة، في حين تقدم ذلك الشخص رافعاً المعول باعتداد!



ولم يدر (جرير) كيف تذكر ذلك الموقف مع ذقة موقفه الحالي، عندما كان في المرحلة الثانوية يعكف - قبل مرحلة الشعر - على كتابة قصة رعب فريدة من نوعها.. لا يهمننا معرفة اسم بطلها، ولكن تهمننا معرفة الظروف التي وُضع في خضمها، ولربما كيفية خروجه منها أيضًا!

ماذا يحدث لو وُضع شخص مؤمن أن الغول أو البعبع مجرد خرافات في مواجهة شيء كهذا الذي يواجهه الآن؟ ما أول ما سيقدم عليه البطل؟

في قصته تلك حاول التجديد، لأن من الطبيعي أن أول ما سيصنعه بطل القصة هو الفرار..

لم يفهم لم يتذكر هذه السخافات الآن، ربما لتبين له مدى حمقه.. إن الموقف الطبيعي الأمثل لهذه المناسبات المخيفة هو الفرار طبعاً! فلو كان متسلحاً بمدفع رشاش للذ بالفرار أيضًا! صحيح أنه متسلح بمسدس ومدية، لكن..

هكذا ولى وجهه المرتاع شطر طريق غير الذي أتى منه، وأطلق لساقيه العنان!

كانت انطلاقته ذات سرعة مذهلة بفضل ضح «الأدرينالين» طبعاً، ذكرته بمواقفه مع الكلاب الضالة التي لطالما خرجت له بغتة من قلب العتمة، لتطارده بطريقة يشيب لهولها الولدان وهي تنبح بجنون

مسعور، فكان يركض بسرعة خيالية تعجز حتى الكلاب عن مجاراته بها!

لم ينظر للوراء حيث الخطر يطارده، كان يركض حتى يكل، ثم يتوقف كي يلتفت للخلف وينظر، وعندها ليحدث ما يحدث!
مع الكلاب كانت تلك الطريقة ناجحة دوماً، فعند التوقف عن الركض والنظر للوراء لا يجدها في أعقابه.. فهل تفلح مع الشخص - أو الشيء- الذي يطارده؟
لو أنها قصة رعب لجعل الخطر لا يبأس من مطاردته، بل ويفتك به أيضاً في النهاية بدموية!



شعر بالتعب يسيطر على قدميه، وبإفرازات الأدرينالين العنيفة تتخلى عنه أخيراً، فقرر التوقف..
وللخلف نظر لأنه سئم لعبة المطاردة ما بين القط والفأر..
وحين لم يجده تبسم في خلاص.. لقد نجنا!
بعد ثوان ابتدأ يشك في أنه ابتسم كونه أصيب بالجنون!
لا.. لن يجن الآن.. عليه الهرب من هذا المكان المشؤوم بأية وسيلة..



ترى هل كان (جبر) المنافق يقصد بكلامه المقبض عن رحيل الناس أن الغول هو السبب؟ ولكن ما سر بقائه هو والعجوز الانطوائي والصبي الكاذب؟ أتراهم جنوا من هول ما شهدوه؟

عاود جفنه الاختلاج وبشدة حتى اضطر للامساك به كي يتوقف، كانت لديه مشكلة رف مزعجة منذ طفولته في الجفن الأيسر لا يدري ما سرها، ثم نظر للأمام حيث منتهى بصره، مردداً لنفسه دون كلل:
- ساعدني يا إلهي!

إن هذه البلدة قد صارت بالنسبة له كصندوق العجائب الحاوي لأغرب الأشياء، ولكن مع مرور الوقت تتجدد تلك الأشياء وتزداد غرابة، فمتى ينتهي العرض المفزع؟



29

ما العمل؟ إن البرد يجمد خلاياه تجميدا، كما لو كان في القطب الجنوبي..

كانت فكرة الفرار من البلدة بأسرها مغرية، لكن هل يجروء على تحدي الظلام خارجا وسط العفاريت والذئاب؟
رمق الأرض بغم، فوجد الخطوط اللعينة قد انتهت من جديد عند نقطة جديدة.. فيلا فخمة اتصلت بها حظيرة للمواشي (وقد كان منظرهما معا متنافرا وغريبا)..

لم يتمهل كي يفكر، وأسرع يعبر بوابتها الحديدية ذات القضبان، ومديته في قبضته تحسبا للظروف الرهيبة التي ستقع حتما! وتأمل الأرجاء باحثا عن علامة تدل على وجود بشر، لكنه لم يجد، فقرر متابعة البحث لعل وعسى..

فليدخل إلى الفيلا، لربما وجد انطوائيا آخر يرفض الإعلان عن وجوده، أو منافقا أو حتى كاذبا جديدا!





تتأهى لمسمعه صوت خوار آتٍ من حظيرة المواشي..
وثب وثبة خفيفة في الهواء لأن الصوت أفرعه بشدة، وبعد أن
استعاذ بالله من (مولوخ) وكل شياطين الأرض وغيلانها، دنا من
باب الحظيرة الخشبي ليرى ما هنالك..
دفع بقدمه الباب ودخل، فوجد المكان خاليا من وجود مخلوق
حي واحد، فمن أين انطلق ذلك الخوار بحق الله؟!
تهيئات؟ ربما التحق بركب المجانين أخيرا..
ثم انه وجد على الجدار المواجه له كتابة جديدة باللون الأحمر
المقيت (لقد بات هذا يثير جنونه بالفعل)، فهمس لنفسه بنزق:
- وهاهي ذي حكمة اليوم! لنرى ما هنالك..
لا تتركب على ظهر الثور المربوط في الحظيرة، لأن الشيطان
يرقص بين قرنيه!
بدأ التفكير جديا في فحوى هذه النصيحة، لكن الأمر بدا
مستحيلا، إذ لا توجد علاقة بينها وبين أي شيء لعين يحصل!
صرخ (جرير) وهو يضرب الجدار بنصل مديته:
- سئمت كل هذا الجنون!!
ولكن ما إن التفت كي يخرج من المكان حتى تصلب في مكانه..
وعجزت قدماه عن التحرك، وهو يشهق رعبا كمرضى الربو..



فأمامه، عند باب الحظيرة تحديدا، رأى ما كاد يطيح بما تبقى له
من عقلانية.. رأى ثورا.. ثورا أسود هائل الحجم بصورة غير طبيعية،
وقد امتطاه صبي صغير ذا بشرة قمحية، كان عاريا كما ولدته أمه،
ويملك ذات العينان الجهنميتان اللتان لدى الثور المخيف!

وكذلك ذات القرنين الهائلين!

كانا بيرزان من منتصف جبهة الصبي كهلالين عملاقين، ورمق
جريراً ببرودة كثوره المخيف.. فالتصق الأخير بالجدار الذي يحوي
التحذير، وهو يهمس لنفسه بأسلوب أقرب للتوسل:

- لا بد وأنه كابوس بغيض! رباه، اجعله كذلك أرجوك!!

وهنا رفع الصبي رأسه للسقف مطلقا ذات الخوار الرهيب
الذي سمعه (جرير) من قبل! وفوجئ المسكين بالثور ينقض عليه
مصوباً بقرنيه المدببين كرمحين اتجاه خاصرته، فصرخ (جرير) آخر
صرخاته قوة وهو يلوذ بكلتا يديه، متخيلاً الرمحين يخترقان معدته،
ويبعثران أمعاءه في جميع الاتجاهات!

تأخر حدوث ذلك كثيرا في الواقع..

وحين أزاح (جرير) يده عن وجهه، وفتح عينيه ببطء، اتضح له
ألا أحد أمامه!

يا للوهم الشيطاني البارع!



ثمة شر ظهر في بلدة الشؤم هذه، شر تسبب في رحيل أو اختفاء
الجميع (والحق أنهم كانوا مصيبون في قرارهم ذاك)
ثمة كائن وحشي يتحرك كالأخطبوط هنا وهناك، أذرعته في كل
حذب وصوب، يمكنه خلق الأوهام، والقتل، وجعل البشر الذين
اختاروا البقاء يسعدون بمزاولة بعض صفات الشرور!
ثمة شيء يمتلك مقدرات تضاهي قدرات غول..
ثمة شيطان هنا، شيطان حقيقي!



30

صبيحة أنثى تلك التي سمعها تدوي بغتة..
ومن دون التفكير مرتين وثب من مكانه منطلقا لخارج الحظيرة
بأقصى سرعته..

من أين أتت تحديدا؟

لم تطل حيرته هذه المرة، فقد انطلقت الصبيحة مجددا من داخل
الفيلا..

وبجسارة مثيرة للدهشة، اندفع (جرير) إلى داخل الفيلا شاهرا
مسدسه استعدادا للقتال والقتل، صعد السلالم المؤدية للطابق
الأول واقتحم أول حجرة..

لا أحد هنا لسوء الحظ!

وهنا عاودت الصبيحة ظهورها، فالتقطت أذنه مصدرها..

خرج من الغرفة الخاطئة واقتحم الصبيحة هذه المرة.. فماذا

رأى؟



شابة حسناء تقف حافية القدمين فوق سريرها، وتشير بهلع إلى

زاوية الحجرة وهي تصرخ:

- أنجدني أرجوك!

- ماذا هناك؟

- فأر!

- فأر؟!

- أجل! مختبئ هناك، إذا نظرت وراء الخزانة لربما..

- سحقا!

ولكم الباب بكل قوته، مما دفعها لإطلاق صيحة هلع أخرى!

قال وهو يحاول كظم غيظه بصعوبة:

- كل هذه الهستيريا لأجل فأر تعس؟

راقبته بخوف قبل أن تصيح:

- إذا لم تدعر المرأة من فأر، فمم تدعر؟

ردّ مغتاضا وهو يصنع من إصبعيه قرنان وهميان فوق رأسه، ليبدو

كالثيران أو الشياطين كلاهما سواء:

- من الغول! من الصبي ذي القرنين الذي يمتطي الثور الأسود!



بدا كالمجنون، ربما جُن أخيراً.. لكن نظرة مدققة منه لوجه المرأة جعلته يدرك مدى تماديه، وبأنها قد باتت خائفة منه أكثر من فأرها المزعوم!

قال مهموما وهو يخفض يديه:

- آسف..

- لا عليك..

قالتها بارتباك كأنها قدرت موقفه، ثم نزلت من على السرير لتتعل حذاءيها..

- «أنا (درة)، تشرفت بمعرفتك!»..

- «(جرير).. على اسم الشاعر!»..

وتأمل الحجرة المنسقة، ثم سألتها:

- تقيمين وحدك؟

- أجل، بعد موت زوجي وابني..

- وبالطبع لم تلاحظي ما حدث في البلدة..

- ما الذي حدث في البلدة؟

قالتها متبسمة بروتينية.. فنظر إليها طويلاً، ثم قال ببطء:

- لقد هجرها الجميع..

- ماذا قلت؟



- كما سمعت بالضبط!
- كيف لم تخبرني (ازدهار) و(ميساء) و(هيام)؟!
- من يكن؟
- جاراتي وصديقاتي..
- يا للصدقة! يرحلن من دون إخبارك؟
- اللعينات! لا بد وأنهن انتوين الخلاص مني!
- ولم يردن الخلاص منك؟
- يغرن على أزواجهن من أرملة تعسة الحظ مثلي، فقط لأن الله وهبها الجمال والثروة..
- صرخ (جرير) فجأة:
- كفى!!
- انتفضت (درة) بشدة وهي ترمق (جرير) بفزع.. في حين قال لها بغضب:
- سَئمتُ من مجارة سخافاتك! إما أن تخبريني بما حدث في هذا المكان اللعين أو..
- لا أدري عم تتكلم!
- بل تدرين! استغفالكِ قد يجدي مع طفل! تريدين إقناعي أنكِ تعيشين هنا دون دراية بأن سكان البلدة قد رحلوا جميعا بسبب الشر الراتع في..



- شر؟! -
- أجل شر! شر أسود وقاتل!
- أنت مجنون!
- قلت كفي عن استغفالي!
بدت غاضبة هذه المرة، بل بدت وكأنها ستطرده شر طردة..
إلا أنها هدأت تدريجيا، ثم باغتته بقولها:
- ما الذي تريد معرفته بالضبط؟
حقا كانت مفاجأة.. لم يعلم أن انفعالاته ستصيب إلى هذا الحد!
- «كل شيء..»..
هزت رأسها، ثم همست ببرودة:
- هل لك أن تنتظرنني بالأسفل؟ أريد تبديل ثيابي..
- لك هذا..
ومن دون كلمة زائدة، ترك لها الحجرة ليهبط إلى صالة الجلوس..



كانت الصالة منسقة ومرتبة بشكل ملفت للأنظار، إلا أن (جرير)
المجهد بدنا وأعصابا لم يلق لذلك بال..
اتجه للمستائر لينظر من خلالها إلى البيوت المتعددة، واستعاد في
ذاكرته شيئا من مشاهد الفزع التي لن ينساها قط..



وهنا، لمح في إحدى الزوايا خارجا ورغم تعسر الرؤية في الظلام
أحدهم يتحرك كالآلة، واستطاع رؤية معول في يده اليمنى!
ارتجف (جرير) وهو يتوارى خلف الجدار، وبعد ثوان استرد
شجاعته، فأطل بوجهه مجددا ويحذر..

لم يجد أثرا لأحد، فقد رحل الشخص الرهيب، أو بالأحرى
ذهب ليواصل بحثه في بقعة أخرى!

ابتعد عن النافذة، وشرع يقلب في تحف وصور الصالة لتناسي
الفكرة المرعبة.. رأى صوراً موضوعة داخل إطارات صغيرة مزخرفة
ومذهبة، وقد اتخذت أماكنها بين التحف والفضيات بلمسة يد أنثوية
لا شك فيها..

الصورة الأولى لرجل ذابل واهن يتسم بإنهاك، بدا كالمصاب
بمرض عضال..

أما الثانية فكانت لدرة، بدت ساحرة أخاذة، تبتسم باستعلاء
ملكى، ولم يرتح (جرير) لتلك الابتسامة التي رسمتها على شفيتها..
لكن الصورة الثالثة!

كاد (جرير) يفقد وعيه، لكنه تماسك.. كانت الصورة لولد في
العاشرة من عمره، قمحي البشرة.. ذات الولد المرعب الذي كان
يمتطي ظهر الثور الأسود في الحظيرة!

ما معنى هذا؟!



- «هل راقت لك صورنا؟».

انترعته كلمات (درة) من العالم المخيف الذي كاد يبتلعه،
فالتفت نحوها قبل أن ينشده.. كانت - والحق يقال - بارعة الجمال
بكل المقاييس، فقد زاد فستانها الأزرق من حسننها وأناقتها، حتى
بدت مختلفة كل الاختلاف عن صورتها الأولية التي رآها بها!
- «جميلة!».

ابتسمت متسائلة بخبث:

- الصور أم أنا؟

قال وقد شعر بأنه أطال النظر أكثر من اللازم:

- كلاكما..

- شكرا على المجاملة!

أشار إلى صورة الصبي قائلاً:

- ابنك الراحل أليس كذلك؟

- بلى..

- كيف مات؟

- قتل وزوجي في حادث سيارة مروع.. تصور! رحلا معافي

ليلة واحدة!



وغطت وجهها بكفيها، ثم شرعت تنهنه بحرقة، فصمت (جرير)
على سبيل الاحترام للمشاعر، وإن شعر بأن لوعتها مصطنعة، لكنه
لم ينطق..

عاود السؤال بعدما هدأت:

- منذ متى؟

- ثلاثة أعوام.. لماذا لا تجلس؟

جلس على أريكة مريحة، أما (درة) فاتجهت إلى خزانة مزخرفة،
فتحتها لتكشف عن بار صغير أنيق، اصطفت على أرففه العديد من
زجاجات النبيذ من عدة أنواع، وكؤوس بلورية من مختلف الأحجام!
قال بنفور:

- لا أشرب هذه «الأوساخ»!

ضحكت وهي تفتح إحدى الزجاجات قائلة:

- يا لك من وقح!

قال في سره: أهذه من كانت تنوح على ولدها وزوجها الراحلين
قبل قليل؟

لكنه ذكر أن بعض الناس الذين تصيهم المصائب سرعان ما
ينغمسون في موبقات كالخمور والقمار والمخدرات، في محاولة
يائسة لنسيان من فقدوهم.. لكن هذا لم يشعره بإشفاق من أي نوع
لحالها..



سمعتها تقول وهي تصب شيئاً من الشراب في كأس لها:
- ربما معك حق.. لكنني لا أستطيع الاستغناء عن هذه «الأوساخ»
الآن..

- بل تستطيعين، إن إرادة المرء..

ضحكت وهي تسأله مقاطعة:

- تدخن؟

- أجل..

- أقلع عن التدخين وأثبت لي أن إرادتك حديدية، أقلع أنا عن
معاقرة الشراب!

انتشل من جيب سترته العلوي علبة السجائر، وببساطة رماها
على الطاولة قائلاً بثقة مصطنعة:

- ها قد أقلعت!

- يا لك من مكابر! وما الذي يضمن لي أنك لن تعاودها؟

- ما الضمانات التي تريدينها؟ عقْدٌ مثلاً؟

اقتربت منه، وجلست بالقرب منه هامسة:

- أنت!

- لم أفهم..

زحفت لتدنو منه أكثر، ثم عاودت الهمس:



- أريدك أنت!

كان من الواضح أنها محاولة إغواء، فهبّ واقفا وهو يصيح:

- كفى! ما لهذا جئنا للتحدث يا امرأة!

نهضت ببطء، واقتربت منه قبل لمسها وجتته بأناملها وهي

تهمس:

- هل تعلم أنك وسيم؟

قال بخشونة وقبضته تمسك معصمها بقوة، غير آبه لصيحة التأوه

التي أطلقتها:

- ما حقيقتك يا (درة)؟ وما حقيقة هذه البلدة؟

ما هي الحقيقة في كل هذا الجنون؟!

- أخبرتك أنني لا أعلم شيئا..

- تكذابين! الأفضل أن تخبريني يا امرأة وإلا..

صاحت متحدية:

- وإلا ماذا؟ ستضرب امرأة أيها الرجل؟

سكت (جرير) وقد شعر بتماديه أكثر من اللازم، ولكن ماذا

يفعل؟ قد أخرجته المرأة عن طوره..



- «(درة)!!».



باغتته الصرخة، ونظر للمرأة الحسناء فوجدها متفاجئة بدورها!
ومعاشتركا في النظر لفوق، فأبصارا رجلا يرتدي روبا منزليا ويجلس
على كرسي مدولب للمعاقين، وقد حدّج (درة) بنظرة تألم صريحة!
بدت ملامحه مألوفة، وسرعان ما تذكر (جرير) أين شاهدت تلك
الملامح الواهنة، التي يبدو صاحبها كالمصاب بمرض عضال!

التفت إلى (درة)، وباستهجان قال لها:

- دعيني أضمن، أو ليس زوجك المرحوم الذي من المفترض أن
يكون قد لقي مصرعه في الحادث مع ابنه؟
كان الرجل المُقعد يرتجف من فرط الانفعال، أما (درة) فقد
تجرعت من كأسها بنهم قائلة بلا مبالاة:

- هو بعينه!

- وما تفسيرك؟! -

- تريد تفسيراً؟ لا بأس، سأخبرك، ولكن حاول ألا تنصدم كثيراً..
إن النسوة في العادة يخزن أزواجهن في السر، لكنني وبعد
الحادث الذي أصاب زوجي بشلل نصفي، قررت خيانته في العلن!
صار الرجال يتوافدون إلى هنا، فأختار منهم أمامه دون أن يملك فعل
شيء لي!

قال (جرير) وقد صدمه ما سمع:

- ايتها الغانية! لِمَ صنعتِ ذلك به؟ هل آذاك يوماً؟



ضحكت كما لو كانت تسخر من سذاجته، ثم هتفت:

- بالطبع لا! لم يكن يقوى على إيذاء حشرة! وهي صفة أمقتها
في الرجال!

ارتجف (جرير) وهو يفكر في مدى غلاظة قلبها، هذه المرأة
شيطانة إنسية!

وسألها بتقاسيم محتقنة:

- وابنك؟ أموته كذبة أيضًا؟

- طبعًا لا، لقد مات وشبع موتًا..

- كيف؟

تبدت نظرة مهمومة في عينيها وهي تقول:

- شق نفسه.. في الحظيرة!

- انتحر؟!

لكنه تذكر (سامر) الذي يصغر صبي الحظيرة بسنوات، فترجع
مدمدما بحذر:

- إنه الشر..

ضحكت (درة) وهي تصب ما تبقى من الشراب في جوفها، ثم
ألقت الكأس ليتهشم إلى قطع، وهي ترقص «الفالس» مع نفسها
صائحة بنبرة متحشجة:

- تعال أيها الشاعر! وسأكون لك خير عشيقة!



في حين ارتسمت التعاسة على وجه الزوج في أشنع صورها،
حتى بدأ أقرب للذبول والبهتان!
أما (جرير) فلم يعد له وجود في الفيلا بأكملها..
لقد خرج راكضا وهو يردد مرتجف الفرائص:
- إنه.. الشر.. بعينه!



31

ظَلَّ (جرير) يركض حتى خرج للشارع..
مولوخ الجهنمي، شيطان عُبد في أزمنة غابرة، فلم يظهر الآن
وهنا؟

جنون جماعي كأنه الوباء، والشر سيد الموقف هنا، أيكون الغول
هو ذاته مولوخ؟

ثم هناك اليهود، أصحاب الباع الطويل في الخراب والتدمير
وحتى السحر الأسود، هل قطنوا هذه البقعة يوماً؟ بل هل قطن
سحرتهم هذه البقعة واستخرجت كتب سحرهم شرّاً عبده باسم
مولوخ؟

كلها أفكار وليدة مخيلة جنونية، لا التفكير المنطقي، ولكن من
قال أن ما تعرض له خاضع لمنطق محدد؟
مولوخ.. مولوخ.. والبقية تأتي! جنون لا حصر له، لكنه لن
يتمكن منه..

سيذهب الآن لمنزل جيد التحصين وينام ملء الجفنين، بعد الاستعاذة والمعوذات حتى مطلع الفجر..

عندها «مولوخات» الدنيا بأسرها لن تجسر على إيذائه..

لم يطل بحثه، إذ وجد منزلا لا بأس به.. في الواقع لم تكن عبارة (لا بأس به) واردة حتى، هو منزل مثل غيره من المنازل، لا يميزه شيء، باستثناء كرسي هزاز تؤرجحه الرياح الباردة ببطء مخيف..

كانت جميع الأبواب موصدة بإحكام، لكن ثمة نافذة مفتوحة بإمكانه بلوغه بقليل من الجهد، إذا ما تماسكت ماسورة المياه الصدئة القريبة منها..

لم يكذب خبرا، إذ شرع يتسلق حتى وصل إلى النافذة، فتعلق بحافتها وتسلل للداخل، سيكون مكانا آمنا بسبب تحصينه المرتجل.. ولكن ماذا لو لم يكن المنزل مهجورا؟ عندها تلوح الطامة الكبرى، فعقله غير مستعدٍ لتحمل مفاجأة أخرى!

هكذا قرر تفتيش المنزل أولا..

فتش بدقة، كل ركن وزاوية من كل حجرة، كان من الواضح أن أصحاب هذا المنزل قد هجروه بدورهم، ليس من مدة طويلة، فالأثاث في مكانه.. ونظيف.. تماما؟

لا أثر لذرة غبار واحدة حتى!

أمر غريب ومريب حقا..



يوجد بعض الطعام في البراد لم يفسد بعد فالتهمه بنهم واضح..
فليكن الشيطان ذاته من قام بطهيه، لا يهم، فقد نال الجوع منه..



في الصالة وجد صوراً للعائلة، واحدة للآب، والثانية للأم،
والثالثة.. للصبي المدعو (سامر)!

إذن فهذا هو منزله.. يا لها من مصادفة!
في الردهة بضعة حقائق موضبة للرحيل كما يبدو، وهنالك آثار
دماء على الأرض!

دماء في الحمام أيضاً.. هذا غريب!
قال له عقله بعد عملية تفكير سريعة أن والدي الصبي رحلا بعدما
يُسا من إيجاد وحيدهما، فتركا بعض الأغراض التي لم يكونا بحاجة لها..
ولربما قتلها الغول! وهذا منطقي أكثر لوجود الدماء.. من
يدرِي؟ قد يكون الصبي المسكين قد شهد مصرعهما، ولهذا فقد
عقله..

وهنا لاحظ (جرير) أمراً..
اقرب أكثر حتى تأكد، الدماء كانت تشكل عبارة ما!

احذر الجهنمي بارغوست!

بارغوست؟ يا للاسم الغريب! أتراه لشيطان أيضاً؟



مولوخ ثم بارغوست، ولربما يظهر عزازيل فيما بعد!
قال (جرير) لنفسه:

- رباه! احمني من كل هذا الجنون!

لقد سقطتُ في جحيم من الأسماء اللاتينية والسنسكريتية
للشياطين!

ذهب إلى المغسلة ليبلل وجهه المرهق بالماء كي لا ينام، فهو
يجهل مدى خطورة بارغوست هذا، وكلما طالع تحذيرا ظهر له
الخطر بصورة شنيعة تكاد تفتك به لولا لطف الله..

اقشعر بدنه لما تناهى لمسمعه صوت ترنيمة حزينة طفولية،
صوت الصبي (سامر)!

كان الصوت ذا صدى خفيف، ويتدرد بعمق في أرجاء المنزل..
ارتجف صوت (جرير) وهو يقول لنفسه بعد أن تنفس بعمق:
- تهيؤات..

غسل وجهه من صنوبر الماء البارد، ومسحه بمنشفة نظيفة مكررا
بعصبية:

- مجرد تهيؤات..

خرج بعدها ليجلس على الأريكة المريحة في الردهة..



حين يغمض عينيه يتذكر مسكنه، وأوراقه، وقهوته الزكية،
وعزوبيته التي بات معتادا عليها.. وحين يفتحهما يتذكر المجانين،
ومطارده المتشبث بمعول، وخطوط الدم، وكل ما هو كريبه ومشوه!
حقا لا يُقدر المرء قيمة الشيء إلا عند فقدانه! لقد صارت حياته
التي لطالما اعتبرها رتيبة بائسة شيئا عزيزا المنال، وبعيدة كل البعد
عن تناول يده..

طفق يحرق في خطوط راحة يده بشروء ذهن، ثم أنصت لصوت
الرياح خارجا.. أهو سلطان الرعب؟ وهل للرعب سلطان؟ النوم له
سلطان، فما بالك بالرعب؟

ظلت خواطره المضطربة تتدفق كشلال نائر المياه داخل عقله،
وفي أعماق مخيلته، حتى شعر بالنعاس أخيرا..

وفي اللحظات التي كاد خلالها يستسلم لنوم عميق اختلج أحد
جفنيه، ذاك الذي يؤرقه منذ الصغر.. لكن لماذا؟
أتاه الجواب عبر أصواتٍ شبه خافتة لخطوات سريعة قادمة من
فوق!

انتصب الشعر في رأسه وساعديه، واصطكت أسنانه وهو يفكر:
لقد فتشت المنزل بدقة وكان خاليا تماما، وأقسم على ذلك!
ثم إن الخطوات ابتدأت رحلة الهبوط على درجات السلالم..

لم يتمكن (جرير) من تمييز ذلك الشيء الذي يهبط، لأنه أضاء
 أباجورة بجواره فقط وسط الظلام، وذلك الجسد الضخم يملك لون
 الظلام ذاته، ويتحرك برشاقة كلب..
 هذا.. لأنه كلب!

كلب أسود هائل الحجم، التمعت عيناه في الظلام!



ألجم الرعب لسان (جرير) وقد عجز عن الإتيان بأي تحرك، في
 هذه المرة لن يكون هناك ركض ثم تعب والتفات، فقط المواجهة
 غير العادلة ولا شيء آخر!

كانت عينا الكلب مروعتين، فقد كانتا على شكل قرصين
 مضيئين، مشهد شنيع قادر على إيقاف دقات القلب، خاصة وأن
 الوحش الأسود يكشر عن أنياب فضية تقاطر منها اللعاب!
 وهنا انقض الكلب كفهد صياد..

صرخ (جرير) وهو يقفز من مكانه كالجنذب، فاصطدم الكلب
 بالأريكة منشبا أنيابه ومخالبه فيها، وشده (جرير) متخيلا نفسه
 مكانها، ثم قرر بيع حياته غالية..

أخرج مسدسه، في حين التفت الكلب الجهنمي إلى حيث تقف
 ضحيته مكشرا عن أنيابه مجددا، والعجيب أنه لم يصدر أي صوت
 على الإطلاق، ولا زمجرة من أي نوع!



- «هلم تقدم أيها المسخ البشع!».

تقدم الكلب بغية الحصول على العشاء، فترجع (جرير) ناحية الباب متلمسا مقبضه..

تبا! لقد نسي أن الباب موصلٌ بإحكام! لا مناص إذن من المواجهة..

وهجم الكلب المتوحش..

وفي هذه المرة، كان هنالك جرح غائر في ساعد (جرير)، وطلقة طائشة في الهواء..

استعد الكلب للهجوم من جديد، وقد أثارت شهيته الدماء المتقاطرة..

وفجأة تحطم الباب إثر رفسة قوية للغاية..

ترجع (جرير) مدعورا لما اكتشف أن من فعل ذلك هو المجهول المخيف صاحب المعول!

وفي ذات اللحظة هجم الكلب الضاري..

تجاهل ذلك الشخص جريراً، وتقدم ماداً كفه اتجاه الكلب صارخاً:

- «أكلأ أكلأ!!».

وصرخ (جرير) وهو يحمي وجهه بذراعيه من انقضاضة مهلكة..





فتح عينيه ببطء، ليجد أن الكلب قد تلاشى!

- «أين.. أين اختفى؟!».

أجاب الرجل الضخم بحزم:

- رحل.. أنت في أمان الآن!

وتقدم مردفا:

- لقد أرهقني البحث عنك كثيرا!

بدت ملامحه جلية الآن، كان رجلا في أواخر الخمسينات، ومع

هذا كان متين البنية، لحيته رمادية كثة، ويرتدي نظارات طبية..

- «وكيف رحل بالله عليك؟».

ابتسم الرجل مجيبا بإنهاك:

- أمرته بالرحيل فحسب!

- كيف؟!

تنفس الرجل ببطء، ثم مدَّ يده لجرير قائلا بلا ود:

- دعنا نداوي هذه الذراع المصابة أولا، بعدها أجب على كل

تساؤلاتك..



البرج القديم

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



32

كان الرجل قد اقتاد (جرير) إلى البرج الأثري القديم ..
وبعد صعودهما حوالي ثلاثمائة درجة حجرية، وصلا قاعة مليئة
بشباك العناكب، خاوية على عروشها إلا من كرسي خشبي، ثبتت
عليه شمعة توهج لهيبتها ليضيء المكان.. طلب الرجل من (جرير)
أن ينتظره ريثما يبحث عن عدة الإسعافات الأولية..
القاعة بأكملها تطل على البلدة بأسرها، عن طريق شرفتها
بالإمكان مراقبة كل مخلوق حي متحرك، وكل منزل.. ولربما كل
ظاهرة عجيبة تقع!

في الماضي كان كثيرا ما يزور هذا البرج لمراقبة المنازل الكبيرة
والصغيرة متراسة جوار بعضها البعض، كعلب الكبريت مختلفة
الأحجام والألوان.. شارع واحد فقط امتد ليخرج كالثعبان من تلك
البلدة متصلا بالشارع الرئيسي الطويل، الذي يوصلك بدوره إلى

المدينة البعيدة، عندها قد تكون بلدة منعزلة، ولكن ليس إلى ذلك الحد..

على جانبي الشارع الوحيد غابات كثيبة من أشجار الشوك الرمادي، الذي تأكل منه الجمال بأفواه ذات شفاه مشققة..

وعندما تنطلق بالسيارة في ذلك الشارع ليلا قاصدا البلدة، تبصر أضواء المنازل من بعيد في جوف الجبل، فكأنها لآليء ذات بريق ساطع يخطف الأبواب والأبصار، والجبل عبارة عن محارة عملاقة لاستيعاب تلك الكمية من اللآليء شبه المتناثرة..

في شمال المقبرة يقع البرج شاهق الارتفاع، ذو زخارف ونقوش قديمة، كفيل بإغراء كافة السياح لارتياحه كي يلتقطوا له الصور، ورغم ذلك لم يهتم أحد لموضوع ترميمه أو الترويج له كمعلم سياحي يستحق الزيارة..

كان (جرير) يجلس في الماضي على الحاجز الصخري للشرفة ممسكا بدفتر محاولاته الشعرية الخرقاء، وقد أطل على البلدة بأسرها، مستنشقا الهواء البارد، ومتأملا المنازل مليا قبل أن يقول:

- كأنها علب كبريت!

وعندما كان لا يزال محتفظا بوظيفته كسجان، كان (ملاك) يطلب منه أحيانا إلقاء بعض من تلك المحاولات الشعرية على مسامعه، لكنه وفي كل مرة يبادر إلى الرفض القاطع..



ولطالما ألقى - في الماضي - بنظراته صوب المقبرة المخيفة،
التي احتشدت شواهدا القديمة على شكل دائرة، لكنه دقق ببصره
الثاقب على ذلك الشاهد الأسود المغروس في تربة الأرض، وقد بدا
وكأنه طيف نذير يأمر الناس بعدم الاقتراب..

كان الآن يقف بعيدا عن رفيق رحلته مراقبا تلك المناظر الكثيرة..
سمّه (جرير) الآخر، العقل الذي جسده الخيال، الأخ التوأم - الأكثر
من الشقيق - الذي كان يناظره دائما!

إذن فهو حلم جديد من أحلامه المخيفة!

نظر إلى (جرير) قبل أن يقول باستهجان:

- «أكنت تتظاهر بأنك شاعر أم أنك تهوى الشعر حقا؟»..

- أهوى الشعر أكثر من أي شيء آخر..

- «كيف لا تتقنه إذن وأنت في وادي عبقر؟»..

- ماذا؟!

- «أردت ذكر موضوع وادي عبقر، حيث يستلهم شعراء الجاهلية

قصائدهم من الجان، هذه البلدة أشبه ببلدة للجان!»..

- وهل رأيت بلدة للجان من قبل؟ يا لك من..

يبدو وأنت ممن يصدقون موضوع إلهام الجان للشعراء..

- «ويبدو أنك لا تميز المزاح حين تسمعه!»..

حاول مقاومة الانزعاج الذي يعتريه كلما لمح ذلك القبر الأسود اللعين، لكن محاولاته باءت كلها بالفشل، فقال مخاطبا ذاته الساخرة:

- هذا المكان يبعث على الاكتئاب..
- «وبخاصة ذلك القبر الأسود، أليس كذلك؟»..
- كأنه قبر (إبليس) شخصيا لو أنه مات! ما حكايته؟
- «ثمة حكايات!»..
- ألا تدري أيها أقرب للصواب؟
- «لا أحد اقترب من الحقيقة يوماً»..
- أنا أسألك أنت..
- «لك مطلق الحرية في الإدلاء بفرضيات، لكن لا تفرضها علي!»..



قال الرجل الضخم وهو عاكفٌ على تضميد جرح (جرير) البليغ بشاش طبي، جلبه من حقيبة إسعافات أولية كانت في ركن الحجرة:

- «أكلًا» هي أوائل الحروف لأربع كلمات تُولف جملة عبرية تقول: «أنت قوي وأبدي يا إلهي!»..، وإذا تم النطق بها مرتين - كما صنعت أنا- أبعدت الشياطين..



- شياطين؟! -

- أجل، مثل بارغوست الكلب الأسود، كائن شيطاني يملك قوى خارقة، قيل أنه قد شوهد كثيرا قرب ساحات الكنائس في بريطانيا وفرنسا ليلا!

- وما الذي أتى به إلى هنا؟! -

- في هذا المكان قوى لن تستطيع استيعابها يا فتى، إن الأمر خطير لدرجة لا تعقل!

ثم قال ممدداً رجله على البلاط الحجري بعدما فرغ من مهمته:
- أنا (مرتضى كاشاني)، أستاذ التاريخ القديم في الجامعة الأمريكية بولاية ميسوري..

- (جرير).. على اسم الشاعر!

ابتسم (مرتضى) وهو يشعل سيجارة بقداحة ماسية غالية الثمن، وبلا فضول تساءل:

- (جرير) هه؟

وفجأة انقلبت سحنة الرجل، وبصوت قاس سأل (جرير) وهو يقبض على ياقة سترته:

- لا بد وأنت أحقق أو مجنون كي تأتي إلى هذا المكان بمفردك..

احتدت نبرة (جرير) وهو يرد مبعدا قبضة الرجل عن ياقته:

- اسمع يا هذا، لقد أنقذت حياتي وإني ممتن لذلك، لكن كونك دار وعالم بكل ما يدور في بلدة الرعب هذه لا يمنحك الحق بإهانة من لا يعلم، وتلك هي كل جريرته.. أخبرني ودعنا نصر بذلك متعادلين!

ابتسم (مرتضى) لدى انتهاء (جرير) من حديثه، ثم قال له:
- ربما كنت ذكيا كفاية مادمت حيا لغاية الآن، ولكن هل ستصدق ما سأخبرك به؟
- بكل تأكيد!

- ودون اتهامي بالتخريف أو الجنون؟
- ليلعني الله إذا فعلت! فقد شهدت من الأحوال ما لا يصدقه عقل!
مدد الرجل ظهره على البلاط بالكامل لإراحة عظامه المنهكة، قائلاً:

- ألدريك فكرة عن المسريمين؟
- عن المصريين؟!
- عن المسريمين يا أصم!
- لا أظن..
حدّجه (مرتضى) بنظرة مبهمة، بعدها حك ذقنه مكتملا حديثه:



- المسريميون طائفة تعلمت السحر الأسود اليهودي المسمى
«كابالا»، إن أتباع مذهبهم يزعمون أن السحر منزل من عند الله عن
طريق الأنبياء، الذين نقلوه بدورهم للحكماء!

- وكيف وصلوا إلى هذه البلدة؟

- ليسوا بالضبط هم!

وشرد بصر الرجل كمن يستعيد ذكرى عزيزة على قلبه، وبنبرة
متهدجة قال:

- حين سافرت إلى الهند كنت في مثل سنك تقريبا، شاب مقبل
على الحياة والعلم، يتمنى لو تفتتح أمامه آبار أسرار الحضارات
دفعه واحدة كي ينهل منها، جذبتني معالم الهند الأخاذة، السحر في
غاباتها وعبق الحضارة في معابدها، في أنهارها وشلالاتها، زرت
نهر الجانج المقدس، وضريح ممتاز محل في تاج محل.. رباه! لقد
كانت أياما لا تنسى!

وخلع نظاراته ليمسح زجاجها بطرف معطفه الرث مكملا:

- في منطقة نائية بين الجبال وجدت ذلك المعبد المهجور، كما
لو كانت شعائره الممارسة في زمن غابر مندثر، معبد بلا زخارف
أو نقوش أو حتى تماثيل، طريقه شاق وعريّ كدأ لأحد يقطعه كي
يتعبد هناك، أنا نفسي وجدته عن طريق الصدفة وبشق الأنفس، عندما
أمطرت السماء، وبحث عن سقفٍ أستتر أسفله..

قررت المبيت داخله، ولما أظلمت الدنيا حدثت ظاهرة مذهلة..
كتابات بالدم غزت جدران المعبد! كتابات ورسومات بزغت
كالفسفور الذي لا يرى في النهار، لكنه يصير كأوضح ما يمكن في
الليل، كانت ظاهرة خارقة ومستحيلة الحدوث لأن الدماء كانت
حقيقية!

إن قوة خفية ما جعلت تلك الدماء تظهر في الليل فقط، وتتلاشى
في النهار!

هكذا، وعن طريق تلك الظاهرة المذهلة، علمت الشيء الكثير
عن مشعوذ الليل الأسود المدعو (كافاك)!
- (كافاك)؟

- ثمة تميمة هندية قديمة تسمى «نريسيهما كافاك»، تميمة هندية
قديمة مخصصة للمجتمعات الارستقراطية، وتقول:
«إذا كنت آتيا من قبل الله فأعلن رغبتك..
وإن كنت آتيا من قبل الشيطان فامض في سبيلك كما أمضي في
سبيلي..»..

ثم قام بطي إبهاميه إلى داخل يديه، وقال بذات النبرة:
- «وإذا كنت ساحرا فليذهب بك الشيطان!»..
وابتسم مردفا:



- قديما كانت هذه الرقية تستخدم لتجنب اللقاءات السيئة في مكان خال ومهجور، فإذا أراد شخص ما تجنب اللقاء مع شخص آخر رآه يقترب منه ليلا، فعليه أن يرددھا!

- الهنود يستعينون بالجان كثيرا، وقد اخترعوا عشرات الحيل والتمائم بمعونتهم..

- لكن الكتابات كانت باللغة العبرية! وهو ما لم أفهمه بادئ الأمر، ولحسن الحظ أنني درست لغة عدوي، فقد فهمت من تلك الكتابات الأحداث الرهيبة التي قادتني لهذه البلدة المنكوبة!

حسبما ذكر على جدران المعبد، فإن (كافاك) هذا كان من البراهمة، وهم طبقة الكهنوت العليا عند الهندوس، حدث أن تعرف على ساحر يهودي، وسرعان ما وجد تشابها غريبا بين تلمود اليهود والديانة الهندوسية، فاعتنق اليهودية، وعكف على دراسة التلمود بهمة، ثم تتلمذ على يدي الساحر ليعلمه أصول الكابالالا..

استعان (كافاك) بالسحر لصنع «البرتياس» وجعلهم خدمه، والبرتياس هي أشباح الهندوس الجائعة دوما لأن لها أفواها دقيقة للغاية، لهذا تظهر في عالمنا لتجد أجسادا تسرقها، فيتاح لها الأكل! ذعر براهمة الهندوس حين علموا بالأمر، فالتلاعب مع عالم الأموات خطيئة تستوجب القتل، وعلم (كافاك) بما انتووه، فسلط عليهم جنده من البرتياس.. لقد تعذبوا في طريقة موتهم كثيرا، لأن تلك الأشباح المخيفة بطيئة للغاية في الأكل!

لكن (كافاك) شعر بدنو نهايته، فالهندوس لن يرحموه، وخدمه المريعون يقومون بواجبهم على أكمل وجه، فيحمونه ويصرعون أعداءه، لكن ليس لفترة طويلة..

وسرعان ما وجد طريقة رهيبه، طريقة تضمن له السيطرة الكاملة، ولربما العودة أيضًا، إنها حكاية تصلح أن تكون من قصص «الهاجادا» اليهودية الخرافية..

في البداية، وجد الطريقة المؤدية لاستعمال «إلفة»، وهي أرواح الهواء الشريرة التي تهاجم بشكل خاص المراهقين والكتاب والرسامين والشعراء!

هل راودك شعور غامض تجاه جو هذه البلدة؟

كأنك تتنفس أنفاس كائن شيطاني جهنمي في الهواء البارد؟
إذا راودك مثل هذا الشعور فتهانينا! إن لديك مخيلة فنية من نوع ما!

لاح توتر في ملامح (جرير) عند هذه النقطة بالذات، فقد انتابه ذلك الشعور حقاً منذ قدومه إلى هنا، وحتى لقاءه بمرتضى.. إن الرجل لا يعثر كلاماً مخرفاً في الهواء، بل هو واع لكل كلمة ينطقها، ويعرف عما يتحدث بالضبط!

- «حقاً ما تقول، لكنني - ولسببٍ ما- لا أشعر به في هذا البرج..»..



أشر (مرتضى) بسبابته قائلاً:

- معك كل الحق، والسبب شباك العناكب التي تملأ المكان،
فهي شباك العناكب البيضاء!

- كيف؟!

- يقال أن مخلوقات الشر المجهولة تخشى العناكب البيضاء
وشباكها، لأن العنكبوت الأبيض أنقذ بقدره المولى عزوجل
وبفضله سيدنا الرسول عليه الصلاة والسلام، حين نسج خيوطه على
غار ثور..

(كافاك) يخشى العناكب البيضاء وشباكها لأنه يعتقد أن بها قوى
خفية قد تؤذيه، أنا لا أعلم ما إذا كان ذلك صحيحاً، لكنني استخدمه
ضده بغض النظر عن حقيقته، هل فهمت؟

تنهد (جرير) قائلاً:

- أجل..

- الآن ستقول أنها مجرد خزعبلات من تخريف عجوز مجنون!
- على العكس تماماً! ثمة منطوق في ذلك كله - أو برغم ذلك
كله-، فإن مثل تلك التعاويذ أو الأحجار أو أيما كانت لا تبعد
الروح الشريرة لأن بها قوى خفية، ربما يكون ذلك تقديساً من تلك
المخلوقات لتلك الأشياء.. ليس من المعقول أن أنطق كلمة تخيف
مخلوقاً مربعاً فأصير بذلك ساحراً، قد تكون لتلك الكلمة دلالة ما

عند ذلك المخلوق فتنزهه، ولعل ذلك الحجر مقدس عنده فيها به،
عندها قد تتحول تلك الأشياء إلى أسلحة يمكن استخدامها لدرء
الأذى عني!

تبسم (مرتضى) راضيا، لكن (جرير) لم يلبث أن تساءل بانفعال
شديد:

- لحظة واحدة، ما علاقة مولوخ بالموضوع؟ وما علاقة أهالي
البلدة الذين لا زالوا هنا؟ ماذا عن بارغوست الذي أتى من ساحات
الكنائس الأوروبية؟

ضحك (مرتضى) ضحكة مذهولة قائلاً:

- مولوخ؟ أليس الشيطان الذي تقدم له القرابين من الأطفال؟
أنت شاب مثقف بحق! لماذا ذكرته الآن بالذات؟

- أنا أسألك! هل (كافاك) يستعين بالشيطان مولوخ؟ كل الذين
قابلتهم بدوا في عوالمهم الخاصة، لا أحد..

لوح (مرتضى) بكلتا يديه صائحا بعصبية:

- لحظة واحدة، عن أي أناس تتحدث؟ لا يوجد غيري وغيرك
في هذه البلدة المشؤومة!

- هذا مستحيل! ألم تتبع نهايات خطوط الدم؟

- تتبعتها ولم أجد سوى منازل مهجورة!



- يا الله! أكنتُ إذن في ضيافة أشباح والسيد (كافاك) أو صلني
لمنازلهم بخطوطه مصادفة فحسب؟!
- الخطوط مجرد علامة يوسم بها البلدة..
- أهذا ما توصلت إليه؟ إذن ماذا عن ال..
صمت (جرير) فجأة لما اكتشف بأن الرجل لا يمتلك كل الأجوبة
كما توقع، ولكن لحسن الحظ أنه كان يمتلك جزءا منها..
فليكن مولوخ أو كافاك أو بارغوست أو إلفة أو حتى إبليس نفسه!
المهم النجاة من كل هذه الأهوال.. لذا تساءل متجهما:
- ما الذي يتوجب علينا فعله إذن؟



33

الشواهد الحجرية الكابوسية في كل ركن وزاوية..

كانا الآن يقفان أمام القبر صاحب الشاهد الأسود و(جرير) يقول:

- أرجو ألا أموت بسكتة قلبية!

قال الأستاذ وهو يشير إلى حفرة بالغة العمق أمام الشاهد، لم

يفهم (جرير) كيف لم يتنبه لها مسبقا:

- اسمعني جيدا، في هذه الحفرة ستجد ممرا كنفق صغير،

يستوجب عليك عبوره حتى تجد هيكلًا عظميا أسود اللون،

حول عنقه قلادة من الرق، إنها على شكل مثلث مقلوب متساوي

الأضلاع، مدوّن عليه: «أبراكادابرا»!

وعلى الرغم منه أفلتت من (جرير) ضحكة مستنكرة قبل قوله:

- أبراكادابرا؟! أنت متأكد؟ ربما كانت هوكس بوكس أو جلا

جلا!



- كفى سخرية! إياك والاستهزاء بهذا التعبير السحري، لأنه يحوي تفسيراً باطنياً للتلمود! وللأسف لا نجد سوى البلهاء أصحاب ألعاب الحوالة على خشبة المسرح يتلفظون به! عليك بالحصول على تلك القلادة بأية وسيلة، فهي تسهم في درء أذى كافاك عنك!

- لحظة واحدة، من يكون صاحب هذا القبر أولاً؟
- إنه شاهد على غرار الجندي المجهول، لا أحد يعلم من صاحبه..

- وكيف علمت أن القلادة بداخلها؟
- لا وقت للأسئلة، بالقلادة يمكننا القضاء على شرو السحر الأسود اليهودي، أو إعاقته على الأقل كي لا يتمكن من مواصلة شروه، أما الأجوبة فستظهر لاحقاً..

رمقه (جرير) بنظرة صامتة، قبل أن يصبّ ضوء البطارية التي أعطاها (مرتضى) له باتجاه حفرة الدفن الواسعة، قائلاً:

- ماذا لو صادفني شيء بالأسفل؟
- بسيطة، أصرخ قائلاً: «أبرا كادابرا»!
- ولماذا لا أقول «أكلا أكلا» كما صنعت أنت؟
- لن تفيدك بالأسفل، ثمة قوة مجهولة، وأظنها قوة القلادة نفسها، لكنك ستكون بأمان إذا ما حصلت عليها..



صمت (جرير) مفكراً، فقال له (مرتضى) بإلحاح:

- لا وقت للتفكير، أحضر القلادة وسأتكفل أنا بالباقي..

أخذ (جرير) شهيقاً، لم يلبث أن زفره بكل حرارة، وباستعمال سلم طويل نزل للحفرة، لم يكن بحاجة للبحث عن النفق فقد كان أمامه مباشرة..



زحف بداخل النفق محاولاً تجاهل تراكم الجردان المقرز على معصميه، شعر بأن تلك المخلوقات التنتة تعبر مسامات جلده مباشرة، فحبس أنفاسه برهة قبل انفجاره:

- ابتعدي أيتها النفايات المتقلبة!

ازدادت بعد ذلك شتائمهم سوءاً وبذاءة رغماً عنه، فالموقف عصيب، ناهيك عن رائحة الموت المنذرة بقربه من جثة..

وكان هناك في نهاية المطاف.. هيكل عظمي متفحم! حول عنقه القلادة المشودة..

لماذا هو متفحم هكذا؟ هل صاحبه ساحر أحرق في عهد قديم؟ أسئلة لا حصر لها، لكن أهمها هو ما إذا كان سيخرج من هنا على قيد الحياة.. هذا هو المهم الآن!

ليكن هيكل (كافاك) نفسه، لا يهم!



كانت جمجمة الهيكل مستندة على صخرة متوسطة الحجم،
وعندما قرب (جرير) أنامله من القلادة، فكر قائلاً والعرق يتفصد
من جبينه:

- لا مجال للتساؤلات! فقط مديك، والتقط القلادة اللعينة،
واخرج من هنا بأسرع ما يمكن!

ولكن ما إن مَسَّت أنامله القلادة، حتى سمع همسا مخيفاً ذكره
بفحيح الأفاعي!

سال عرقه وهو يستعيز وييسمل مرارا وتكرارا، شاعرا باجتياح
الخوف لذهنه بشراسة..

سكن ولبث في مكانه برهة وهو يفكر، ومن ثم نظر إلى الهيكل
المتفحم نظرة طويلة.. ثم همس بنبرة خفيفة:

- ساعدني على الخروج من هذا الجحيم يا إلهي!
وأغمض عينيه المثقلتين وهو يمد يده، فالتقط القلادة بصبر وأناة،
ولما نجح بمهمته تنهد بارتياح، وقام بتعليقها حول رقبته..

عاود الزحف عبر النفق المعتم موجهاً ضوء البطارية للأمام
مباشرة، فما إن خرج حتى سمع صوت (مرتضى) يناديه:

- هل وجدت القلادة؟

- وجدتتها..

- أين هي؟



- بحوزتي، لحظة كي أخرج فقط..

- لا يوجد وقت، بسرعة، إليّ بها!

لم يدر (جرير) لِمَ تذكر في تلك اللحظة حكاية علاء الدين والمصباح السحري! لولا أنها حكاية خيالية لقال بأن التاريخ يعيد نفسه!

- «لحظة واحدة، أعتقد بأن طرف بنطالي قد علق، لِمَ لا تهبط أنت وتعاوني على الخروج من حفرة الخلد هذه؟»..

احتد صوت الرجل عندما هتف ماداً يده:

- كفَّ عن تضييع الوقت وألق لي بالقلادة!

هتف (جرير) بصوتٍ حاد بدوره:

- لِمَ لا تكف أنت عن الصراخ وتهبط إلي هنا لمساعدتي أيها الأحمق؟

- أحذرك أيها الشاب! أعطني القلادة الآن وإلا..

- وإلا ماذا أيها المهووس المخرف؟ أراك ابتدأت تفقد أعصابك الفولاذية الآن!

سيطر الغيظ على (مرتضى) تماماً، فنهض على الفور، وقام بسحب السلم من الحفرة صارخاً بصوتٍ نائر:

- فلتتعفن في قعر هذه الحفرة كما الأموات إذن!



ورحل مطلقاً سَيْلاً من الشتائم المقذعة، في حين ناداه (جرير)
مذهولاً:

- إلى أين أيها الوغد المعتوه؟ ارجع عليك ألف لعنة!!

34

- «أبرا كادابرا»

نطقها مستخفاً ويده تنبش جيوبه بحثاً عن سيجارة، وعندما وجد
واحدة أخرج قداحته، لكنه تذكر أنها معطلة، فهمس واجماً:
- كان عليه تلقيني عبارات شعوذة في كيفية إشعال النار!
كاد يرمي بالقداحة بعيداً، لكنه عاد ووضعها في جيبه مع السيجارة
مغمغماً:

- أين تراه رحل الوغد؟

ونظر بإمعان كي يقيس ارتفاع الحفرة، ربما يتمكن بقليل من
المرونة من التشبث بطرفها والخروج، لكن..
فوجئ بحبل متين يرمى له داخل الحفرة!
تأمل الحبل بحيرة واندهاش، ومن ثم رفع عقيرته بالهتاف:
- من هناك؟

وأنصت هنيهة قبل أن يكرر بإصرار:

- قلت من هناك؟ أهو أنت يا (مرتضى)؟ هل غيرت رأيك إذن؟

شعر بحيرة شديدة عندما بقي الحال على ما هو عليه، فاقترب من
الحبل، والتقط طرفه هاتفا:

- سأتعلق الآن.. كائناً من كنت!

شرع بالتسلق وشعور كرية يساوره بأن (مرتضى) بانتظاره فوق
كي يقطع رأسه، فما إن بلغ الحافة بسلام حتى تنهد بارتياح عندما لم
يجده.. لكنه كذلك لم يجد منقذه..

كان الحبل موثقاً إلى جذع شجرة سوداء متفحمة، يقف على أحد
أفرعها غراب أبقع لا يكاد يكف عن نعيقه الكئيب!



دخل (جرير) من باب البرج ليكتشف بأن عليه صعود ثلاثمائة
درجة للمرة الثانية، لم يُد ضيقاً لأنه كان سعيداً بوصوله للبرج
بسلام، من دون كلاب جهنمية سوداء..

وهنا تصلب كالتمثال في مكانه قبل انتصاب شعر رأسه، مقاوماً
شعور القيء الذي داهمه..

فأمامه مباشرة في الحجرة ذات شبك خيوط العنكبوت، كان
جسد (مرتضى) ممدداً، والدماء تنزف من كل موضع فيه تقريباً!

هرع باتجاهه، فوجد إحدى عينيه تتأمله، فأدرك أنه لا يزال على
قيد الحياة، فرفع نصفه العلوي، ووضع على ركبتيه متجاهلاً الدماء
التي لطخت ثيابه..



نظر (مرتضى) وأطرافه لا تكف عن الانتفاض، كانت نظرات
عينه الوحيدة مملأى بالعجز والألم، فسأله (جرير) برفق:

- من فعل بك هذا؟

فتح الرجل فمه بالكامل، فقط ليتنبه (جرير) إلى أن لسانه قد
اجتث من منبته اجتثاثاً!

استخرج القلادة من داخل قميصه، فتعلقت بها عينا (مرتضى)
تعلق الغريق بالقشة، فسأله (جرير) متوتراً:

- ماذا أفعل بها؟ هل أتخلص منها؟

حرك (مرتضى) إصبعه في الهواء بطريقة شبه انفعالية أو متهالكة
بالأحرى، لأنه فقد كثيراً من الدماء، وقواه خائرة..

- «ما الذي تحاول قوله؟»..

وفي النهاية مدَّ الرجل إصبعه ليغمسه في دمائه هو نفسه! وعلى
الأرضية شرع يكتب بسبابته المضطربة..

مولوخ

فما إن أتم كتابة حرف الخاء حتى ارتخى إصبعه أخيراً ليسلم
الروح..



سار (جرير) حتى الشرفة، وأطل منها كي يتأمل البلدة بأسرها،
 عله يتمكن من إيجاد شخص ما..
 نظر، ثم أطلق أقوى شهقة..
 كانت الخطوط الدموية واضحة جلية، وفي تشكيل رسم مشوه
 يمثل نجمة خماسية!!
 ليس هذا فقط..

لقد رأى في المقبرة عند الشاهد الأسود الكئيب - وشعر رأسه
 يستحيل لشوكٍ قاس لا يتقصف - جسماً مخروطياً أسوداً، طرفه
 المدبب مثبت في الأرض، كما لو كان عبارة عن ساقين هزيلتين
 لذلك الشيء الذي يتأمل (جرير)، وعينه الفضية الواحدة تومض
 وتهمد كالمنارة!

كاد يصرخ، أن يهوي فاقداً لوعيه، لكن عقله عجز عن إيجاد
 الانفعال المناسب، فبقي واقفاً يتأمل ذلك العفريت المرعب وهو
 يرتجف من فرط الانفعال..

وعلى جدار الشرفة الحجري، أبصر كتابات مغموسة بالدم
 تشكل ببطء، كما لو كانت رسالة من ذاك المخلوق يبعثها إليه!

وكان مفاد الرسالة - بعدما اكتملت - كالاتي: أحييك!

صرخ (جرير) وقد شعر بعروقه تنتفض كأن تيارا كهربائيا قد
 مسّها:



- عُذ لجهنم التي أتيت منها!!

لكنه ظلّ واقفاً كالتمثال دون الإقدام على خطوة تالية..

مسح العرق عن جبينه، ثم تراجع للداخل حتى اصطدم ظهره
بالجدار، وهو لا يكف عن تلاوة المعوذات مغمض العينين..



استيقظ (جرير) من غيبوبته بعتة..

كان الكابوس الذي رآه رهيباً، وستكون أمنيته الوحيدة - عقب
الخروج بسلام من هذا المكان - هو نسيانه!

لقد رأى نفسه يسير وسط شواهد القبور الرهيبة وهو يرتجف، لا
وجود لضوءٍ من نوع ما، ومسيرته تبدت وكأنها أزلية!
- «رباه!» -

وغطى بصره بكفيه محاولاً التناسي..

لم يعبه سوى صوت تنفس الزمهير المتمهل، فنهض من رقاد
متجهاً نحو شرفة البرج القديم، ليجد أن الفجر قد بزغ، لكن ليس
بالصورة التي تمنّاها، فقد كان مكفهرًا بالغيوم، والطقس منذر بهطول
المطر..

فجأة لمحها هناك، باتجاه المقبرة..



كانت تسير برتابة رقاص الساعة، ولم يحاول مناداتها لبعده
المسافة.. سيلحق بها لمعرفة سرها الغامض!
هبط (جرير) الدرج بسرعة، وما أن وطأت قدماه الأرض خارج
البرج حتى ركض بأقصى طاقته، فتلاحقت أنفاسه دون أن يتوقف
ثانية واحدة لالتقاطها..



منزل الشيطان

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



35

بلغ المقبرة الكابوسية أخيراً، فتوقف عن الركض وقد استرد
طريقة تنفسه بصورة طبيعية..

كان الصمت مطبقاً بشكل غريب، وأحسَّ (جرير) بأن الزمن ذاته
قد توقف عن الدوران لأسباب غامضة، وتمنى ألا يفاجئه شيء ولو
كان فأراً صغيراً، لأن أعصابه مشدودة كأوتار القوط..

فتح بصره المهتز.. وحدَّجها بنظرة طويلة ومتفحصة، أخيراً يقابل
ذات القميص البنفسجي وجها لوجه!

فتاة جميلة هي، ولو أنهما تقابلا في ظروف أخرى لأيقن أنها فتاة
أحلامه!

أجفلت لما لمس كتفها والتفتت، فما إن وقع بصرها عليه حتى
اصطنعت ضحكة مرتبكة، وهي تقول واضعة كفها على صدرها:

- أخفتني كثيراً!

- تتجولين بمفردك؟



- أنا مضطرة!
- مضطرة؟! ثمة قوى مفزعة في بلدة العفاريت هذه وأنت..
- قوى مفزعة؟ عفاريت؟! لم أر شيئاً يستحق الذكر!
كاد يسألها بغلظة عمن تكون بالضبط، لكن سرعان ما تنهد قائلاً
وهو يمد لها يده:
- لست مضطرة لشيء، هلمي أوصلك..
- لا بأس، أفضل السير وحدي..
- تخافين مني؟
ودنا منها ببطء، فتراجعت للخلف غريزيا مجيبة:
- وهل يتوجب علي ذلك؟
خفض يده مهدئاً من روعها، وقال:
- سأوصلك إلى حيث تودين الذهاب..
لاحظ قرطاً واحداً فقط للؤلؤة سوداء تتدلى من شحمة أذنها
اليسرى، في حين نظرت له بخوف، وبنبرة عصبية قليلاً همست:
- لا أرى ضرورة لذلك..
أوماً برأسه متفهماً هذه المرة، ثم ابتعد بخطى متلاحقة.. فنادته
بصوت متهدج ملوحة له:
- انتظر..



ثم لحقت به وتأبطت ذراعه! فابتسم بوجوم قائلا:

- صرتُ أهلا للثقة بهذه السرعة؟

وكانها لم تفهم أطلقت ضحكة عصبية أخرى، وسارا جنبا إلى جنب في طريق الخروج من المقبرة..



قالت وهي تركل حجرا صغيرا اعترض سبيلها:

- كائن حي يتألم بعمق في هذه الشوارع المظلمة، ألمٌ يفوق تأوهات المدمنين حين تمزقهم الحاجة الجنونية للمخدر، وأنين المشردين، وصياح الضحايا قبل إغماذ نصل السكين في القلب أو النحر!

أولست سيمفونية الموت أعذب حتى من السيمفونية السابعة ليتهوفن؟

- ولماذا السابعة تحديدا؟

- أولم تسمعها؟ حتما فعلت، الحركة الثانية في سلم «لا» الكبير!

- يبدو وأن لديك أذنا موسيقية!

ثم ظل صامتا لوهلة قبيل تساؤله بحيرة:

- أتذكرين حين حدثتُك عن وجود قوى مفرعة في البلدة؟

- قصدت الجو المخيف والمقبرة المروعة!



وابتسمت قائلة بتقاسيم متجهمة:
- لو أنك شاعر أو أديب فستفهم!
أطلق ضحكة عصبية كأنما يقلد أسلوبها قائلاً:
- والدماء؟ والكلب الأسود؟ وال..
- ما الذي تهرف به؟ هل جنت؟ لم أر شيئاً من حكايات الجدات
التي ذكرتها!
صاح مشيراً حوله:
- ألا ترين ال..
تنبه إلى أمر هام.. وأمسك صدغه بكلتا يديه، وهو يدور حول
نفسه كالأحمق!



حين كان (جرير) يرافق الفتاة في الشوارع المظلمة، لاحظ أن
خطوط الدم التي كانت تفترش الأرض قد تلاشت!
لاحظ أيضاً أن الليل ساكن وهادئ، نسيمه عليل لا يوحي بأي
خطر!

همست قلقة وهي تتأمل حاله:

- ماذا أصابك؟

- الدماء! الدماء اللعينة! لقد تلاشت تماماً!



ضحكت قائلة بمرح عجيب:

- لا بد وأنتك مجنون! عن أية دماء تتحدث؟!!

ومن دون مناسبة قالت باسمه بعدوبة:

- (لَمّة) هو اسمي بالمناسبة..

تماسك، أو حاول أن ييدو متماسكا، ويتنفس منتظم متمم:

- (جرير)..

ثم أمسك لسانه عن عبارة «على اسم الشاعر» المعتادة السخيفة،
وتساءل:

- هل مسكنك بعيد من هنا؟

- كلا..

ثم أشارت لأحد المنازل القصية والمحاطة ببعض الأشجار،
قائلة وهي تتنهد بخلاص:

- وصلنا..

- إذن فقد انتهت مهمتي هنا، تصبحين على خير!

قرأ تردددا في ملامحها، فغمغم باسمها:

- هل من شيء آخر؟

- هل لك أن ترافقني للداخل؟

- يا للثقة! لا بأس..

وهكذا دخلا معا، فقد شعر برغبة غامضة في التوغل أكثر داخل
عالمها الداكن، فكان له ما أراد..



كان المكان نظيفا ومرتباً، وهو أمر طبيعي ما دامت الفتاة هي التي
تعنى به..

- «سأذهب للمطبخ، أترغب بشرب شيء؟».

- «لا..».

غادرت الصالة تاركة إياه يتأمل أثاث المنزل الذي لا بأس به
ككل.. وجد في إحدى الزوايا قفصا يخص طيرا ما غطي بملاءة
داكنة، ومخطوطات للوحات مرسومة بالفحم على المائدة، فطفق
يسلي نفسه بتفحص تلك المخطوطات، حتى رجعت الفتاة حاملة
زجاجة مشروب غازي لها، وقد طوحت بحذاءيها وسارت حافية
على السجاد..

قال مشيراً لإحدى اللوحات:

- رسومات رائعة، لكن موضوعاتها غريبة، أعني امرأة تحمل
رأس طفلها؟

- إنه إبداع سوداوي خلاب قد لا تفهمه.. الفن يصف روعة
الموت أحيانا، يمنحه صورا جمالية ساحرة!

- ولماذا الموت تحديدا؟



بقيت صامته دون أن تملك الإجابة، شربت جرعة من المشروب،
ثم قالت وهي تعلق عنق الزجاجاة:

- سألتُ صديقا لي ذات السؤال، يومها حكى لي عن شقيقه
الأصغر الذي انتحر ليلة عيد ميلاده! كان وجهه وجه كهل رغم صغر
سنه، وعندما كان في السابعة من عمره اعتاد إغراق الحيوانات في
برك المياه التي خلفتها الأمطار، لقد كانت بذرة الكآبة مبدورة في
روحه، فلم يتخلص منها إلا عندما خلص نفسه من ..

- من نفسها؟

- أجل .. من نفسها! لقد وجد الفتى الخلاص الذي كان ينشده
لروحه المثقلة بالذنوب أخيرا ..

- بأن أضاف لها أعظم الذنوب، لقد قضى بيديه على كل أمل كان
بإمكانه تملكه ..

أرجحت رأسها بغير اقتناع ..

ثم انها وضعت زجاجتها جانبا على المائدة، وقالت بكآبة:

- عذرا، سأذهب إلى الحمام ..

- عذركِ معك ..



كان جالسا بانتظار الفتاة ريثما تفرغ، عندما سمع من يناديه!



- «اهرب كأن الشيطان في أعقابك! اهرب عليك ألف لعنة!».
- نظر ذاهلا حوله، ففوجئ به مخبتًا داخل عوالم مرآة بيضاوية!
- كان النصف الآخر! (جرير) العاقل أو المجنون كلاهما سيان،
وقد بدا مذعورا لحدِّ لا يصدق!
- اقترب (جرير) منه قائلاً بدهشة:
- أين كنت؟ منذ زمن لم تشرفنا بزيارتك!
- «وقريبا لن تراني إذا ما بقيت هنا! اهرب! اهرب حالا وإلا..».
- وإلا ماذا؟!!
- «يا أحمق! الم تقل لك اسمها؟»..
- اسمها (لمة)، لكن ماذا في ذلك؟
- «ليس (لمة) بل (لامة) يا مغفل! اللامة علة موت نصف البشر،
العين التي تصيب الناس بسوء، فتفرغ المدن والقرى على حد السواء
لتملأ المقابر!»..
- تذكر (جرير) تلك المعلومة التي جاد بها (جرير) الآخر عليه..
- لقد طالع عن اللامة أيام اهتمامه بتيمات الرعب في المرحلة
الثانوية تحديدا، يقال أنها مادة خفية، مؤذية لمن ينظر إليها، وأهم
ضحاياها هم الأطفال والزوجات.. والشبان!
- كما أنها تؤذي الحيوانات، وبالذات: الخيل، والخراف والكلاب!
- «أتدري أين هم الآن؟».



كان الظلام يتسلل للمكان ببطء، كأن الفجر تحول إلى ليل من جديد!

التفت وفرائصه ترتعد، فوجد الفتاة واقفة وابتسامة ماكرة تملأ وجهها!

شعر بتوتر يغزو كيانه، بقشعريرة كهربائية تلامس جلده، فتساءل برهبة:

- أتقصدين أهالي البلدة؟

- ومن غيرهم؟

- ماذا فعلتِ بهم؟

قالت بازدياء:

- تسلية لا أكثر!

رأى قدمها الحافية تقلب أصابعها على الأرضية بطريقة أثارت هلعها، كما لو كانت يدا ذات أصابع طويلة، بهت وجهه حتى صار بلون الورق، وبأحرف مضعضعة همس:

- أنتِ حقا اللامة قاتلة البشر والحيوانات؟

أطلقت ضحكة قصيرة، ثم قالت بتخايب:

- أنت واسع الاطلاع!

بدت متلذذة وبدأ مرتاعا لأقصى حد، وأنصت لها وهي تهمس برقة مداعبة قرطها اللؤلؤي الأسود الوحيد بظفرها:



- أرى أنك قد وجدت قلاذتي!
- أهى لك؟! فإذن..
- لا تفرح كثيرا، فهى مجرد حليلة كنت أحب التزين بها!
- والهيكل المحترق فى الحفرة؟! أهو..
- أجل.. كنت أزور قبري! هل بإمكانك تخيل المشهد الرائع؟!!
- على النافذة وقف ذات غراب البين الأبقع، لينعق باستمرارىة كرىهة ومزعجة..
- قالت الفتاة وهى تدور ببطء حول نفسها ممسكة بزجاجة الشراب:
- إشارة القتل.. الصوت.. ضحايا الطوائف والمعابد.. مذابح الحروب الجميلة!
- لامة مجنونة إذن!
- واصلت الفتاة حديثها وهى لا تكف عن تمايلها البطيء:
- هنالك من يشمل.. من يتحرر.. من يفضل الموت مع ذكريات الماضى السعيدة.. من يدمن العقاقير المخدرة..
- وأكملت وهى تنتهد مراقبة السقف:
- لم تكن الضغائن بهذا الحجم.. لم يكن التشرد موجودا.. لم يكن الناس يتعرضون للموت فى الطرقات..
- صار القتل اسم اللعبة.. فى كل زاوية تجد من يحاول الإطاحة بآخر، أكان صديقا أم أخوا.. منطق شريعة الغاب!



وهنا وثب للخلف بعصبية، فقد شعر بشيء يلمس كتفه بخشونة،
فضحكت الفتاة ضحكة شيطانية!

صرخ:

- أنت سبب كل هذا!!

- يا للبلدة الملعونة! إنها لم تدع في زمن أسود مشؤوم فتاة مسكينة
وشأنها، بل اتهمتها - بلدة الأخلاق والفضيلة - بأنها ساحرة!

هكذا وعلى طريقة محاكم التفتيش أحرقت! فكان قبرها هنا..
الكل تهامسوا بشأنها، والكل كان مستعدا للوشاية بها، رغم
النتيجة المرورة لتلك الوشاية..

ووضعت سبابتها على شفيتها هامسة:

- فالوشاية كالقتل!

- لكن هذا كان منذ أمدٍ بعيد!

- الحق لا يُغسل بسهولة يا عزيزي! وأيا كان يقطن هذه البقعة
الخاصة بي سيدفع الثمن!

- أنت من قتل (مرتضى)، وذاك الشاب المسكين!

- أتعرف أن فتاك كان مسكينا، مجرد تائه دخل البلدة الخطأ..
لكن (مرتضى) كان وغدا، أتى كي يحصل على قلاوتي ظنا منه أنها
تخص مشعوذاه باع طويل في «الكابالا»، كي يبيعها لأحد جامعي
التحف ويصير ثريا..



تساءل محاولا التماسك:

- ولكن ماذا عن كتابات الدم؟ ماذا عن بارغوست الكلب
الجهنمي؟

ماذا عن العجوز الوحيد و(جبر) المنافق و(درة) الخائنة و(سامر)
الكاذب؟

ماذا عن إلفه ومولوخ؟!

- دعني أسألك سؤالاً واحداً يا شاعري العزيز.. أين بإمكانك
إيجاد عشرات الوحوش الثائرة الساعية وراءك؟ كلاب شيطانية،
وأرواح هواء شريرة، وساحرات أحرقن، وخطاة أشباح يظنون أنهم
على الطريق الصحيح؟

تبدت تلك النظرة المتبلدة في عيني (جبر)..

لقد قفز حوار تلك الليلة التي قضاها مراقباً (ملاك) إلى ذهنه،
عندما سأله ذات سؤال هذه الغولة الواقفة أمامه!

- «أتعرفين قاتلاً يدعى (ملاك)؟!»

لمح بريقاً كبيرق عيون الذئب في عتمة الليل في مقلتيها،
وبصوتٍ كفحيح الأفاعي همست متجاهلة سؤاله:

- ثمة مكان واحد لاحتواء كل هذه الشرور!

- هل تعرفينه؟ قولي بحق جهنم!



مررت لسانها على شفتها السفلى بتلذذ أثار رعب وقرع (جرير)،
ثم استحال تقززه ذهولا لما نهضت وتراجعت، حتى التصقت
أطرافها بالجدار كالسحلية متأملة إياه بتهكم، ومن ثم صارت جزءاً
من الظلام!



شعر بالذعر لما تلاشت عن بصره، فبدأ جفنه - اللعين - بالررف
العنيف، وهو يتحسس طريقه في العتمة، مطوحاً نصل مديته التي
شهرها يمنة ويسرة، عله ينجح بإصابة جزءٍ منها!
خرج للبحث عنها في باقي الغرف، كانت غرفة نومها خالية،
والحجرة باردة للغاية على عكس باقي أرجاء الدار الدافئة، وفي
خضم تساؤلاته عن مكان اختبائها، استطاع رؤية تلك الحلقة
المعدنية الصدئة في زاوية الحجرة، فاتجه نحوها، وقام بجذبها
لتكشف عن درجاتٍ حجرية مؤدية لأسفل!
كانت دعوة للنزول إذا ما كان يملك الجرأة، وقد قبل تلك الدعوة
بفؤادٍ راجف..

ازداد البرد لدرجة أن البخار خرج مع أنفاسه، ورائحة كالتي يشمها
عند الجزارين تملأ الجو، فشعر برغبة في التقيؤ، لكنه تمالك نفسه..
أبصر باباً معدنياً صدئاً بصعوبة، بسبب الأضواء الخافتة لفوانيس
معلقة، فاقترب منه حتى تبين فرجة أدنى وجهه منها.. ورأى!

رأها أخيراً.. كانت متربعة أرضاً، وقد وضعت شيئاً أشبه بالرأس
في حجرها، حيث أخذت تداعب خصلات شعره الأسود الطويل
بمخالها السود المعقوفة!

وتيسس (جرير) في مكانه، ويده القابضة على المدينة ترتجف
لا شعورياً حتى كاد أن يسقطها..

كان صوت الشر ينطق بحنو، رقة مريعة اكتست بها نبرة اللامة
التي خاطبت الرأس المقطوع بقولها:
- سَلِم على صاحبك يا (جرير)!

سقطت المدينة من يد (جرير) بالفعل، ولطم جبهته بكفه عدة
مرات وهو لا يكاد يكف عن الارتجاف، فقد كان الرأس يحمل
ملامحه!

لقد كان رأسه شخصياً!

وهنا انطفأت الفوانيس كلها، عدا ذلك الذي كان بجوارها على
الأرض..

ورأى (جرير) - بعينين جاحظتين - الساحرة وهي ترفع رأسه
على ضوء فانوسها الوحيد وتشع بالتهامه!

جن جنونه - من الذعر-، والتقط مديته من على الأرض قبل
انقضاضه عليها صارخاً:

- عودي لجهنم التي أتيت منها!!



عاجلته المرأة بضربة طرحتة أرضا فاقدت النطق والحركة، وألقت بالرأس جانبا قبل اقترابها منه بشدقين ملطخين بالدم..
لم يشعر بالهلع هذه المرة عندما كشرت عن أنيابها بل بالحنق..
نهض متجاهلا آلامه النفسية والجسدية، وبذلك تنبه لحبل قديم ملقى بإهمال قريبا منه، فالتقطه وفكرة ما تفتق في ذهنه، وسرعان ما انطلق مسرعا على الدرج إلى خارج القبو، وزمجرة الساحرة تلاحقه..

خرج من الدار الجهنمية، وبسرعة ورشاقة قام بتسلق إحدى الأشجار الملاصقة لها، ثم الوثب حتى استقر فوق السقف، هناك قام بصنع طوق من الحبل وبصره يتفقد الأشجار القريبة، حتى وجد واحدة مناسبة، عندها أطل برأسه من فوق مراقبا الباب الذي تركه مواربا..

فجأة، انخلع الباب بعنف من مكانه، وبرزت اللامة وهي تصرخ، فقام بالقاء الطوق المعقود حول عنقها، كما لو كان راعي بقر يحاول الإمساك بشور هائج! ورمى بنفسه لتتطبق حلقة الحبل المعقودة بإحكام، وقبل محاولتها تمزيقه بمخالبها كان قد قفز متشبثا بالحبل من فوق إحدى الأشجار، فانطلق جسم الساحرة لفوق كالصاروخ، وتعلق بالهواء لدى استقرار قدميه أرضا.. وربط طرف الحبل الذي معه إلى جذع الشجرة ذاتها وهو يصيح شامتا:

- كيف هو شعوركِ وأنت معلقة كالذبيحة!؟

ظَلَّ صوتها يتحشرج وكفاها متشنجان حتى تهدلا إلى جنبيها،
وكفت عن المقاومة للأبد..

وسقط (جرير) أسفل الشجرة وهو ينشج ويضحك في آن واحد،
لم يصدق أنه تمكن لوحده من الانتصار على مخلوق مروع كالذي
يتأرجح مشنوقا فوقه!



أبصر بعين الخيال «جرير» الآخر واقفا يتأمله بشفقة، كان هذا قبل
أن يدس يده اليمنى في جيبه مدمدما:

- «أنت تسرعت يا صديقي!».

- أعلم هذا..

- «قتلتها قبل أن تفيدنا بشيء عن (ملاك)..»..

- أعلم هذا! أعلم هذا!! أعلم هذا!!!

كذا صرخ (جرير) بأعلى صوته وبوحشية هادرة.. فتلاشى
(جرير) الآخر ببطء حتى اختفى تماما..

وعندما داعبت أولى نسائم الفجر مسامات وجتته وجفنه
المختلج، شعر بسكينة روحية دفعته للبقاء فترة أطول، والاستلقاء
للظفر بنوم عميق وآمن هذه المرة، دون خوفٍ من شياطين البلدة
المهجورة..



7 كلاب تلعب البوكر!

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa.7eralkutub.com او زيارة موقعنا



للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/

sa.7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



36

كانت ليلة عاصفة، ارتجت جدران الزنزانة الكثيبة لهزيم رعدھا
الشبيه بدوي قصف المدافع العنيف في الحروب..
ونظر (ملاك) للسقف وأنامله الخشنة ذات الأظافر المسودة
ترسم حرفا وهميا في الهواء..

- ع!

اعتدل (جرير) في جلسته متسائلا بفضول:

- أتقصد الصحفي الهمام الذي تابع نشاطاتك بسلسلة من
مقالاته؟

- سعيدٌ لاستحواذي على اهتمامك أخيرا!

بالطبع كان (ملاك) يستحوذ على اهتمامه مؤخرا، لدرجة أن
جريراً شاهده في كوابيس سوداوية كانت المتسببة في إصابته بداء
الأرق..

- «كيف قتلته؟»..



- «هذا... سر!»..

قيل أن الحلم بالملائكة ينبئ بتأثيرات مزعجة في الروح، وأنه يؤدي إلى وضع متغير في نصيب الشخص، وإذا كان الحلم مبهجاً على نحو غير عادي فسوف يسمع الحالم عن صحة الأصدقاء، أو يتلقى ميراثاً من أقارب مجهولين..

قيل كذلك أنه إذا جاء الحلم في صفة تحذير، فقد يتوقع الحالم تهديدات بفضيحة في أمور الحب أو المال..

أما بالنسبة للأناس الأشرار فهو مطلبٌ بالتوبة!

لم يعلن عن ذلك أمام سجينه، لكنه راهن نفسه بأن (ملاك) يعلم ذلك جيداً!



دار «الخلود» للمسنين!

تلك الدار العتيقة التي بنيت في بداية الستينات، ابتناها رجل أعمال على اسم والدته (خلود)، التي قيل بأنه قد نفاها إلى دار أخرى أعتق - وتم هدمها لاحقاً-، حيث ماتت منطوية في غرفتها، وفي يدها صورة لوحيدها، دوّنت عليها بخطٍ طفولي نوعاً كلمة وحيدة ذات عمق مؤثر: «سامحتك»!

يقال أن شخصاً ما قد أرسل الصورة لابنها رجل الأعمال، الأطباء والنزلاء جميعاً أنكروا قيامهم بذلك، وظلّ مرسل تلك الصورة



مجهول الهوية، وإن قيل بأنه رجل مسن وقع في حب تلك المريضة البائسة، فقرر بعد موتها تقديم خدمة أخيرة لها..

قيل أيضًا أن رجل الأعمال ذاك ووحيد تلك المرأة، قد بكى كما لم يبك من قبل لدى تسلمه الصورة ومطالعه الملحوظة، ثم قرر ابتناء دار رعاية للمسنين باسم والدته، وصار هو المشرف الدائم عليها، كأنما ينشد الخلاص من كبرى خطاياها.. ألا وهي العقوق..

لم يتزوج وذلك خوفا من إنجاب ولد عاق مماثل يصنع به المثل مستقبلا، وتوفي وفاة غامضة في ساعة متأخرة من الليل، بينما كان جالسا وراء مكتبه يراجع عددا من ملفات نزلاء داره..

وآخر ما قيل أنهم وجدوا جثته وقد اعتلى ثغرها بسمة راضية!



كانت حديقة دار «الخلود» تعج بأشجار النارج المزروعة بعناية، فأفعم الجو أنعش ملطف رباني يمكن للمرء أن يستشقه..

انتشر كبار السن هنا وهناك لممارسة بعض أنشطتهم المضجرة والروتينية لمن يراهم، لكنهم كانوا يستمتعون بها حقا لأنها تدور في حديقة الدار اللطيفة.. فترى رجلا عجوزا يجلس على دكة خشبية، محاولا إغراء الحمام ببعض حبوب الذرة، وترى سيدة مسنة تسير على العشب الندي الأخضر بقدمين حافيتين، مرتكزة على عكاز

يشابه الكرسي بقوائمه المعدنية الأربعة، في حين وقفت ممرضات
شابات لمراقبة ما يحدث دون تدخل منهن كي يأخذ الجميع راحته..
رمق (جرير) هذا كله بصمت..

إنه طرف الخيط الوحيد المؤدي إلى تحقيقات (ع)، فقلة من
زملائه الصحفيين كانوا يعلمون بمكوثه في دار «الخلود»، مستجوبا
أهالي ضحايا (ملاك) بطريقته الخاصة، فقد اختفى الصحفي الجسور
عقب نجاحه في إمطة بعض الغموض عن (ملاك) وأسلوبه المخيف
في القتل.. قيل أنه قد هرب خوفا من انتقام السفاح المخبول، وقد
صارت الشائعة أقوى لما وُجد قتيلا هو الآخر في هذا المكان!

قالت المشرفة رامقة المرضى بعين راضية:

- كما ترى، الجميع هنا يعيشون ببساطة معيشة لا بأس بها، لا
أحد يشكو أو يتذمر، ولا أحد مطالب بشيء سوى أن يتابع ما تبقى
من مشواره الدنيوي بهدوء!

كان هذا حديثا قاسيا، لكن (جرير) لم يعلق عليه.. استمر
بمراقبتهم متسائلا:

- وكلهم من أهالي الضحايا؟

- أكثريتهم، فبعد مقتل من يمتون بصلة لهم صارت الدار قبلة
لغالبيتهم، فقد كانت الصدمة أكبر من أن تحتمل.. السفاح تسبب



بمقتل أبنائهم وأشقائهم وحتى أحفادهم، فلم يعودوا قادرين على المتابعة من دونهم..

ودوّرت سبابتها بالقرب من صدغها متبسمة ببلاهة، فقطب جبينه معقبا:

- إنها سن الشيخوخة، الخرف لا أكثر..

- متأكد؟ إنهم يسألون دائما عنن فقدوهم إذا ما أتوا لزيارتهم!
يوميا يصنعون ذلك! ويبدو وأنهم لم يتقبلوا حقيقة أن أحبابهم لن يعودوا مجددا!



كانت مجموعة أقرب للانفراد..

لم ينقصهم سوى تعليق لافتة في غرفة المعيشة تحت عنوان:
«قسم أهالي ضحايا أخطر سفاح على وجه الأرض»!

عجوز على سبيل المثال جلس ليرمق اللاشيء ببصر زجاجي، فبدا كمنحوتة لن تتزحزح إلى يوم يبعثون.. آخر استند للنافذة كي يمرر إبهامه على زجاجها، كأنما يحاول تدوين عدد من الأحرف.. سيدة تزحف ببطء السلحفاة، ورأسها للأرض كالزومبي في أفلام الرعب، وأخرى واقفة كالوتد معطية ظهرها للجميع، حيث تراقب بثبات لوحة ضخمة، تمثل 7 كلاب يلعبون لعبة مقامرة الورق المسماة «بوكر»!

شعر بتعاسة بالغة لمجرد مراقبة أحوالهم.. هؤلاء مكانهم مصحة
للأمراض النفسية لا دار المسنين! وتسلسل الشرود لبصره وهو
يتساءل:

- وأين كان موقع (ع) من هذا كله؟

- في القبو!

- قبو؟!!

- كان مصرًا! كما أن سمعته كانت طيبة لدى الشرطة والصحافة
على حد السواء، وقد كان يتصرف كشخص ناضج وراق تماما.. قال
أنه سيمكث في القبو.. من أجل قضية السفاح؟

- أجل أجل.. وبعد؟

- كان يستجوب النزلاء بهدوء، والعجيب أن بعض هؤلاء تجاوبوا
وتحدثوا معه، كان حديثا عقيما لا يفيد بشيء، لكنه بدأ متفاعلا مع
أحاديثهم، خصوصا وأنه كان يرتدي مثلهم، الفارق فحسب أنه لم
يكن ينتمي لهذا المكان!

- تعنين أنه عاش وسط أهالي الضحايا؟

- هذا في النهار، أما آناء الليل فكان معتكفا على الدوام في القبو،
حيث حوله إلى غرفة للسكنى والعمل على أوراقه!

- هل بإمكانك وصفه لي؟



- وصفه؟ أتعني كيف كان يبدو؟ حسن.. كان أشيب الشعر -
رغم أنه في الثلاثينات من العمر-، ولربما ساعده ذلك! وقد كان
يحمل حرقا قاسيا في الجهة اليمنى من منطقتي الخد والذقن!
قالت ذلك ممررة أناملها على خدها وذقنها بشرود، فعاود
التساؤل المُلح:

- وهل تصادف أن تحادثتما؟

تفكرت المشرفة هنيهة، ثم قالت وهي تهersh ذقتها:

- محادثة عابرة بالكاد أتذكرها، ولمرة واحدة فقط، وجدته ذات
مرة غير حاضر الذهن وهو يجلس مراقبا النزلاء، المرأة هناك التي
تراقب اللوحة طيلة الوقت.. كان يراقبها بالذات ساهما.. ولما
اقتربتُ منه لسؤاله ما إذا كان بحاجة إلى شيء، ردَّ قائلا: هؤلاء كانوا
مجتمعين يوما مع أحبائهم.. كان هذا قبل ظهور (ملاك) كي يسلبهم
بقساوة ضارية أولئك الأحباء! ولكن ولحسن حظ تلك المرأة أنها
وجدت ببراعة منفذا خياليا ينقذها من فكرة انتحار زوجها المدين
بكثير من الأموال، من الرحيل تاركة الهول الذي قدمت به لهذا
العالم، وتسببت به لهؤلاء التعساء!

- ماذا كان يعني؟

- الله أعلم!

- ومن الذي اكتشف جثته؟



- أحد الحراس، عندما نزل لتفقد أحواله بأمر من مدير المصح..
أحمد الله على أن الشرطة قد انتشلت جثته دون أن أراها.. كان من
الممكن أن أكتشف أنا الجثة! قالوا أن السفاح قطعه إربا!
نظر لها (جرير) بتمعن، ثم وبشفة سفلى مرتعدة دمدم:
- أرشديني للقبو من فضلك!



37

«من مذكرات (ع)»:

في زاوية نصف معتمة من مطعم «الشوكة الفضية»، الذي يبعد كيلومترات عن ضجيج العاصمة، اتخذت لي ركنًا منزويًا..
مكاني الأزلي المفضل، حيث أبتعد قدر الإمكان عن ثرثرة الزبائن المستمرة، وأصوات سكاكينهم وهي تقطع اللحوم، وأشواكهم التي تلقم أفواههم الشرهة قطعًا منها!..

كنتُ جالسًا أدوّن بعضًا من سطور ذكرياتي في الدفتر السابع من سلسلة مذكراتي التي لا تنتهي.. لا أعلم بعد لِمَ أو اصل تدوينها، فلا أحد يهتم - أو قد يهتم - بمطالعتها.. طلبي المعتاد موضوع أمامي، القدح شبه فارغ من القهوة، آتي إلى هنا دوماً من أجل القهوة التي يعدونها، أنا خبير بالبن الجيد، وأعرفه حالما أتذوقه بسرعة لا بأس بها!



بحثت أصابعي عن مقبض القدح الضيق، وأنا غارق بتأمل ما
 قمت بتدوينه، عندما أحسست بها تتلمس شيئاً ما، له مقدمة ناعمة
 وما تبقى منه خشن ورفيع للغاية، فارتسمت في ذهني صورة لوردة!
 كان هذا غريباً، إذ لم أذكر وجود واحدة على المنضدة قبل جلوسي
 إليها، نظرت فوجدتها بالفعل هناك، حمراء ندية، والى جوارها تقف
 طفلة في ذات جمالها!

شعرت بوهن بين ثنايا أضلعي، فأنا هش ضعيف أمام البنات
 الصغيرات لأنني أراهن كالملائكة..

خاطبتها بقولي متهدجا:

- لمن الوردة يا حلوة؟

- لك يا «عمو»!

لم أقاوم أكثر، فقبلتها على خدها الناعم قائلاً بحنو:

- سلمت يدك يا أحلى وردة!

- «ماما» طلبت مني أن أقدمها لك!

- ماما؟

لم أحاول التلفت يمنة ويسرة بحثاً عن أم الطفلة، نظرتُ فقط إلى
 الطفلة متسائلاً:

- وأين هي ماما يا حلوة؟



رفعت الطفلة إصبعها الصغير البض موجهة إياه صوب نقطة ما،
تبعته ببصري، فوجدته يتوقف عند شابة جميلة بنية الشعر تنظر إليّ
متبسمة!

هل أعرفها؟ ربما، فوجهها مألوف قليلا لدي.. لم تكمن المشكلة
بمحاولة تذكرها، بل في اتخاذ الخطوة التالية والمناسبة..

هكذا، قبلت الطفلة على خدها مجددا وأنا أحملها برفق، وسرت
بها نحو والدتها مفترضا وقوع خطأ، ربما ستعتذر مني على تلك
الغلطة المخرجة..

وضعت الطفلة أمامها متسائلا بلباقة قصوى:

- معذرة، إن «الأمورة» طفلتك، أليس كذلك؟

- كيف حالك أيها المنشغل على الدوام؟ أتراك تذكرني الآن؟

- (أسيل)؟!

ضحكت كأنها تهمس، وبراحة يدها مسحت شعر ابنتها التي
ورثت لونه عن أمها..

قالت لها برقة:

- اذهبي للهو قليلا يا (هايا)..

ابتعدت الطفلة وأنا ارمقها بنظرة شغوف قائلا:

- ابنتك رائعة..

- إنها طفلة متعبة، لكنها قطعاً تستحق العناء، لِمَ لا تجلس؟



رددتُ مرتبكا لأبعد الحدود:

- معذرة، لكنني تأخرت عن موعدِ هام!

تبسمت بلطف قائلة:

- إنني مطلقة..

شعرتُ بدهشة، نشعر بالدهشة حين نسمع بطلاق من نعرفهم،
ولستُ بشاذٍ عن القاعدة.. سألتها لدى حصولي على مبرر للجلوس

- وإن كان مبررا غير مريح لي:-

- كيف حدث هذا؟

تنهدت، ثم أخرجت علبة سجائر وكأنها تعرفني على المستجدات
في عالم الإحباط خاصتها..

قالت واجمة وهي تمد العلبة اتجاهي:

- تدخن؟ لا بأس، (مراد) الوغد عشق التدخين، خاصة حين
يمزج «الكونياك» مع دخانه! أحيانا يجلب صنوفا غير هينة من
الكحول.. رباه! ما الذي أخرفه؟ مع الكحول لا يوجد صنف هين
أو غيره فكلها مسكرات لعينة!

- إن نسبة الكحول متباينة في كل صنف!

ضحكت من أعماق قلبها المثقل، وبحنكة سحبت نفسا من
سيجارتها كفيلٌ بالقضاء علي لو أنني قمت به..

قالت والدخان ينساب من منخريها:



- الوغد علمني التدخين، وفي كثير من المناسبات كان يرغمني على مشاركته الشرب!

شعرتُ بغثيان مبین .. لِمَ تسردین علي همومك يا (أسيل)؟ إن مشاكل الحياة الزوجية المتعلقة بسكر الزوج أو بخيانة الزوجة تثير غثياني، خاصة حين تتعلق بمن أعرفهم، أو كنتُ في يوم من الأيام على علاقة بأحدهم ..

فلماذا تعودين اليوم يا (أسيل) لتسمعي متاعبك مع حياة اخترتها بمحض إرادتك؟ أَلستِ التي أوقعتني في حباتك ومن ثم أخرجتني بمنتهى البساطة؟ كالعادة السيئة التي ينبغي التوقف عنها؟

مشكلتي هي الإكثار من الإنصات، حتى جدتي قالت بأن مسحة من وحي الثقة تتسلل إلى وجدان من يجالسني، وبذلك يفتح لي مكونات فؤاده!

واليوم أنصت لهوم حبٍ قديم، أنثى فرضت عليّ حبها، ثم أجبرتني على محاولة نسيانها!

تقول (أسيل) وكفها ذات الأنامل المطبقة بالسيجارة على خدها تربت:

- لم أذق طعم الهناء حتى في ليلة العمر ..

واسترسلت بعيون ساهمة:



- ومع كثير من الضرب اللثيم والمؤذي، كان يعاملني كغانية لا تسعد إلا بذلك الأسلوب الدنيء في المعاملة..
- سارعتُ بالقول متمالكاً نفسي وانقباضة قلبي:
- في أية مرحلة هي (هايا)؟
- في الحضانة، إنها ما يجعل عالمي محتملاً..
- الأطفال أحباب الله!
- فعلاً..

ناديتُ النادل كي أطلب لها مشروباً بارداً، لكنها أصرت على فنجان قهوة مرة.. شديدة المرارة إذا أمكن!

أصرت كذلك على مواصلة السرد بصراحتها المعهودة:

- أتصدق بأن صديقه الذي يسهر معه حتى طلوع الفجر قد حاول التحرش بي؟ وزوجي العزيز كان في حالة سكر ميين! اضطرت لأن أهشم زجاجة شراب على رأس ذلك الخسيس، وفي كل ليلة كان علي التأكد من أن باب حجرتي موحد بإحكام، ومن شدة خوفي أظل أحياناً مستيقظة حتى اليوم التالي، ولا أنام إلا لدى التيقن من أن الوغدين قد غادرا المنزل..

- وأين كانت القشة التي قصمت ظهر البعير؟



- ذات ليلة سهوت لدقائق، أفقت بعدها متجهة للصالة، خمن
ما الذي رأيته بأَم عيني؟ وجدت زوجي الحقيير يحاول إرغام الطفلة
على الشرب من سمه الزعاف!

وارتعشت تقاسيمها بشدة عقب ما قالتها، ولم تحتمل أكثر،
فراحت تشجج وكفها يحجب وجهها..

شعرتُ بحزن جم لأجلها، أسفْتُ على حالها وحال طفلتها
البريئة، إن عالم الكبار لمقيت غير رؤوف، فهو لا يرحم أحلام
الصغار، ولا طفولتهم التي تحاول الترعزع بسلام..
تساءلتُ بنبرة واجمة:

- وبعدها حصلتِ على الطلاق؟

- بمعارك رهيبية في المحاكم ضده! أحيانا كان يطلبني في
مكالمات ليلية متأخرة لينعتني بالفاجرة، وليقسم على ذبحي وذبح
ابنته قبلي.. إنه حيوان بالمعنى الحرفي للكلمة!

جاء النادل لوضع طلبها وهو يكتب بسمته بعسر! الحق معه، فقد
بُتُ أجالس العديد من النسوة هذه الأيام.. بحكم المهنة طبعاً!
أرحتُ خدي على قبضتي قائلاً بتمتمة:

- قاسيتِ الكثير..

- ليتني أفهم فقط سبب تحول الوغد! كان حليماً كالملائكة أيام
خطبتنا، كان أكثر رومانسية من (روميو) وشاعرية من (قيس)!



وتأملتني هامسة:

- ولكن حتى مع تلكم اللحظات الساحرة برفقته لم أستطع نسيانك! لم أتمكن من نسيان أحاديثنا القيمة عندي أكثر من أية جوهره نفيسة في العالم، فهل تذكر؟

كان هذا بالضبط ما كنت أخشاه، محاولة استعادة العلاقة القديمة، ومحاولات تثبيت الطوق حول عنقي من جديد، أرجوك أن تكفي يا (أسيل)، لِمَ لا نكون كأخوين أو صديقين يرتاح أحدهما للآخر فحسب؟

قالت وهي تزفر مخرجة الأنفاس الدافئة من فمها لتنفس عن صدرها:

- كان موجودا في أيام مرضي ومعاناتي، وأنت لم تكن! زارني ذات مرة ومعه الورد لي، أمسك بكفي والدموع تنحدر من مقلتيه، وفي أذني همس كم يحبني ويتمنى أن أقبل الارتباط به، فلم أقاوم أكثر! أبصرتك في عينيه فظننت فؤاده كفؤادك، لكنني كنت جدُ مخطئة..

وتنهدت قبل أن تسترسل أسفة:

- أدرك بأن الأوان قد فات على قول ذلك، أرجوك أن تسامحني لأنني أسرد عليك متاعبي البغيضة، فأنا بحاجة لشخص أثق به، أكلمه كي لا أجن، فاعذرني أرجوك..



- هوني عليك..

شرعت بفرك عينها لتزيدهما احمرارا وهي تقول:

- إن ضعفي مثير للاشمئزاز!

- لست ضعيفة يا (أسيل)، كنتِ ولا زلتِ قوية..

- لكنني الآن وحيدة..

- لست وحيدة.. لديكِ (هايا)!

تبسمت لتلك الانتكاسة واضعة عقب السيجارة الذي وصل
رماده لنهايته في المنفضة، لم تعبى رثتها سوى بنفسين فحسب،
لكنها كانت نهمة للقهوة المرة..

نقرت سطح المنضدة بظفرها شبه الطويل قرمزي اللون، فسألتها:

- كيف هم ذووكِ؟ كيف استقبلوا الخبر؟

- ماذا تظن؟ أمي سقطت مغشيا عليها، ووالدي كاد يصاب بنوبة

قلبية، أما أشقائي فلقد توعدوا الوغد بالقتل!

- يا للهول!

- لكن الجميع بخير الآن، فيما عداي بالطبع..

قلت مشفقا:

- لا بأس عليك، ليست بالنهاية السيئة، هنالك من ينتهين بوجوه

مشوهة بمياه النار!



ضحكت قائلة:

- رباہ! لكم أحب طريقتك الصادمة في الكلام!
ثم صممت بغتة، ففقتُ مسرعا في شيء من لعنة:
- ولا زلتِ تذكرين بعد كل تلك السنين؟
- ألم اقل لك بأني لم أنس شيئا من أحاديثنا في الماضي؟
شعرت بارتباك إزاء تلميحاتها المتكررة، ففقتُ أخيرا التكلم
بصراحة وبطريقتي الصادمة:

- (أسيل)، أتحاولين استعادة العلاقة القديمة؟
كان وجهها قريبا من وجهي حين قلت ذلك، من ثم تراجع
بطء لتسترخي على مقعدها، وهي تحديق بي جامدة الانفعالات،
شعرت بالحرع الشديد لما قلته لها، ورغم ثقتي بصحة أفكاري
شعرت بتسرع في نشرها..

راقبتُ (هايا) الملتصقة بزجاج الواجهة متأملة الرائع والغادي،
وعمال «الكافيه» يحاولون مداعبتها لإضحاكها، لحظات من الوهن
مسّت شغاف قلبي حين تخيلت تلك الملاك الصغيرة ابنة لي،
أصحبها إلى الملاهي، وأشتري لها الحلوى، ثم أخذها لعيادة طبيب
الأسنان!

كانت أمها ستكون زوجتي المحبة، فتاة جميلة ظننت بأنها تفهمني
وتصورت بأني أفهمها..



جميلة أحلامنا عندما نخطط لها في عقولنا، أو نكتفي بمجرد تخيلها، لأن لحظة البدء بتنفيذها وتطبيقها على أرض الواقع كفيل بتجريدها من كل سحر..

طال صمت (أسيل) حتى شعرت أنني لربما مخطئ بتقديراتي، ربما هي بحاجة لصديق مؤنس فحسب، يحتوي لحظات تنفيسها لكربها، وكنت الشخص المرشح للمهمة العسيرة لولا رعونتي في الكلام، ولم أعد أعلم ما يتوجب علي فعله لإصلاح ما أفسده لساني الأحمق..

ابتسمت وأنا أؤرجح رأسي، فوضعت كفها على خدها معاودة تقريب وجهها من وجهي.. كانت الأوقات التي قضيتها معها كحكاية تروى، (أسيل) لن تمحى من فكري ومخيلتي بسهولة، فقد تشربت من روحي الكثير، وعلمت من الأسرار ما هو أكثر، كما أنها أشعرتني بأنوثتها برهافة حس لا يمكن وصفها إلا بالنسمة..

قلت لها قاطعا على نفسي تأملاتي:

- لِمَ تعودين يا (أسيل)؟ لِمَ تعذبينني بقول ذلك؟ قد نسيت ما كان بيننا بمعجزة..

- الحق معك، أنت لا تستحق العذاب بصحبتني، أظن رحيلي سيكون مناسباً..

ونهدمت متظاهرة بالتماسك، فشعرت بقواي تخذلني..



أمسكت ذراعها قائلاً بضيق:

- (أسيل) توفني ..

عاودت الجلوس فوراً قائلة وهي تكاد تبكي:

- آسفة لإقحامك في خضم متاعبي، لكنني واهنة للغاية..

- بل آسف أنا لتصرفي كالمغفل، لكنني أريدك فقط أن تعلمي

بأنني هنا.. لأجلك!

مسّت كفي بأناملها مبتسمة ابتسامة طفيفة، وعاودت النهوض

مستعيدة الكثير من نضارتها وإشراقة تقاسيمها الحسنة..

- «هايا)، تعالي يا حبيبي ..»..

خفت الصغيرة لتلبية نداء والدتها التي رمقتني بنظرة تساؤل

خجول، وهي تبعد خصلة حريرية من شعرها عن عينها اليمنى..

- «لا تسيء فهمي أرجوك، لكن هل لك أن تعطيني رقم

جوالك؟»..

- «لا أملك جوالاً بالأساس!»..

- «أنت كما أنت! إذن أعطيك رقم جوالي، إياك ألا تتصل ..»..

خطت لي الرقم بقلم حبر على قصاصة من علبة سجائرها،

وناولتني إياها متممة بحبور:

- أشكرك!

هرشت شعري مداريا ارتبائي، قائلاً ويدي تداعب خد طفلتها:



- اعتني بنفسك وبالطفلة..

قالت بلهجة ذات مغزى يسير الاستنتاج:

- إلى اللقاء إذن..

رفعت كفي باسمها ذات البسمة التي وصفتها هي بالبهتان،
وتابعتُ رحيلها مع طفلتها غير عالم بطبيعة ما أفكر فيه بالضبط، لقد
استحالت الأفكار في رأسي إلى تشويش مؤلم غير مفهوم!

هل أرجع إلى عالمها الذي كان يمنحني الخدر اللذيذ في
الماضي؟ حيز واسع من عقلي يطالبني بعدم تلبية نداء الفؤاد
الزائف، الذي أوقني في المصيدة ذات مرة وتعذبت بسببه، لكن
ضعف (أسيل) الأنثوي كان قد هز وجداني بأسره، والآن أجد نفسي
عاجزا عن اتخاذ ما هو مناسب، أتمنى لو كان بمقدوري مساعدتها
إكراما لذكريات الماضي، فإن فعلت ذلك وجدت نفسي عالقا في
شباك هواها من جديد، وذلك ما يجب عدم السماح به..

نظرتُ إلى القصاصة التي حملت رقم هاتفها وتحملها أناملي،
ثم همست لنفسي:

- خطأ فادح، مؤكد أنه كذلك..

وما بين عازم وواهن، نجحتُ بدس القصاصة داخل بقايا القهوة
في فنجانها بعدما قمت بتمزيقها..



38

كاد (جيرير) أن يعرض عن باقي المذكرات، إذ تساءل عقله بدهشة ممزوجة بالاستهزاء: «ما هذا السخف؟!».

«كيف لهذا أن يكون ذا علاقة ب(ملاك) السفاح الجهنمي؟». هذه مذكرات أقرب للرومانسية السوداوية، ولا تقول شيئاً غير ذلك!

لكنه - وبدافع غامض - استمر بالمطالعة..



«من مذكرات (ع)»:

من جديد عاودني الشعور الرائع بالتححرر، ذات الشعور الذي انتابني عندما سمعت أن (أسيل) قد تزوجت..



نهضت كي أستأنف تدوين مذكراتي المملة في مفكرتي، حينما التفت إلى منضدتي لأجد شابا يرتدي السواد! جالسا هناك على المقعد الذي يخصني وبسمة ثقة غريبة تعلقو ثغره..

كان وسيما، لا بل جميلا، كان جميلا كملاك لم يتلوث بعد بالعفن البشري.. جماله رجولي بحت، لا يمت للخنوع بصلة.. عيناه كقطعتين من زبرجد خالص!

- «أحييك! كان قرارا في محله الصحيح، الاتصال بها لن يعيد شيئا..».

تساءلتُ باسمًا بشفقة:

- إذا كان الأمر كذلك، فلماذا جعلتني أقابلها بتلك الصورة شديدة البعد عن الحقيقة؟ أهو نوع من استرداد الكرامة لي، أم شكل من أشكال الانتقام؟

لقد أجلسني أنا هذه المرة على أريكة الطبيب النفسي!

ولذتُ بالصمت منتظرا سماع ما سيقوله..

- «إذا أردت انتقمت لك من كليهما!».

- «من تقصد بكليهما؟».

- «أعني (أسيل) و(مراد).. لا تخف، فأنا لن أجسر على مس

شعرة من رأس (هايا)، فهي ملاك!»..

- «أشكرك!»..

الحالة التي كان يمر بها وصلت إلى أزدلها، ونفسيته لم تعد قادرة على الصمود، فقد نزلت إلى أعماق الحضيض..
 لقد دبَّ اليأس في عروقه، ووجد القنوط السبيل إلى قلبه،
 وتلبسه الأسى.. ماذا يفعل بعد الفاجعة التي مُني بها؟ ماذا
 يفعل؟ قد ركبه حال كل من مُني بالفشل الذريع في الحياة، فبدأ
 يفكر بطريقة فردية بحتة..

هل يُعقل أن يكون هناك ما هو أكثر مأساوية من فقدان ابن؟
 فلذة كبد؟! سؤال سيكون هباءً منثوراً، لكنه خامره بإصرار في عقله
 وقلبه..

ولكن من أنا حتي أحكم أن هذا صحيح وذاك خاطيء؟! بل
 كيف أعطي نفسي الحق في إلقاء الأحكام، وأنا أصلاً لا أعلم ما
 الداعي إلى العمل، أو الوازع الذي أدى به إلى هذا النحو؟!
 في أعماقه السحيقة الحالكة ما هو أعمق من الشخصيات
 الأسطورية الجبارة.. ما هو أعنف من القتل وسفك الدماء.. الكرامة
 الإنسانية.. شخصية ذات أسى عميق تصرخ في أعماقه باستماتة: لي
 الحق في أن أعيش كما يعيش العالم المتحضر في النصف الآخر من
 العالم! لا تسألني كيف؟ ولكن لي كل الحق في ذلك.. إنه حق أقره
 لي الله، وإذا اختفى وجود الله في فؤاده وعقله، ظهرت الخرافات
 والجرائم المفزعة فيهما!



لو أنه فيلم لجعل المتفرج يركز على السيناريو الداخلي لعقل البطل وخواطره.. حيث يدعك تشاهد المعطيات من وجهة نظر شخصية خاطئة، وتتراكم تلك الخطايا إلى أن يصبح ذنبا عظيما، لم يكن هذا من باب العبث، لكن السيناريو قد اقتنص قلب المشاهد لمشاهدة ما في نفوس أولئك الذين أخطئوا، ليجعلك في حيرة مع ذلك الذنب العظيم، الذي يتراكم وشخصيات الذين كرهوا الجميع والجميع كرههم مع مرور الزمن، الإنسان يخطئ ولا يوجد عمر للتمييز ما بين الصواب والخطأ، ولكن إذا كنت ضحية ذلك الخطأ، فليس بيدك إلا اللوم الذي يدفع في نفسية الآخر الذنب، ليقتل النفس أو يعبث بها مع مرور الزمن!

لم يعد من حلم الآن، الأحلام كلها تلاشت.. ضاعت!
لم يتبق سوى الكوابيس المظلمة!



صرخ عقل (جرير) برعب وبصره المتسع يجري على السطور
الرهيبه جريا:

- «ماذا يحدث بحق الله؟!».



«من مذكرات (ع):»

قيل أن الخلاص أحد أفضل النماذج الهامة في وصف القلق للنفس للبشرية، وتم الاقتباس من روحه آلاف حالات الانتحار هرباً من خلق الإثارة العصبية الواقعية، تلك مقومات لشخصية مضطربة وغير متزنة تلعب في داخله.. يقابلها في ظاهره شخصية أخرى تفرز لنا تلك الخصائص السلبية المتمثلة في خليط من الطباع السيئة والصفات القبيحة والمستهجنة، ما يجعله مكروهاً من الناس، ومُبعداً - قسراً - عن الاختلاط بهم، أو أن يكون جزءاً منهم.. بالإضافة إلى كونه يشكو من ضياع هويته، وفقدان إحساسه وحماسه وحيويته تجاه الحياة، حيث لا يعرف تماماً ماذا يريد أو كيف يحققه.. فحياته أشبه بالروتين القاتل الذي يسيطر على نظام حياته، ويصنع منه شخصاً بارداً متصلباً وفاقداً للإحساس الشعوري، أو التجاوب الطبيعي مع العوارض العاطفية..



- «ماذا يحدث بحق الله؟!».



«من مذكرات (ع):»

مز مع الانتحار أصبح عالقا في نقطة زمنية محددة، لا منفذ منها سوى بالخلاص الذي هيئه له عقله المضطرب، يكرهه أشد الكره، ويظل يعايش آثار وتغيرات واضطرابات تلك النقطة المستمرة،



حتى يتحول تدريجيا نحو حالة اليأس والإحباط، التي تقوده نحو محاولات الانتحار المستميتة..

أحيانا يتراجع بعد بضع محاولات فاشلة، ولكن في حالة (جرير) بدا وكأنه لن يتوقف، فقد وقف على سور الجسر الممتد، ومن دون أن ينظر لأسفل ولو لمرة استعداد لإلقاء نفسه بنية لا تتزعزع!
إن (جرير) - مع الأسف - بات مجرد شخصية أخرى هالكة لا محالة!



39

«من مذكرات (ع):»

لم يحاول (ملاك) فهم واستيعاب السبب الذي قاد إلى كل هذا عندما قاد ذاته للنهاية..

ولكن، وبعد تعرفه على (جربير)، صار يسأل ذاته التي كاد يسلبها يديه: لماذا ذهبنا؟ وعم نبحت؟ وعن أية حرية نتحدث؟

وما يبعث على الأسى أنه خلص إلى نتيجة مفادها أن ما يحدث ما هو إلا العبث، العبث بذاته.. حين يغرق الإنسان في مستنقع الظلمات، وتتلاشى أخلاقه وقيمه بشكل مفزع، في ذلك المستنقع حيث الغبش في الرؤية، والانعدام المطلق لمفاهيم الخير والشر، حيث تُظلم الإنسانية ويصير ابن آدم أقرب إلى ابن آوى، بشهوانيته، بوحشيته وتوقه للقتل وارتشاف الدماء، بل هو يفوق الحيوان في مسألة أنه يقتل بلا سبب، فقط هكذا، مجرد عبث..

(ملاك) أراد البحث في الذات الإنسانية، أراد الغوص فيها لتأمل الغموض الذي يكتنفها، ذلك الغموض الساحر الذي يجعلها تنقلب



فجأة من الوداعة والبراءة إلى البشاعة والوحشية والشناعة، هي حيرة شديدة وألم عميق، تولده هذه الحقائق التي تتكشف لحظة عقب لحظة لدى الاقتراب من فهم هذه الذات..

لأجل ذلك خلق لنفسه عوالم كابوسية مروعة، ابتداءً بولادة جديدة وانتهاءً بمصادقة الآلية الدفاعية التي أسماها ب(جرير)! استعان بها وقد امتلك كل الحق في إنهاء حياتها في الوقت الذي يحدده، لن تدينه أية محكمة لقتله شخصية من وحي خياله، ساعدته أنا على ابتكارها كمسعف له! «ميكانيزم» كصديق آخر يستمع إليه في الليالي الحالكة، كبئر يحوي جميع أسراره المظلمة، وتمكنت من إقناعه بترك تلك الشخصية النبيلة أطول فترة ممكنة، كي يتوقف القتل في عقل (ملاك) الجهنمي كعلاج من نوع جديد!

لو أنه فيلم إنساني سوداوي لعرض لك إلى أي درجة يمكن أن تبلغ التعاسة في هذه الحياة، ومدى الأسى الذي قد يعيشه الإنسان وحيدا في كل يوم دون أن يُظهر ذلك، الواقع من الممكن أن يكون مظلما، بسبب ارتكاب ابن آدم لخطيئة محرمة تخالف عقيدة البشر الخالدة.. القتل! ما الذي يفرق لو كان عمره شهرا أو ثلاثين عاما أو حتى مائة؟ ما زالت تُعتبر أكبر وأعظم الخطايا التي وقع بها البشر في حياتهم، مذُقتل (هابيل) على يد شقيقه (قابيل)!

هذا ما سنشاهده في كثير من مشاهد الفيلم المبتكرة، ولعل الأنسب التطرق لذلك المشهد الذي سيجعل المشاهد على أعصابه، حيث يشعر بثقل العالم كله على كاهله، كل هذا بسبب

ارتباطه بالشخصيات والأحداث، فعلى مدى تعاسة الفيلم، ودراميته العميقة، لن يرى دموع شخصيات تتألم بهدف توصيل المشاعر بشكل مباشر، بل سيشعر هو بالألم الذي يشعرون به، سيشعر بالدموع التي لم تخرج منهم بعد، سيشعر بكل ما يشعرون به، ولربما ما لا يشعرون به، ومن هنا تكمن فكرة الفيلم الإنسانية، عن طريق قصة طويلة وقاسية تضرب على أوتار النفس البشرية بكل شجن..

يكتمل هذا الكمال بطاقم التمثيل المذهل، بداية مع (جرير)، الذي ما إن تراه وترى عينيه حتى تشعر بغضبه وأساه المتفجران بصمت، وانتهاءً بملاك، الذي رأى حقيقة هذا العالم الماضي على عجل نحو الدناءة..

إن (ملاك) لهو أخطر سفاح في عالمه الخاص! ضحاياه بالعشرات! بالمتات! يتساقطون بأبشع الطرق في ذهنه الملتاث، فكان لابد لجرير من التدخل قبل أن يتحول (ملاك) نفسه إلى ضحية أخرى!



«من مذكرات (ع)»:

لقد تحول صراع (جرير) مع من حوله إلى صراع الإنسان الأزلي مع قوى الحياة الخفية بأسرارها ومضامينها وتقلباتها، والغوص الدقيق والعميق في نفسية شخصية تستعد للموت بكل ما تكنه من



مشاعر واضطرابات شديدة الهيجان، تثيرها حقيقة العالم المجهول الذي ستقبل عليه لتتابع فيه الذكريات واللحظات التي ترسم الماضي كأنشودة صافية النغم، أو حلم هادئ يجعل الحياة مرتعا خصبا للسعادة والاطمئنان.. كل تلك التضاربات والانعطافات بدون أن تبني على حبكة ما، حيث الأحداث المتتابعة، أو طريقة سردية معينة في رواية.. ظاهرة بكل تهيجاتها واضطراباتهما وتعقيداتها، بدون أن تتحكم بها المعايير المعهودة في القصص.. وأن تكون الصورة هي المتحدث الرئيسي الذي يتولى عملية رواية تلك المأساة، بما تحمله من مشاعر متضاربة وفلسفيات متناثرة وأحزان متقدة.. كأنها قصيدة شعرية ملحمية لم تخط بحروف.. وإنما بمجموعة من الصور والتأملات واللحظات، التي تستطيع أن تُظهر لنا - وبكل صدق - حقيقة تلك المشاعر الإنسانية المتضاربة بدون تزييفها.. وأن يتعايش المرء معها كجزء لا يتجزأ منها، وأن تستطيع ملامسة روحه ومشاعره بعيدا عن منطقيته أو عقلانيته.. إنها رحلة شاعرية روحية تأملية قاسية في أعماق الروح البشرية..

كان يجب أن يكون (جرير) سجانا، وكان يجب أن يكون كذلك شاعرا، والأهم من ذلك كله، أن يكون متمسا بصفات لا تمت بصلة إلى (ملاك)..

لكن الكرة كانت دائما وأبدا في ملعب (ملاك)..

كيف لا وهو المسيطر الفعلي على عوالمه الخاصة والمخيفة؟



«نهاية المذكرات.....».



خرج (جرير) مندفعاً من القبو، صعد السلالم مستنجداً بالمشرفة، فوجد نفسه في مكان يختلف كلية عن الذي ولجه.. ممر جدرانها مزدانة خريشات هزلية وعبارات جنونية عجيبة، وباب خشبي عليه رسمة وجه أبله بعيون حولاء!

اقتحم أحد الأبواب بفرع هائل.. فوجد حماماً جميع مراياه شبه محطمة، والكتابات على كل جدار وزاوية، واحدة كانت تقول: «سأفعلها في جوف المدير ال..!»..

- «هل أصبْتُ بالخبل أخيراً؟!».

دنا من المغسلة، وطفق يرمق مرتجفاً صورته المنعكسة على بقايا المرأة المكسورة والمعلقة أمامه..

تناهى لمسامعه صدى لحن كلاسيكي انبعث بغته، فبدأ مألوفاً لحد غير منطقي!

- «مستحيل!».

وخرج باحثاً عن المشرفة، عن المرضي، عن أي كائن حي، فلم يجد!

إذن.. من الذي شغل تلك السيمفونية المخيفة؟



صار خارجا، تحت سقف من الغيوم الداكنة، وقبالة أسوار تدور حول البناء الكبير والقديم الذي خرج منه تواء، تبدى شبه دائري، تم طلاؤه بدهان حليبي بهت وتشقق مع مرور الزمن وتقلبات أجوائه، فاستحال رماديا مقبضا.. النوافذ كثيرة، وأكثرها مزود بقضبان حديدية ذات تصاميم زخرفية عادية، وثمة مزرعة غير مبهجة قريبة من المبنى.. - «لدينا زريبة كذلك، لكن ليس فيها حيوانات كثيرة!».

نظر للوراء ببطء.. فأبصره أخيرا..

كان الملاك الجهنمي واقفا بذراعين مفرودين، يرتدي سوادا في سواد، سترة جلدية وسروالا جلديا، وكانت عيناه تبرقان كقطعتين من الزبرجد الأخضر الخالص! كما لو كان ضبعا يرتاد الظلام ليخيف ضحاياه بمقلتيه!

- «أهذا هو المكان؟»..

كذا همس (جرير) شاعرا بالوهن.. فانسعت بسمه (ملاك)!

- «وهل ترى مكانا غيره؟»..

- «وكيف تتوقع من المريض الشفاء في هذه الإقطاعية؟»..

- «أنت لا تعلم كم هي المظاهر خادعة!»..

- «ماذا تعني؟ أن الفردوس بالداخل؟»..

- «ليس إلى هذا الحد بالنسبة لنا، لكنه كذلك بالنسبة لهم!»..

تأمل (جرير) البوابة شاعرا بانقباضة عنيفة بين أضلاعه..

الأشجار غير المثمرة متكاثفة على جانبي الطريق المؤدي إلى هذا

المكان المخيف، مقر شبه منعزل، كما لو كان حصناً أو مصنعا لمواد
كيماوية..

بحث عن المتاع، عن المدية والمسدس..
- «لا حاجة لك بهما بعد الآن»..

المدية باتت في قبضة (ملاك) اليمنى، والمسدس في اليسرى!
بدا ألمٌ في محيا (جرير) وهو يرمق تقاسيم (ملاك) الجامدة، كان
يعلم بما انتوى فعله معه، لكنه قرر ألا يقاوم..
أتراه يملك خيار المقاومة أصلاً؟
صوّب (ملاك) فوهة المسدس إلى صدر (جرير)، وبتهدج متقطع
همس:

- لقد كنت.. أفضل صديق.. لي!
- «أعلم.. هذا!»..

انبثق صوت الطلقة كقصف الرعد لشجرة وحيدة..
تهاوى (جرير) أرضاً وهو يشهق.. كان يعلم جيداً أن هذا ما
سيقوله (ملاك).. كان على علم بكل ما كان (ملاك) سينطقه أو
سيفعله..

وعندما دنا (ملاك) والخيوط الضبابية تحيط به كسريان سريالي
حيث الخطي، وثبت بغتة كلمة وحيدة في ذهن (جرير)، فكان يعلم
تماماً من قائلها ولمّ قالها..
- «أحييك!»..



الزنانة رقم 446

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لـجروب ساحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/
sa7eralkutub.com او زيارة موقعنا



446

لم تكن هنالك أسوار تدور حول البناء الكبير والقديم، وقد تبدى شبه دائري، تم طلاؤه بدهان حليبي بهت وتشقق مع مرور الزمن وتقلبات أجوائه، فاستحال رماديا مقبضا.. النوافذ كثيرة، وأكثرها مزود بقضبان حديدية ذات تصاميم زخرفية عادية، وثمة مزرعة غير مبهجة قريبة من المبنى..

دار الحوار التالي بين شخصين داخل سيارة منطلقة:

- «لدينا زريبة كذلك، لكن ليس فيها حيوانات كثيرة..».
- «أهذا هو المكان؟».
- «وهل ترى مكانا غيره؟»..
- «وكيف تتوقع من المريض الشفاء في هذه الإقطاعية؟»..
- «أنت لا تعلم كم هي المظاهر خادعة!»..
- «ماذا تعني؟ أن الفردوس بالداخل؟»..
- «ليس إلى هذا الحد بالنسبة لنا، لكنه كذلك بالنسبة لهم!»..

للمزيد من الروايات والكتب الحصرية

انضموا لجموع سحر الكتب fb/groups/Sa7er.Elkotob/

sa7eralkutub.com

او زيارة موقعنا



كانت الأشجار غير المثمرة متكاثفة على جانبي الطريق المؤدي إلى هناك، مفر شبه منعزل كما لو كان حصناً أو مصنعا لمواد كيميائية.. أخيراً، بلغت السيارة البوابة العملاقة، فعبرتها بعدما قام الحارس بفتحها، ومضت حتى توقفت أمام المبنى مباشرة، فترجل منها ثلاثيني أشيب الشعر - رغم أنه لا يزال شاباً!-، يحمل حرقاً قاسياً في الجهة اليمنى من منطقتي الخد والذقن، قال مداعباً وهو يرفع نظاراته الطبية لتصير معلقة فوق جبهته:

- أرجو ألا تعبت برأسي مستخدماً أداة حادة!

- اطمئن يا دكتور..

وترجل السائق بدوره، كان رجلاً في أواخر الخمسينات، ومع هذا كان متين البنية، لحيته رمادية كثة، ويرتدي نظارات طبية وكذلك حلة باهظة الثمن، وقال مماًزحاً وهو يؤمن أبواب سيارته بزر المفتاح:

- إذا كنت خائفاً فيمكنك الرحيل!

- لنرى ما تخفيه هنا..

ومسح الأرجاء والأجواء ببصره لثوان، سأل عقبها السائق:

- والدك من قام ببناء هذا المكان؟

- بل اشتراه، أنت لم تخطيء حينما وصفته بالإقطاعية، فقد كان كذلك قبل مضي سنين عديدة.. ويقال أنها كانت ملكاً لأغا يهودي الأصل!



- ممن اشتراه؟
- من وريث لا تهمة سوى المادة..
- تبسم الشاب الأشيب قائلاً بتهكم:
- أوليس هذا حالنا جميعاً؟
- هلم بنا..
- سارا نحو المدخل.. هناك وقف باستقبالهما رجل مسن صلب اللحم والهيكل العظمي، كان بشارب ثلجي غزير وشعر رمادي خفيف كالإبر، وعلى ساقه اليمنى راح يعرج عرجاً طفيفاً..
- «كيف تسير الأمور يا (دكاش)؟»..
- «بخير يا دكتور (مرتضى)، مرحباً بعودتك..»..
- أشار الممتملى إلى ضيفه الشاب قائلاً للحارس:
- الدكتور (عبد الرحيم)، جاء لمعاينة واحدٍ من مرضاه السابقين الذين تم نقلهم إلينا مؤخراً.. مريض غرفة رقم 446؟
- أهلاً وسهلاً به..
- قالها الرجل المسن وهو يرمق ضيف سيده بنظرة صامتة، في حين قال له الممتملى أمراً:
- سأصعد إلى مكتبي لبعض الوقت، أريدك أن تريه المكان، وعندما تفرغان أوصله إلى مكتبي..
- كما تشاء..



تركهما ليلج المبنى، فسار (دكاش) بخطاه الحثيثة بفضل عرجه،
يتبعه الدكتور (عبد الرحيم) الذي قال:

- مكان يقشعر الأبدان!

- أكيد! يبدو وأنتك أرغمت على المجيء..

- قطعاً لا! فقط أخذ فكرة عن المصح العقلي ومرضاه وطرائق

علاجه، تفقدنا لصالح مريض الذي جئتُ لزيارته!

- متزوج؟

- مطلق ولدي طفلة..

- كان الله في عونك!

استخرج (عبد الرحيم) محفظته، وبأريحية تناول منها صورة
فوتوغرافية ناولها لدكاش، الذي أمعن النظرة في الصورة بصمت..

- «طفلتي الحلوة (هايا)!»..

- «(هايا)؟ هل قلت (هايا)؟!»..

- «اجل.. ماذا في ذلك؟!»..

- «لا.. لا شيء!»..

ثم قال (دكاش) معيدا الصورة لصاحبها وهو يبصق البلغم الذي
حشده في فمه:

- اسألني منذ متى أععمل هنا..



- منذ متى؟

أخرج علبة سجائره القديمة من جيب معطفه الرث الكحلي،
هامسا كأنه ينشد:

- سبعة وعشرون عاما!

- فناء عمر..

- وساق! أولاد ال.. تسبوا لي بالعرج المؤلم.. سيجارة؟

- شكرا، لا أدخن..

- أتدري ما الاسم الذي يطلقونه على المكان؟ «هوة الظلال»!

- اسم شاعري..

- أتمزح؟ إنه يثير الرهبة في النفوس..

- من تكون تلك المرأة؟

كانت جالسة على العشب المائل للاصفرار، ناظرة للأفق بعيون
لا تكاد تبصر، ترتدي السواد وتتحجب به..

بدت خرساء بالغة المرض نفسيا وجسمانيا، وعلى عينها اليسرى
تهدلت خصلة فضية خشنة..

ردّ (دكاش) على تساؤل (عبد الرحيم) وهو يجاهد لإيجاد
قداحته داخل أحد جيوبه:

- اسمها (أسمهان)، لا تغرنك سكيتها الظاهرة فقد ارتكبت

جريمة..



- ماذا صنعت؟
- أمرا رهيبا.. معك ولعة؟
- لا، لا أدخن..
- تبال لكل شيء، الزريبة من هناك..
- ألن تخبرني؟
- الفضول يا بني قد يقتل القط!
- لا تؤججه بتلك الصورة إذن كي تحكي لي بعدها عن القطط الفضولية!

توقف عن سيره متعرج الخطى، ونظر للوراء كأنه يخاف أن تسمعه المرأة، ثم قال بصوت خفيض:

- هي حكاية رهيبية، حدثت أيام كنت لا أزال محتفظا بالقدر الأكبر من رمقي، فمنذ وفاة زوجها وهي تتصرف بغرابة حسب أقوال معارفها، كل من رآها عقب الجنازة حسبها تمثالا لا كائنا حيا..

في يوم من ذات الأيام ذهبت إلى دار للأيتام، وتكفلت بأخذ طفلة لرعايتها كما لو كانت ابنتها، فقد كانت المرأة بحاجة للأمومة، أو أن ذلك ما تراءى للجميع يومئذ..

ما أثار حيرتهم بعد ذلك أن المرأة دأبت على الخروج دون اصطحاب الصغيرة معها، لم يحدث أن شاهدها أحد في الحديقة تلهو حتى، شكك بعضهم بأن تكون الطفلة موجودة أصلا، وبأن



حكاية الملجأ ملفقة من قبل الجيران أو المعارف استدرارا للشفقة على المرأة، في حين عزا البعض الآخر عدم تمكنهم من مشاهدة الطفلة إلى أن المرأة تخاف عليها لدرجة الخبل من الموت الذي خطف روح زوجها في حادث سيارة مروع!

وقد أكد كذلك فتية الحي مشاهدتهم للطفلة يوم أحضرتها الأرملة من الملجأ، فقرروا خوض مغامرة متهورة لتفقد المنزل بعد خروج المرأة للسهر، ويبدو بأن ثمة نافذة يسهل فتحها بالنسبة للأشقياء الشجعان.. أتعلم علام عشروا؟

على الطفلة التعسة تئن بين جدران قبو المنزل! كانت قد صارت جلدا على عظم، وقد فقدت القدرة على النطق تماما، فسارعوا إلى إخراجها وإبلاغ الشرطة باكتشافهم المروع..

تقرير كل من الشرطة والمستشفى أكدوا مدى قسوة (أسمهان) وجنونها السادي.. كانت تعذب الطفلة بالحبس والتجويع، لم تكن تقدم لها سوى الماء القراح والخبز الجاف، لكي تزيد من أيام عذاب الطفلة التي توفيت في المستشفى..

قال (عبد الرحيم) ذاهلا:

- أنت تمزح، ويأتون بها عندكم؟

- دواعي الجنون يا سيدي، ثم انها سيدة مجتمع مرموقة،

والقانون هنا بنصف عقل..



عاود (عبد الرحيم) النظر إلى المرأة الساكنة متسائلا بتعجب:

- وتدعونها هكذا دون رقابة؟

- في هذا المكان الخلاب لا نحتاج لمراقبة قاتل مجنون طليق!

قالها بتقريرية ذات غموض مثير للتساؤلات، معيدا سيجارته
لجيبه بعد أن يئس من إشعالها..



وهنا سمعا صوت حوار آتٍ من الزريبة..

كانا يتوجهان إلى هناك بالفعل، ولما دخلاها وقع بصر (عبد
الرحيم) على ثور هزيل مصاب بالبهاق..

- «وها هي ذي حكمة اليوم!».

وأشار (دكاش) إلى الجدار المواجه لهما، حيث دوّن عليه بلون
أحمر مخضب: «لا تركب على ظهر الثور المربوط في الحظيرة، لأن
الشیطان يرقص بين قرنيه!».

نظر (عبد الرحيم) إلى (دكاش) متوجسا، فدمدم الأخير وهو
يهersh قفاه كالجربان:

- مكتوبة بالدم..

- دم من؟!!

- دم الثور، ألم تلحظ إصابته البالغة؟ لقد تسبب فتى نزيل عندنا بهذا!

بالفعل كان هنالك جرح قديم بشع في عنق الثور الذي يلوك التبن بتمهل ورأسه مطرق للأرض، فتساءل (عبد الرحيم) متعجبا:

- أتعني أنه حاول ذبح الثور؟ ولم يحاول شيئا كهذا؟ أكان يمارس طقوسا من نوع ما؟

- مجرد فتى مجنون، لطالما هاج وماج لأهون الأسباب وأتفهها.. وبصق متقززا بصقعة سوداء كريهة مكملا حديثه المقبض:

- وهذه الزريبة موضع شؤم، فقد شنق من أحدثك عنه نفسه هنا! اضطرب بصر (عبد الرحيم) مطالعا بنفور أرجاء المكان، في حين استرسل (دكاش):

- زوج والدته أرسله لنا.. من يدري؟ لربما كانت مجرد حجة لإبعاده كي يخلو لهما الجو، فالفتى لم يحظ يوما بزيارة واحدة من والدته مذ قدم إلينا، حتى عقب انتحاره لم تأت لرؤية جثته ولم تطالب بها.. هل تصدق هذا؟

- مسكين.. ولماذا دون هذه العبارة المزعجة؟
- الله أعلم!

- ولماذا بقيت الكتابة لغاية الآن؟

- الدكتور صاحب المصح أمر بإبقائها رغم أن هذا فآل سوء..



- ولكن لماذا؟

- سأطلعك على سر متعلق بالدكتور (كاشاني) ووالده، إنهما لم يكونا يوما من الرحماء، فقد تعاملنا مع هذا المكان كما لو كان متحفا من نوع ما، أحيانا يحضر إلى هنا طلبة طب وأحيانا أخرى سياح! والكل يدفع بسخاء لرؤية أمور شنيعة كمختلي العقل!

- أعني أن مدير المصح إنسان سيء؟

- أعني أنه ليس بإنسان على الإطلاق!

- كيف ارتضيت إذن العمل معه ووالده من قبله كل تلك الأعوام ما دام الوضع لا يروق لك هنا؟

- أتريدني أن أنام في الشارع من دون سكن أو لقمة عيش؟ قطع الأعناق ولا قطع..

- الحق معك.. طبعاً لا.. هل نرى المبنى الآن؟

خرجا من الزريبة ليجدا السماء مكفهرة المزاج رغم أنه الصيف، لكن (عبد الرحيم) لم يفكر بذلك وهو يسأل مرافقه المسن:

- كم عدد المرضى هنا؟

- حوالي عشرة! نتدبر أمورهم بكثير من العسر في الواقع..

- عشرة فقط؟

- نحن لا نضم سوى النخبة كما ستري..



لم تكن المرأة (أسمهان) في مكانها الذي كانت جالسة فيه عندما
ولجا الزريبة، فقال (عبد الرحيم) متهمكما:

- لقد هربت!

- بل عادت إلى حيث حجرتها في الطابق الثاني..

- وكيف تعلم يقينا بأنها لم تهرب؟

- لا أحد يهرب، لأن لا أحد - ببساطة - يحاول الهرب!

- أمر باعث على الاستغراب..

- معك حق، يتعاملون مع المكان وكأنه منزلهم، كالعصفور الذي

تربى داخل قفص بابه مفتوح طوال الوقت، لكنه لا يحاول الهرب

لأنه لا يستطيع تدبر معيشته في العالم الخارجي، فقد اعتاد أن يراه

أحدهم.. هؤلاء يتصرفون أحيانا وكأنهم ليسوا مجانيين!

ثم عاود البصق مدمدما:

- ولكن لكي أكون صريحا معك فقد حاول أحدهم الهرب ذات

مرة..

- أرايت؟

- أجل.. مريضك يا دكتور الذي أتيت لأجله، في الزنانة 446..

إنه..

- زنانة؟!!

تجاهل (دكاش) استنكار الدكتور متابعاً:



- إنسان غريب، ولو شئت الصدق أجده أكثر المرضى إثارة
للرهبة!

- ألهذا الحد؟

- وأكثر! قبل أن نحسبه كان يقوم بزيارات ولا أغرب داخل
وخارج المصحح كما لو كان يستكشفه، يستنطق المرضى أو يستجوبهم
بالأحرى، يزحف كما لو كان في نفق، يتسلق كما لو كان يحاول
التسلل، يحفر كما لو كان يحاول دفن شيء بحجم جثة كاملة، يصرخ
في فرع عندما يلج الحظيرة، يخرج للغابة في رحلات ليلية الله أعلم
بسرها وهو يضم بقبضتيه معا، ومصوبا بسبابتيه المضمومتين كما
لو كان يشهر مسدسا بمواجهة خطر مجهول! وأحيانا يطوح بقبضته
كما لو كان قابضا خنجرا أو مدية! ويهبط للقبو ليتصفح أوراقا بالية
فارغة كما لو كان يقرأ كتبا! ويتصرف كما لو كان يقطن عالما آخر لا
يمت بصلة لعالمنا هذا! وفي كثير من الأحيان أراه يحادث شخصا
وهميا كما لو كان يقف بمواجهته! والغريب أن جميع المرضى كانوا
يستجيبون له وكأنهم في مسرحية لعينة ما، يحادثونه كما لو كانوا
يحفظون نصا عن ظهر قلب!

- ولا زال هاربا؟

- لا طبعاً! الأسبوع الماضي أعادوه، إنه الوحيد الذي يحظى
بحجرة مغلقة بإحكام الآن، بيني وبينك يبدو كمن ارتكب جرم
رهيبا لا يغتفر..



- مثل المرأة (أسمهان)؟

- لربما أفضح! تصور أنه يحسبني حارسا في ملجأ لدار الأيتام؟
بل إنه كاد يخنقني انتقاما مني وممن تدعى.. (جميلة)! أو (جليلة)؟
الله أعلم! والسبب طفلة اسمها.. لا عليك! لا بد وأن عقله متضرر
بشدة يا دكتور، وبصورة لم أرها في مريض من قبل!
ثم تساءل بفضول جارف:

- ماذا صنع؟

تبسم (عبد الرحيم) مجيبا بعبوس:

- أولم يقتل الفضول القط؟



بلغا المدخل حيث الباب الخشبي ذو الطلاء الأبيض الباهت،
ففتحه (دكاش) وبسمة غير مريحة ترسم على شفثيه..
كان البهو واسعا قليل الأثاث وغير نظيف، وشعر (عبد الرحيم)
برثتيه تتنفسان بصعوبة بعض الشيء من الغبار المنتشر..
اتجه (دكاش) وهو يعرج بإنهاك صوب الدرج الرخامي، فاستند
على «الدرابزين» المعدني قائلا:

- ألن تصعد؟

- إنني خلفك تماما..



اقتاده للطابق الأول قبل أن يلتفت له بغتة..

- «هل أنت من النوع الصلب؟»..

- «أظن ذلك؟»..

- «سنرى إذن!»..

وهنا ارتفع صوت الموسيقى..

بلغا تلك الحجرة، ومن فرجة الباب الضيقة لمح (عبد الرحيم)

مذياعا أسودا على كرسي..

همس (دكاش) بحذر:

- تسلل لكن برفق..

- ولماذا تريدني أن أصنع ذلك؟

- من الممتع أن تكون مغامرا في بعض الأحيان!

- يا للحمق!

ورغم ذلك قرر أن يكون أحمقا ويتسلل إلى داخل الحجرة بسبب

فضوله، فقام بدفع الباب الذي لم يصدر أي صوت لحسن الحظ،

لكن رائحة كريهة أفعمت أنفه وهو يدخل ببطء..

على ضوء شمعدان، وأمام مدفأة كهربائية وهاجة، جلس رجل

عجوز على مقعد مريح موليا ظهره للباب، ولم يظهر عليه الشعور

بدخول أحدهم حجرته..

اقترب منه (عبد الرحيم) هامسا بأدب:



- أسعدت مساء يا عماه..

بقي الرجل صامتا.. بين قدميه هر رمادي، وقد كان يغط في نوم عميق بينما ذيله يتحرك هنا وهناك لاشعوريا!

- «يا عم، يا سيد...»..

هز كتف الرجل برفق داعيا ألا يكون قد مات..

أخيرا، أظهر لمحة حياة عندما اهتز بدنه قليلا، من ثم رفع رأسه بثقل ليواجه به هذا الزائر الغريب الذي اقتحم عليه خلوته، ويقف الآن راسما البراءة على وجهه بعد أن قام بإيقاظه من قيلولته!

كانت ردة فعل الكهل عاتية، إذ شحب وجهه بصورة مروعة، ثم هبَّ واقفا وقد طار كل أثر للنوم من عينيه وهو يصيح:

- ماذا تفعل هنا؟!

- أنا كنت..

- كيف دخلت يا مأفون؟!

وبدا كأنه سيجهش بالبكاء حين صاح كالشمسوس:

- ستدمر كل شيء!!

وبثورة زائدة عن حدها نهض ليدفع بالدكتور، حتى لكاد بأن يتعثر بالهر.. حاول (عبد الرحيم) قول شيء، أن يفسر موقفه، أن يتشاجر مع الرجل..

ويواصل الكهل صراخه المهتاج:



- أخرج عليك اللعنة.. أخرج!!

وهكذا وجد الدكتور نفسه يطرد شر طردة من الحجرة، وسمع ضحكا لا يكاد يتوقف من (دكاش) الذي تأمله قائلا بسخرية:

- لقد أحسنت التصرف معه حقا.. هل شممت رائحة حجرته؟ كأنها مكب نفايات!

- من واجبكم عدم تركها هكذا..

- إنها أوامر مدير المصح، الجميع هنا أحرار كمجتمع ديموقراطي!

- يا له من طيب بارع!

وقبل أن يرحلا، أشار (عبد الرحيم) لباب العجوز الانطوائي متسائلا:

-- ما قصته؟

- هو يقდس الوحدة بصورة مبالغ بها، وينصت طيلة الوقت لتلك الألحان التي أكل عليها الدهر وشرب..

- أهذا كل ما تعلمه؟

- ليس من الضروري أن تكون هنالك قصة، هو شخص مختل يحاول الظفر بنوم هادئ!

- فقط؟ كل هذا من أجل نوم هادئ؟

- ربما وربما لا! ثمة حكاية لم تدخل رأسي، وهي أن الرجل
مستول كبير ومليونير مرموق، لكنه نال كل ما يملك عن طريق تقديم
ابنه قربانا للشيطان!

- شيطان؟!

- لست راو للحكايات، أنا أنقل فقط ما عرفه ممن يحضرونهم
إلى هنا.. وهذا هو طريقنا إلى حجرة رفيقك المدير..

تبعه (عبد الرحيم) بصمت.. رأى خربشات هزلية وعبارات
جنونية عجيبة تملأ جدران الممر، هنالك باب خشبي عليه رسمة
وجه أبله بعيون حولاء!

قال (عبد الرحيم) متهكما وهو يتمعن بتلك القطع الفنية المميزة:

- يا له من مصحح ويا لها من وسيلة للتعامل مع مرضاه!

- ألا تظنها خطوة سليمة يا دكتور؟ المهم أن أحدا لا يحاول أذية
آخر، وإذا قام بأذية نفسه فتلك حرية خاصة!

- أخشى أن هذا لا يناسب مريضتي..

نظر (دكاش) للدكتور متسائلا بفضول:

- ما حكاية مريضك ذاك؟

- حكاية طويلة..

- هلم يا رجل!

- يبدو وأن حكايات المجانين تفتنك! أنت الدليل السياحي هنا؟



تبسم (دكاش) متجهما، فتنهد (عبد الرحيم) مردفا:

- مجرد مهندس زراعي عانى من طفولة مريرة مع والدته المخبولة عقب انتحار والده الذي ثقل كاهله بالديون، كانت تنطح رأسه بأي جدار أو قطعة أثاث بكل مناسبة، ذلك قبل أن تدعه وترحل، لكنه تابع حياته بنجاح لا بأس به حتى كبر وتزوج وأنجب، وعندئذ أتت الطامة الكبرى.. توفي وحيد باللويميا، فصار الرجل حطاما، ولم تحتلم زوجته (نرجس) - التي تأقلمت سريعا مع موت وحيدهما- الحياة معه أكثر فطلبت الطلاق.. كانت ذكراها لا تزال تؤرق ذهنه.. أخبرته يوم توقيع أوراق الطلاق أنه رجل مشوش الذهن، أثرت في عقله وفاة ابنهما الوحيد بأكثر مما أثرت فيها هي، وهي تخشى كثيرا أمثاله من الذين يتغيرون هكذا عقب صدمة كالتي حدثت، فيصرون بعدها هائجين إلى حدٍ مخيف لأهون الأمور وأنفها! ربما كان بحاجة لفترة أطول للتأقلم بعد وفاة وحيدهما، ولربما بالغ عندما انكب على فعل أشياء تبدت غريبة ومزعجة بالنسبة لزوجته، كترك وظيفته القديمة التي كان ناجحا فيها بحسب رأيها!

بعدها ابتدأت محاولاته الجاهدة للانتحار، ابنة الجيران المراهقة (لَمَة) قالت أنها أبصرت مسدسا على منضدته عندما ذهبت لاستعارة خلاط منه، وقد زاد شكها لما أعطاها مبلغا من المال، وكأنه بذلك يستعد لإنهاء متعلقات حياته كي يرحل عن الدنيا بصمت!

أصدر (دكاش) صوتا قبيحا قبل أن يقول باستهزاء:



- قصة عادية للغاية!
رمقه (عبد الرحيم) بنظرة طويلة قبيل غمغمته:
- لكنها لم تنته عند ذلك الحد..
- لماذا؟ ماذا حدث؟
- أين دورة المياه؟
توقف (دكاش) كأنما بوغت بالسؤال..
- «آخر هذا الممر، الباب الخشبي الذي عليه رسمة وجه بعيون
حولاء..».
خفَّ إلى هناك متظاهراً أن مثائته تضايقه، فما إن بلغ الباب
المنشود حتى دفعه ليدلف متمهلاً.. كانت جميع المرايا شبه محطمة،
والكتابات على كل جدار وزاوية، ووجد واحدة تقول: «سأفعلها في
جوف المدير ال..!».
- «لم يكن الذي كتبها مجنوناً تماماً!».
دنا من المغسلة، ومن المياه الباردة بلل وجهه، ثم طفق يتأمل
بصمت صورته المنعكسة على بقايا المرآة المكسورة والمعلقة
أمامه..
كان هذا عندما انبعث صدى فخيم لسيمفونية ما تتردد في
الأرجاء..





هناك، وأمام الغرفة - أو الزنزانة - رقم 446 وقف..
نظر من خلال الفتحة على الباب، فلم يلمح سوى العتمة الدامسة،
ولم يسمع سوى صوت تصفير يماثل زقزقة العصافير..
فجأة توقف التصفير، وانبعث عوضاً عنه الصوت الرخيم من
الظلمات:

- «كائن حي يتألم بعمق في هذه الشوارع المظلمة، ألمٌ يفوق
تأوهات المدمنين حين تمزقهم الحاجة الجنونية للمخدر، وأنين
المشردين، وصياح الضحايا قبل إغماد نصل السكين في القلب أو
النحر!

أولست سيمفونية الموت أعذب حتى من السيمفونية السابعة
لبيتهوفن؟»..

أجاب (عبد الرحيم) باسمًا بشفقة:

- لديك أذن موسيقية بحق.. تلك سيمفونية (بتهوفن) السابعة
فعالاً!

- «الحركة الثانية.. في سلم «لا» الكبير!»..
- بالضبط! لكنها للأسف لا تلائم نفسيات نزلاء المكان..
- «نزلاء المكان؟ أنت لطيف حقاً يا دكتور! بالفعل مشكلتك -
كما أخبرتني بالماضي - هي الإكثار من الإنصات!»..
- ربما.. جدتي قالت بأن مسحة من وحي الثقة..

- «تسلل إلى وجدان من يجالسك، وبذلك يفتح لك مكنونات
فؤاده!»..

- ذاكرتك قدت من فولاذ!

- «كيف طفلتك (هايا) يا دكتور؟»..

- بخير، شكر السؤالك..

- «وطليقتك (أسيل)؟ هل لا زالت في كنف (مراد) الوغد؟»..

- ومن (مراد) هذا أيضًا؟!

- «لا بد وأنها غلطتي.. إنها الذاكرة عندما.. عندما تخالطها بعض

المخيلة!»..

- لا عليك.. يمكنك اعتبار ذلك جزءاً من علاجك! ما أخبار

(جرير)؟

- «(جرير) انتهى.. مثلي تماماً!»..

- «بل هو شخص يستطيع التحمل! إنه صديقك الأهم، وأنت

بحاجة ماسة إليه! عليك أن تتشبث به، عليك أن تستخدمه في كل

أحلامك وكوابيسك!»..

- «(جرير) مات.. لقد قتلته! بطلقة صائبة.. طاخ!»..

- «وتستطيع إعادته مجدداً!»..

- «أين بإمكانك إيجاد عشرات الوحوش الشائرة الساعية وراءك؟

كلاب شيطانية وساحرات أحرقن ومشعوذون؟».



التصفير يعود منتظرا سماع الإجابة.. فتفكر (عبد الرحيم) في
الأحجية العجيبة هنيهة، قبيل قوله بثقة:

- في العقل!

توقف التصفير بغتة، ثم تصاعدت تنهيدة ارتياح عميقة..

- «هذه إجابة صحيحة 100%!»..

تساءل (عبد الرحيم) متلمسا الباب:

- كيف حالك هنا يا (ملاك)؟ أترغب بشيء معين؟

كان موصدا من الخارج فحسب، ففتحه (عبد الرحيم) ليظهر
مريضه الغامض في ثوب الأكتاف الخاص بالمجانين، هيئته مبعثرة
وشعره حجب ملامحه الوسيمة، وقد بدا وكأنه لم يتخل عن عادة
نطح رأسه عقب رحيل والدته، تاركة إياه وحيدا منذ الصغر داخل
تلك الشقة القديمة..

كانت جبهته تنزف بغزارة..

وثمة لطحخة دموية عملاقة تلوث الجدار المقابل له!

- «في..».

- في ماذا؟

- «لا شيء، لا أرغب في.. شيء!».



Gary Jules : Mad World

في كل مكان من حولي وجوه مألوفة..
أماكن مرهقة..
وجوه مرهقة..

أفاقوا باكرا من أجل سباقاتهم اليومية..
ذاهبين إلى لا مكان..
ذاهبين إلى لا مكان..

دموعهم تملأ كؤوسهم..
ولا تعابير على الوجوه..
لا تعابير على الوجوه..

أخفي رأسي وأحاول أن أغرق حزني..
فلا يوجد غد..
لا يوجد غد..



وإنني لأجد الأمر مضحكًا نوعًا..
أجده نوعا ما محزن..
أن الأحلام التي أموت فيها..
هي أفضل أحلامي على الإطلاق..
أجد من العسير أن أخبرك..
أجد من العسير تقبل الأمر..
عندما يدور الناس حول أنفسهم في دوائر..
فهو جدًا جدًا.. عالم مجنون..

عالم مجنون..

الأطفال ينتظرون يوم يشعرون بالسعادة..
عيد ميلاد سعيد.. عيد ميلاد سعيد..

جعلوا أحاسيسهم كما يتوجب على أي طفل:
اجلس واستمع.. اجلس واستمع..
عندما ذهبتُ للمدرسة كنتُ في غاية التوتر..
فلم يكن أحد يعرفني.. لم يكن أحد يعرفني..



مرحبًا يا معلمتي .. ما الدرس الذي علي تعلمه؟
اخترقيني بنظراتك .. اخترقيني بنظراتك ..

وإنني لأجد الأمر مضحكًا نوعًا ..
أجده نوعًا ما محزن ..
أن الأحلام التي أموت فيها ..
هي أفضل أحلامي على الإطلاق ..
أجد من العسير أن أخبرك ..
أجد من العسير تقبل الأمر ..
عندما يدور الناس حول أنفسهم في دوائر ..
فهو جدًّا جدًّا .. عالم مجنون ..

عالم مجنون ..

وسَّع عالمك ..

عالم .. مجنون ..



صدر للكاتب وائل رداد:

- رواية: «سأعطيك الحلوى شرط أن تموت»: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع - لبنان
- رواية: «موت سريري»: دار أكتب - مصر ط1 / منشورات ضفاف - لبنان ط2
- رواية: «مذكرات الجرذان الغريقة»: ممدوح عدوان - سوريا
- رواية: «سيمفونية وادي الظلال»: سندباد للإعلام والنشر - مصر ط1 / مداد للنشر - الإمارات ط2
- رواية: «جنازة الملائكة»: دار رواية - السعودية ط1 / دار سما - الكويت ط2
- رواية: «أمير وألف عدو»: دار اليمام - الكويت

«سيناريو الظلام: أمير الكوابيس»

«سيناريو الظلام 2 المحقق السري»

ترجمات: «القصص المنسية»

«سجين الجحيم» - كلايف باركر

دار سما - الكويت

«كريبي باستاز: أساطير الانترنت المرعبة»: دار اليمام - الكويت



ملاك جهنمي

روايات:

«المصعد رقم 7» ج 1

«التابع الحارس» ج 2

«الهائمون» ج 3

«مندوب الشيطان»

«ملاك جهنمي»

«الزيتق»

بلاينيوم بوك - الكويت

E Mail: waelnovel@gmail.com



ائل زداد

ملاك جهنمي

إنه اليوم الأخير في حياة (ملاك)، أخطر سفاح على وجه الأرض..
 اليوم هو اليوم المشهود لأهالي ضحاياه، حيث سيتم إعدامه أخيراً
 بعد سلسلة من الجرائم المروعة التي لا تنسى..
 لذا، كان على حارس زنزانته وصديقه الوحيد (جرير) توديعه بعد
 سنواتٍ قضياها معا.. (ملاك) في الحديث عن ذكرياته وأحلامه
 كما لو كان حراً، و(جرير) العاكف على الإنصات إليه متحسّساً
 سلاحه معظم الوقت..
 ولكن في يوم تنفيذ حكم الإعدام يتغير كل شيء بمعجزة ما، إذ
 يتحول القاتل إلى طير طليق، وحارسه إلى مجرم حبيس!
 ثمّة خطب ما وقع، وحياة (جرير) التعس على وشك أن تتغير إلى
 رحلة انتقام مخيفة، فرضها عليه ملاك جهنمي..

تصميم الغلاف



DARAJ
Consulting & Publishing Services



المجموعة الدولية
للنشر والتوزيع

جميع حقوق الطبع للنشر

